حِوَارٌ حَوْلَ حُكْمِ الصَّلَاةِ فِي مَسْجِدٍ فِيهِ قَبْرٌ
(النُّسخةُ 1.86 - الجُزءُ السابِعُ)

جَمعُ وتَرتِيبُ
أَبِي ذَرٍّ التَّوحِيدِيِّ
AbuDharrAlTawhidi@protonmail.com

تَتِمَّةُ المسألة الثامنة والعشرين

زيد: وَهَلْ حالُ التعليمِ في المدارس الغــير أَزْهَرِيَّةِ (في المجتمَعاتِ المُنْتَسِبةِ للإسـلامِ) أَحْسَـنُ مِن حـالِ التعليم في المدارس الأَزْهَرِيَّةِ، أَمْ هو أَسْوأُ؟.

عمرو: بَيَانُ ذلك يُمْكِنُك التَّعَرُّفُ عليه مِمَّا يَلِي:

(1)قالَ الشيخُ عَبْدُالرّحمن المُعَلِّمِيّ اليَمَانِي (الذي لُقِّبَ بـ "شيخِ الإسلامِ"، وبـ "ذَهَبِيِّ العَصْرِ" نِسـبةً إلى الإمـامِ الحافـظِ مُحَـدِّثِ عَصْـرِه مُـؤَرِّخِ الإسـلامِ شَـمْسِ الـدِّينِ الذَّهَبِيِّ الْمُتَوَفَّى عامَ 748هـ، وَتَوَلَّى رئاسةَ الْقَضَاءِ في "عسير"، وتُوُفِّيَ عـامَ 1386هــ) في تَعلِيقِـه على قـولِ ابْنِ حَجَرٍ الْهَيْتَمِيِّ (ت974هـ) في (تُحْفَةِ الْمُحْتَاجِ) {إنَّمَا هُوَ عِنْدَ صَلَاحِ الأَزْمِنَةِ بِحَيْثُ يَنْفُذُ فِيهَا الأَمْـرُ بِـالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَقَدْ تَعَطَّلَ ذَلِكَ مُنْذُ أَزْمِنَـةٍ}: أَقُـولُ، وهذا صحيحٌ، وقد مَضَتْ عِدَّةُ قُرونٍ لا تَكـادُ تَسـمَعُ فيهـا

بعالِمٍ قائمٍ بالمعروفِ لا يَخافُ في اللهِ لَوْمةَ لائمٍ، بَلْ لا تَجِدُ رَجُلًا مِن أهلِ العلمِ إلَّا وهو حافِظٌ لِحَدِيثِ {حَتَّى إِذَا رَأَيْتَ هَوًى مُتَّبَعًا وَشُحًّا مُطَاعًا [قالَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ {وإيَّاكُمْ والشُّحَّ، فإنَّه دَعَا مَنْ كانَ قَبْلَكُمْ فَسَفَكُوا دِماءَهُمْ، ودَعَا مَنْ كان قَبْلَكُمْ فَقَطَّعُوا أرْحامَهُمْ، ودَعَا مَنْ كانَ قَبْلَكُمْ فاسْتَحَلُّوا حُرُماتِهِمْ} صَحَّحَه الألباني في (صحيح الترغيب والترهيب). وقالَ المناوي في (فيض القدير): (شُحٌّ مُطَاعٌ) أيْ بُخْلٌ يُطِيعُهُ النَّاسُ، فَلَا يُؤَدُّونَ الْحُقُوقَ؛ وَقَالَ الرَّاغِبُ {خَصَّ الْمُطَاعَ لِيُنَبِّهَ أَنَّ الشُّحَّ فِي النَّفْسِ لَيْسَ مِمَّا يُسْتَحَقُّ بِهِ ذَمٌّ، إِذْ لَيْسَ هُوَ مِنْ فِعْلِهِ، وَإِنَّمَا يُذَمُّ بِالانْقِيَادِ لَهُ}. انتهى] وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ، فَعَلَيْكَ بِخُوَيْصَةِ نَفْسِكَ وَدَعْ عَنْكَ أَمْرَ الْعَامَّةِ} يَعتَذِرُ به عن نَفْسِه، ويَعْذِلُ [أَيْ ويَلُومُ] به مَن رَآه يَتَعَرَّضُ لإنكارِ شيءٍ مِنَ المُنكَرِ؛ وقد وُجِدَ ذلك في آخِرِ عَصْرِ الصَّحابةِ، بعدَ الثَّلَاثِينَ سَنَةٍ، فكان أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ واحِدَ عَصْرِه في التَّجَاسُرِ على إنكارِ المُنكَرِ (بقَدْرِ الإمكانِ)، حتى شَدَّدَ في ذلك عَبْدُالْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ [هو خامِسُ حُكَّامِ الدولةِ الأُمَوِيَّةِ، وهو الذي وَلَّى الْحَجَّاجَ العِرَاقَ]، خَطَبَ على مِنْبَرٍ وقالَ {واللهِ لا يَقُولُ لِي أَحَدٌ (اِتَّقِ اللهَ) إلَّا ضَرَبْتُ عُنُقَهُ}، ثم تَوَارَثَها المُلوكُ والأُمَراءُ إلَّا مَن شاءَ اللهُ، ولهذا عَظُمَ عند الناسِ ابْنُ طَاوُوسٍ وعَمْرُو بْنُ عبيدٍ وغيرُهما مِمَّن كان يَتَجاسَرُ على النَّهيِ عنِ المُنكَرِ، وعلى كُلِّ حالٍ فالمعروفون مِنَ العلماءِ بذلك أفرادٌ يُعَدُّون بالأصابِعِ والجُمهورُ ساكِتون؛ وأَمَّا في القُرونِ المُتأخِّرةِ فشاعَتِ المُنْكَراتُ بين المُلوكِ والأَمَراءِ والعُلَماءِ والعامَّةِ، ولم يَبْقَ إلَّا أفرادٌ قَلِيلون لا يَجْسُرون على شيءٍ، فإذا تَحَمَّسَ أحدُهم وقالَ كَلِمةً قالَتِ العامَّةُ {هذا مُخالِفٌ للعلماءِ ولِمَا عَرَفْنا عليه الآباءُ}، وقالَ العلماءُ {هذا خارِقٌ للإجماعِ مُجاهِرٌ

بالابتـداعِ}، وقـالَ المُلـوكُ والأُمَـراءُ {هـذا رَجُـلٌ يُرِيـدُ إحـداثَ الفِتَنِ والاضْـطِراباتِ، ومِنَ المُحـالِ أنْ يكـونَ الحَقُّ معـه، وهـؤلاء العلمـاءُ ومَن تَقَـدَّمَهم على باطِـلٍ، وعلى كُلٍ فالمصـلحةُ تَقتَضِـي زَجْـرَه وتَأْدِيبَـه}!، وقـالَ بَقِيَّةُ الأفرادِ مِنَ المُتَمَسِّكِين بالحَقِّ {لقد خـاطَرَ بنَفْسِـه وعَرَّضَها للهَلاكِ، وكان يَسَعُه مـا وَسِـعَ غـيرَه}!، وهكـذا تَمَّتْ غُرْبةُ الدِّينِ، فإنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ... ثم قـالَ -أيِ الشيخُ المُعَلِّمِيّ-: وقد جَرَّبْتُ نَفْسِي أنني رُبَّما أنظـرُ في القَضِـيَّةِ زاعِمًـا أنـه لا هَـوَى لِي، فيَلُـوحُ لي فيهـا مَعْنًى، فأُقَرِّرُه تَقرِيـرًا يُعْجِبُنِي، ثم يَلُـوحُ لي مـا يَخْـدِشُ في ذاك المَعْنَى، فأَجِــدُنِي أَتَبَــرَّمُ بــذلك الخــادِشِ، وتُنازِعُنِي نَفْسِـي إلى تَكَلُّفِ الجَـوابِ عنـه وغَضِّ النَّظَـرِ عن مُناقَشةِ ذاك الجَوابِ، وإنَّما هذا لأنِّي لَمَّا قَرَّرتُ ذاك المَعْنَى أَوَّلًا تَقرِيرًا أَعْجَبَنِي صِرْتُ أَهْوَى صِحَّتَه، هذا مـع أنـه لم يَعْلَمْ بـذلك أَحَـدٌ مِنَ النـاسِ، فكيـف إذا كنتُ قـد أَذَعْتُه في الناسِ ثم لاحَ لي الخَدْشُ؟، فكيـف لـو لم يَلُحْ لي الخَدْشُ ولكنَّ رَجُلًا آخَرَ اعتَرَضَ عَلَيَّ بِهِ؟، فكيـف لـو كان المُعتَرِضُ مِمَّن أكرَهُه؟!؛ هذا، ولم يُكَلَّفِ العالِمُ بأنْ لا يكـونَ لـه هَـوًى، فـإنَّ هـذا خـارِجٌ عنِ الوُسْـعِ، وإنَّمـا الـواجِبُ على العـالِمِ أنْ يُفَتِّشَ نَفْسَـه عن هَوَاهـا حـتى يَعرِفَه، ثم يَحتَرِزَ منه، ويُمْعِنَ النَّظَرَ في الحَـقِّ مِن حيث هو حَقٌّ، فإنْ بـانَ لـه أنَّه مُخـالِفٌ لِهَـوَاه آثَـرَ الحَـقَّ على هَوَاه... ثم قالَ -أيِ الشيخُ المُعَلِّمِيّ-: والعالِمُ قد يُقَصِّرُ في الاحْتِـراسِ مِن هَـوَاه، ويُسـامِحُ نَفْسَـه، فتَمِيـلَ إلى الباطلِ، فيَنْصُرَه وهو يَتَوَهَّمُ أنه لم يَخْرُجْ مِنَ الحَـقِّ ولم يُعَادِه، وهذا لا يَكادُ يَنْجُو منه إلَّا المعصومُ، وإنَّما يَتَفاوتُ العلمـاءُ، فمنهم مَن يَكْثُـرُ منـه الاسْتِرْسـالُ مـع هَـوَاه ويَفْحُشُ حتى يَقْطَعَ مَن لا يَعرِفُ طِبَـاعَ النـاسِ ومِقـدارَ تـأثيرِ الهَـوَى بأنَّه مُتَعَمِّدٌ، ومنهم مَن يَقِـلُّ ذلـك منـه ويَخِـفُّ... ثم قـالَ -أيِ الشـيخُ المُعَلِّمِيّ-: وقـد كـان مِنَ

السَّلَفِ مَن يُبالِغُ في الاحْتِراسِ مِن هَوَاه حتى يَقَـعَ في الخَطَأِ مِنَ الجانِبِ الآخَـرِ، كالقاضِـي يَختَصِـمُ إليـه أخُـوه وعَدُوُّه، فيُبـالِغُ في الاحْتِـراسِ حـتى يَظلِمَ أخَـاه، وهـذا كالـذي يَمْشِـي في الطَّرِيـقِ ويكـونُ عن يَمِينِـه مَزِلَّةٌ، فيَتَّقِيهـا ويَتَباعَـدُ عنهـا فيَقَـعَ في مَزِلَّةٍ عن يَسَـارِه!. انتهى مِن (آثارُ الشيخِ المُعَلِّمِيّ). وقالَ ابْنُ دَقِيقِ الْعِيـدِ فِي (شَرْحُ الإلمَامِ بِأحَـادِيْثِ الأحْكَـامِ): وَاعْلَمْ أَنَّ تَقْـدِيمَ أرْجَحِ الظَّنَّيْنِ عِنْدَ التَّقَابُلِ هُوَ الصَّوَابُ، غَيْرَ أنَّا نَرَاهُمْ إذَا انْصَرَفُوا إلَى الجُزئيَّاتِ يَخرُجُ بَعْضُهُمْ عن هَـذَا الْقَـانُونِ، وَمِنْ أَسْبَابِ ذلـك اِشْـتِبَاهُ الْمَيْـلِ الْحَاصِـلِ بِسَـبَبِ الأدِلَّةِ الشَّرْعِيَّةِ بِالْمَيْلِ الْحَاصِلِ عنِ الإلـفِ وَالْعَـادَةِ وَالْعَصَـبِيَّةِ، فَإنَّ هَـذِهِ الأُمُـورَ [أيِ الإلـفَ وَالْعَـادَةَ وَالْعَصَـبِيَّةَ] تُحْـدِثُ لِلنَّفْسِ هَيْئَةً وَمَلَكَــــةً تَقْتَضِــــي الرُّجْحَــــانَ فِي النَّفْسِ بِجَانِبِهَا [أيْ بِجـانِبِ الإلـفِ وَالْعَـادَةِ وَالْعَصَـبِيَّةِ] بِحَيْثُ لا يَشْـعُرُ النَّاظِرُ بِـذَلِكَ وَيَتَـوَهَّمُ أَنَّهُ رُجْحَـانُ الـدَّلِيلِ، وَهَـذَا مَحَلُّ خَوْفٍ شَـدِيدٍ وَخَطَـرٍ عَظِيمٍ يَجِبُ عَلَى الْمُتَّقِي اللَّهَ تَعالَى أَنْ يَصْرِفَ نَظَرَهُ إلَيْـهِ وَيَقِـفَ فِكْـرُهُ عَلَيْـهِ. انتهى باختصــــار. وقـــــالَ اِبْنُ الْقَيِّمِ فِي (الطُّرُقُ الْحُكْمِيَّةُ): وَالْمُتَـأَخِّرُونَ كُلَّمَـا اِسْـتَبْعَدُوا شَـيْئًا، قَـالُوا {مَنْسُـوخٌ، وَمَتْرُوكٌ الْعَمَلُ بِهِ}!. انتهى. وقـالَ اِبْنُ الْقَيِّمِ أيضًـا في (إعلام الموقعين): وَمَنْ لَهُ خِبْرَةٌ بِمَا بَعَثَ اللَّهُ بِهِ رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَبِمَا كَانَ عَلَيْهِ هُوَ وَأَصْحَابُهُ، رَأَيٌ أَنَّ أَكْثَـرَ مَنْ يُشَـارُ إلَيْهِمْ بِالـدِّينِ هُمْ أَقَـلُّ النَّاسِ دِينًا، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ، وَأَيُّ دِينٍ وَأَيُّ خَيْـرٍ فِيمَنْ يَـرَى مَحَـارِمَ اللَّهِ تُنْتَهَكُ، وَحُدُودَهُ تُضَاعُ، وَدِينَـهُ يُتْـرَكُ، وَسُـنَّةَ رَسُـولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُرْغَبُ عَنْهَا، وَهُوَ بَارِدُ الْقَلْبِ، سَـاكِتُ اللِّسَـانِ، شَـيْطَانٌ أَخْـرَسُ (كَمَـا أَنَّ الْمُتَكَلِّمَ بِالْبَاطِـلِ شَـيْطَانٌ نَـاطِقٌ)؟!، وَهَـلْ بَلِيَّةُ الـدِّينِ إلَّا مِنْ هَـؤُلَاءِ الَّذِينَ إذَا سَـلِمَتْ لَهُمْ مَـآكِلُهُمْ وَرِيَاسَـاتُهُمْ فَلَا مُبَالَاةَ بِمَا جَرَى عَلَى الدِّينِ؟!... ثم قالَ -أيِ ابنُ القيمِ-:

وَهَؤُلَاءِ -مَعَ سُقُوطِهِمْ مِنْ عَيْنِ اللَّهِ وَمَقْتِ اللَّهِ لَهُمْ- قَدْ بُلُوا فِي الدُّنْيَا بِأَعْظَمَ بَلِيَّةٍ تَكُونُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ، وَهُوَ مَوْتُ الْقُلُوبِ، فَإِنَّ الْقَلْبَ كُلَّمَا كَانَتْ حَيَاتُهُ أَتَمَّ كَانَ غَضَبُهُ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ أَقْوَى وَانْتِصَارُهُ لِلدِّينِ أَكْمَلُ. انتهى.
وقالَ الشيخُ مُقْبِل الوادِعِي في (تحفة المجيب): ونحن في زَمَنٍ تُقْلَبُ فيه الحَقائقُ كما أخْبَرَ النبيُّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وأهلُ العِلْمِ الذِين كانَ يُظَنُّ أنَّهم سَيُدافِعون عنِ الإسلامِ ويَحْمون حِمَاه، إِذَا الإسلامُ يُؤْتَى مِن قِبَلِهم، وما كُنَّا نَظُنُّ أنْ يَبْلُغوا إلى هذا الحدِّ، وأنْ يدافِعوا عن الكُفْرِ حتى يَجْعَلوه واجِبًا، دَعْ عنك أنَّهم يَجعَلون البِدعةَ سُنَّةً، والضَّلالَ هُدًى، والغَيَّ رُشْدًا، وصَدَقَ النبيُّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم في ذِكْرِ الفِتَنِ، إذْ يقولُ {سَتَكُونُ فِتَنٌ، الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، مَنْ تَشَرَّفَ لَهَا تَسْتَشْرِفْهُ، فَمَنْ وَجَدَ مَلْجَأً أَوْ مَعَاذًا فَلْيَعُذْ بِهِ}، ونحن في زَمَنِ الفِتَنِ لا يُنكِرُ هذا إلَّا مَن أعمَى اللهُ بَصِيرَتَه، فنقولُ، إنَّ لهم أسْلَافًا {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ}، {أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ}، {وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ}، أولئك [الأسْلَافُ] نَزَلَ بَعْدَهم قرآنٌ ففَضَحَهم، ونحن الآنَ لا يَنْزِلُ قرآنٌ، وإلَّا لَرَأَيْتَ أنَّ بعضَ أصحابِ العَمَائمِ واللِّحَى المُحَنَّاةِ والثَّوبِ الذي إلى وَسَطِ الساقِ، يُمْكِنُ أنْ يَفْضَحَه اللهُ كما فَضَحَ عَبْدَاللَّهِ بْنَ أُبَيٍّ [هو عَبْدُاللَّهِ بْنُ أُبَيِّ بْنِ سَلُولَ الذي أَنْزَلَ اللهُ تَعالَى فيه {وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ

عَظِيمٌ}]، وثَبَتَ عن النبيِّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنَّه قالَ {إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي كُلُّ مُنَافِقٍ عَلِيمِ اللِّسَانِ}، ويقول أيضًا {إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الأَئِمَّةُ الْمُضِلُّونَ} [قالَ الشيخُ صالح آل الشيخ في (التمهيد لشرح كتاب التوحيد): الأَئِمَّةُ الْمُضِلُّونَ هُمُ الذِين اتَّخَذَهم الناسُ أئمَّةً، إمَّا مِن جِهَةِ الدِّينِ، وإمَّا مِن جِهَةِ وِلَايَةِ الحُكْمِ. انتهى. وقالَ ابنُ تيميةَ في (مجموع الفَتَاوَى): الأَئِمَّةُ الْمُضِلُّونَ هُمُ الأُمَرَاءُ. انتهى.]، فهؤلاء حَذَّرَنا منهم رسولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فتَارةً يُمَثِّلُه اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بالكَلْبِ [قالَ تَعالَى {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ، وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ، فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث}] تَنفِيرًا مُنَفِّرًا، وأُخرَى يُمَثِّلُه بالحِمَارِ {مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا}، ولا تَظُنُّوا أنَّ هذا في أَهْلِ الكتابِ فَقَطْ، بَلْ إنَّه في مَن زاغَ وانحرفَ مِنَ الأئمَّة المُضِلِّين. انتهى باختصار. وقالَ الشيخُ عليُّ بنُ محمد الصلابي (عضو الأمانة العامة للاتحاد العالمي لعلماء المسلمين) في كتابه (الدولة العثمانية، عوامل النهوض وأسباب السقوط): فأَيْنَ كان العلماءُ في تلك الفَتْرَةِ [يعني أواخرِ الدولةِ العثمانيةِ] التي نحن بِصَدَدِها مِنَ التاريخِ؟، هل كانوا في مكانِ القيادةِ الذِي عَهِدَتْهم الأُمَّةُ فيه؟، هل كانوا حُمَاةَ الأُمَّةِ مِنَ العُدْوانِ؟، وحُمَاتَها مِنَ الظُّلْمِ الواقعِ عليهم مِن ذَوِي السلطانِ؟، هل كانوا هُمُ الذِين يُطالِبون للأُمَّةِ بحُقوقِها السياسيَّةِ وحُقوقِها الاجتماعيَّةِ وحُقوقِها الاقتصاديَّةِ؟، هلْ كانوا هُمُ الذِين يَأمُرون بالمعروفِ ويَنْهَون عنِ المُنْكَرِ، ويَقومون إلى الإمامِ الجائرِ فيَأمُرونه ويَنْهَونه، فَيَقتُلَهم أَمْ لم يَقْتُلْهم؟، أَمْ كان كثيرٌ منهم قد اسْتَعْبَدوا أَنْفُسَهم للسلطانِ،

ومَشَوْا في رِكَابِه، يَتَمَلَّقُونه ويُبارِكون مَظَالِمَه فيَمُدُّونَهُ فِي الْغَيِّ؟!، بينما البَقِيَّةُ الصالحةُ منهم قد قَبَعَتْ في بُيُوتِها، أَوِ اِنْزَوَتْ في الدَّرْسِ والكِتابِ تَحْسَبُ أَنَّ مُهِمَّتَها قَدِ اِنتَهَتْ إذا لَقَّنَتِ الناسَ العِلْمَ، وما نُرِيدُ أنْ نَظْلِمَهم فقد كان منهم -ولا شَكَّ- مَن صَدَعَ بِكَلِمةِ الحَقِّ، ومنهم مَن أَلْقَى بالمَنْصِبِ تحتَ قَدَمَيه حين أَحَسَّ أنَّه يَسْتَعْبِدُه لأولِي السلطانِ أو يَلْجُمُه عن كلمةِ الحقِّ، ولكنَّهم قِلَّةٌ قليلةٌ بين الكَثْرةِ الغالبةِ التي راحَتْ تَلْهَثُ وَرَاءَ المَتَاعِ الأَرْضِيِّ، أو تَقْبَعُ داخلَ الدَّرْسِ والكِتابِ. انتهى باختصار.

(2)وفي فتوى صَوتِيَّةٍ للشيخِ مُقْبِل الوادِعِي مُفَرَّغةٍ على موقعِه [في هذا الرابط]، سُئِلَ الشيخُ: لِمَاذا اِختَرْتُمْ مَنهَجَ الجَرْحِ والتعديلِ طَرِيقًا؟، مع أنَّه في نَظَرِ كثيرٍ مِنَ الدُّعاةِ والمُصلِحِين يَعُدُّونه سَبَبًا في تَفَكُّكِ الأُمَّةِ وسَبِيلًا إلى بُغْضِ مَن يَنْحُو هذا المَنْحَى؟، مُحتَجِّين بأَنَّ زَمَنَ الجَرْحِ والتَّعدِيلِ قد اِنتَهَى مع زَمَنِ الرِّوايَةِ؟. فأجابَ الشيخُ: إذا تَرَكْنا الجَرْحَ والتَّعدِيلَ صارتْ كَلِمةُ الشيخِ الإمامِ القُدوةِ الشيخِ ابنِ باز [مُفْتِي الدِّيَارِ السُّعُودِيَّةِ] وكَلِمةُ عَلِيٍّ الطنطاويِّ [وهو القاضِي في المَحكَمةِ الشَّرعِيَّةِ بِدِمَشْقَ، وهو مِن أعلامِ (جَماعةِ الإخوانِ المُسلِمِين) في سُورِيَا، وقد تُوُفِّيَ عامَ 1999هـ. وقد قالَ الشيخُ الألباني في مَقْطَعٍ صَوتيٍّ مُفَرَّغٍ [على هذا الرابط]: الطنطاويُّ يُفْتِي ببعضِ الفَتاوَى يُخالِفُ فيها السُّنَّةَ الصحيحةَ، فالمُقَدَّمُ عنده -كما هو مُصِيبةُ كثيرٍ مِنَ الناسِ اليومَ- هو تَرجِيحُ التَّيسِيرِ على الناسِ أو أنَّ المَصلَحةَ هكذا تَقتَضِي، ويُلحَقُ بهذا محمد الغزالي... ثم قالَ -أَيِ الشيخُ الألباني-: هذا [يَعْنِي الغزالي] رَجُلٌ كَيْفِيٌّ [أَيِ اِعتِباطِيٌّ مُتَحَكِّمٌ]، لا أُصولَ له ولا مَراجِعَ، فَلَا هُوَ سَلَفِيٌّ، لأنَّ السَّلَفِيَّ يَرجِعُ إلى الكِتابِ والسُّنَّةِ

وعلى مَنهَجِ السَّلَفِ الصالحِ، وَلَا هُـوَ خَلَفِيٌّ، لأنَّ الخَلَفِيَّ يكونُ مُتَمَذهِبًا بمَـذهَبٍ، فلَيس هـو مُتَمَسِّـكًا، فهـو تـارَةً تَرَاه مع الحَنَفِيِّ، تارَةً مـع الشـافِعِيِّ، فهـو حَيْثُمَـا وَجَـدَ الهَوَى اِتَّبَعَه، كما قالَ الشاعرُ {وَمَا أَنَـا إِلَّا مِنْ غَزِيَّةَ، إِنْ غَـــوَتْ *** غَـــوَيْتُ، وَإِنْ تَرْشُـــدْ غَزِيَّةُ أَرْشَـــدُ}. انتهى باختصار] سَوَاءً، وَهُمَا لَا سَوَاءٌ؛ فنحن مُحتـاجُون إلى أنْ يُبَيَّنَ حـــالُ حســـن الـــترابي ويوســـفَ القرضـــاوي وعبدِالمجيـد الزنـداني [أَحَـدِ كِبَـارِ مُؤَسِّسِـي جَماعـةِ الإخـوانِ المُسـلِمِين في (اليَمَنِ)]، وهكـذا أيضًـا رُؤُوسُ الإخـوانِ المُسـلِمِين لا بُـدَّ أنْ تُبَيَّنَ أَحْـوالُهم، وعلمـاءُ الحُكوماتِ أيضًا لا بُدَّ أنْ تُبَيَّنَ أَحْـوالُهم (الـذِين يُجـادِلون عنِ الحُكومـاتِ بالباطـلِ، ورَبُّ العِـزَّةِ يقـولُ في كتابِـه الكَريمِ {وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَـهُمْ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا})؛ والرسولُ صلى الله عليه وعلى آلـه وسـلم يقـولُ {إِنَّمَـا أَخَـافُ عَلَى أُمَّتِي الأَئِمَّةَ المُضِلِّينَ}، فإذا كان النـبيُّ صـلى اللـه عليـه وعلى آلـه وسلم يقولُ ذلك، وربُّ العِـزَّةِ يقـولُ في كتابِـه الكـريمِ {يَـا أَيُّهَـا الَّذِينَ آمَنُـوا إِنَّ كَثِـيرًا مِّنَ الأَحْبَـارِ وَالرُّهْبَـانِ لَيَـأْكُلُونَ أَمْـوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِـلِ وَيَصُـدُّونَ عَن سَـبِيلِ اللَّهِ}، والرسولُ صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقـولُ {بِئْسَ أَخُـو الْعَشِـيرَةِ}، ويقـولُ كمـا في الْبُخَـارِيِّ {مَـا أَظُنُّ فُلانًا وَفُلانًا يَعْرِفَانِ مِنْ دِينِنَـا شَـيْئًا}، ويقـولِ {يَـا مُعَاذُ، أَفَتَّانٌ أَنْتَ يَـا مُعَـاذُ}، ويقـولُ لأَبِي ذَرٍّ {إِنَّكَ امْـرُؤٌ فِيـكَ جَاهِلِيَّةٌ}، ويَقـولُ لِنِسـائه {إِنَّكُنَّ لأَنْتُنَّ صَـوَاحِبَاتُ يُوسُفَ}؛ وإنَّنِي أَحْمَدُ اللهَ، فقد طَحَنَ الجَـرْحُ والتعـديلُ عبـدَالرحيم الطحـان [جـاءَ في كتـابِ (فتـاوى اللجنـة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء) أنَّ اللجنـةَ (عبـدالعزيز بن عبدالله بن باز وعبدالله بن غـديان وصـالح الفـوزان وعبـدالعزيز آل الشـيخ وبكـر أبـو زيـد) سُـئلَتْ: جاءَتْنـا أَشْـرِطَةٌ مُسَـجَّلةٌ لعـالِمَين جَلِيلَين، همـا الشـيخ العلّامـة

محمـد ناصـر الـدين الألبـاني مُحَـدِّث الشَّـامِ، والشـيخ العلّامة مُقْبِل بن هادي الوادِعِي مُحَدِّث اليَمَنِ، يَتَحَـدَّثان فيهـا عنِ الداعيَـةِ المعـروفِ عبـدِالرحيم الطحـان، حيث إنَّهما جاءَتْهم استِفساراتٌ حولَ صِحَّةِ ما يقولُه الطحـان مِن أقاويلَ، منها (أنَّه يَذهَبُ إلى وُجوبِ تَقلِيدِ المَـذاهِبِ الأرْبَعةِ، وأنَّ نَبْذَ تَقْلِيدِ هذه المَذاهِبِ ما هو إلَّا ضَـلَالٌ)؟. فأجابتِ اللجنةُ: إنَّه لا يَجِبُ تَقلِيدُ أَحَدٍ مِنَ العُلماءِ، وإنَّمـا يُؤْخَـذُ بقَـولِ العـالِمِ إذا وافَـقَ الـدَّلِيلِ؛ والـواجِبُ على الجَمِيـعِ اتِّبـاع الرسـولِ صـلى اللـهُ عليـه وسـلم، فهـو القُدْوةُ لِجَمِيعِ المؤمنِين، قالَ اللهُ تَعالَى {لَّقَدْ كَـانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ}، وقـالَ اللـهُ تَعـالَى {وَمَـا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَـاكُمْ عَنْـهُ فَـانتَهُوا}. انتهى باختصار]، وقَرَّضَ لِسَانَ يوسفَ بنِ عبدِالله القرضـاوي؛ وإنِّنِي أَحْمَدُ اللهَ، المُبتَدِعةُ تَرْجُفُ أَفْئِدَتُهم مِن شَرِيطٍ... فَسُئِلَ -أي الشيخُ الوادِعِيُّ-: والذي يقولُ {إنَّه [أَيْ زَمَنَ الجَـرْحِ والتَّعـدِيلِ] اِنتَهَى مـع زَمَنِ الرِّوايَـةِ}؟. فأجـابَ الشـيخُ: الـذي يقـولُ إنَّه اِنتَهَى يـا إخـوانُ، هُمْ يَعْلَمـون أنَّهم مَجْرُوحون، مِن أجْلِ هذا ما يُرِيـدون أنْ يَتَكَلَّمَ أَحَـدٌ في الجَرْحِ والتَّعدِيلِ، فَهُمْ يَخَافون مِنَ الجَـرْحِ والتَّعـدِيلِ لأنَّهم يَعرِفـون أنَّهم مَجْرُوحـون. انتهى باختصـار. وفي فتـوى للشـيخِ ربيـع المـدخلي (رئيسُ قسـمِ السُّـنَّةِ بالدراسـات العليـا في الجامعـة الإسـلامية بالمدينـة المنـورة) على موقعـه في هـذا الرابط، سُـئلَ الشـيخُ {اِتَّخَذَ البعضُ السُّكوتَ عن أخطاء الجماعـات الإسـلامية مَنهَجًـا لـه، وَ[زَعَمَ] أنَّ هـذه هي الحِكمـةُ، وأصـبَحَ هـذا [السُّكُوتُ] مَنهَجًا له أتْباعٌ يَسِـيرون عليـه، مـا حُكْمُ هـذا المَنهَجِ الجَدِيدِ اليَومَ؟}؛ فأجابَ الشيخُ: أخشى أن يكـون هناك مُبالَغةٌ في هذا السؤال، أنـا لا أعتقـد عالِمًـا يَـرَى هذا المنهجَ؛ فَعَلَى فَرْضِ وُقوعِه ووُجودِه فإن هذا خطأ، ويجب على مَن يَقـولُ هـذا الكَلامَ ويُنَظِّرُ هـذا التَّنظِـيرَ

ويُؤَصِّـلُ هـذا التأصـيل، يجب أن يتـوب إلى اللـه تبـارك وتعـالى، فـإنَّ اللـهَ مَيَّزَ هـذه الأُمَّةَ وفَضَّـلَها على سـائر الأُمم بعدمِ السُّكوتِ، بل بالتصريحِ، والتوضـيحِ، والجهـادِ وعلى رَأْسِهِ الأمرُ بِـالمَعروفِ والنَّهْيُ عنِ المُنكَـرِ {كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِـالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَـوْنَ عَنِ الْمُنكَـرِ وَتُؤْمِنُـونَ بِاللَّهِ}، وقـد لَعَنَ اللـهُ بـني إسـرائيلَ لِاتِّخـاذِهم مِثْـلَ هـذا المَنهَجِ السُّـكوتِيِّ المُقِـرِّ للباطِـلِ المُغَلَّفِ بِــ (الحِكمـةِ)، قـال {لُعِنَ الَّذِينَ كَفَـرُوا مِنِ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، ذَلِـكَ بِمَـا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ، كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُـوهُ، لَبِئْسَ مَـا كَـانُوا يَفْعَلُـونَ}، والرسـولُ يقـولُ {مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَـرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَـدِهِ، فَـإِنْ لَمْ يَسْـتَطِعْ فَبِلِسَـانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ}؛ الأمرُ بالمَعروفِ والنَّهْيُ عنِ المُنكرِ أصلٌ عظيمٌ مِن أصـولِ الإسـلامِ، لا يَقُـومُ الإِسـلامُ إلَّا بـه، وَلَا تُحـرِزُ الأُمَّةُ التَّقَدُّمَ على سائرِ الأُمَمِ إلَّا إذا قاموا بِـه، فـإنْ هُمْ قَصَّـروا اِسـتَحقُّوا سَـخَطَ اللـهِ بَـلْ لَعْنَتَـه كَمـا لَعَنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فإذا قَصَّرْنا في هـذا الـدِّينِ وتَرَكْنـاه يَعبَثُ بـه أهلُ الأهواءِ والضَّلالِ وجارَيناهُمْ وسَـكَتْنا عنهم وَسَـمَّيْنا ذلك (حِكمةً)، فإنَّنا نَستَوجِبُ سَخَطَ اللهِ تبـارك وتعـالى، ونعـوذ باللـه مِن سَـخَطِه، ونسـأل اللـهَ -إنْ كـانَ لهـذا الصِّنفِ وُجودٌ- أنْ يَهدِيَهم، وأنْ يُبَصِّـرَهم بِطَرِيـقِ الحَـقِّ، وأنْ يُبَصِّرَهم بِعَيبِهم العظيمِ الذي وَقَعوا فيـه فَيَخرُجـوا منه إلى دائرةِ الدُّعاةِ إلى اللهِ بِحَقٍّ، الآمِرِين بـالمعروف والناهِين عنِ المُنكَرِ، الصادِعِين بـه {فَاصْـدَعْ بِمَـا تُـؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ} كذلك اِصْدَعْ بِمَا تُـؤْمَرُ وَأَعْـرِضْ عَنِ المُبتَدِعِين الضَّـالِّين. انتهى باختصـار. وقـالَ الشـيخُ عبدُالعزيز الراجحي (الأستاذ في جامعة الإمام محمد بن سعود في كلية أصول الدين، قسم العقيدة) في (شـرح "شـرح السـنة للبربهـاري"): فـالكفرُ يَهْـدِمُ الإسـلامَ،

والبدعُ تُضْعِفُ الإسلامَ، ومَن عَظَّمَ صاحبَ بدعةٍ فقد أعانَ على هَدْمِ الإسلامِ، لأنه أعانَه على الباطلِ، ومَن تَبَسَّمَ في وَجْهِ مُبتدِعٍ فقد استَخَفَّ بما أَنْزَلَ اللهُ عز وجل على محمد صلى الله عليه وسلم، وذلك أنَّه يَنبَغِي للإنسانِ أنْ يَعْبِسَ في وَجْهِ المُبتدِعِ ولا يَتَبَسَّمُ في وَجْهِه. انتهى. وقالَ الشيخُ محمد بنُ الأمين الدمشقي في مقالةٍ له بعنوان (الحوار الهادي مع الشيخ القرضاوي) على موقعه في هذا الرابط: والسَّلَفُ الصالحُ رَضِيَ اللهُ عنهم لم يَقِفوا في مُحارَبَةِ أَهْلِ البِدَعِ والضَّلالِ، بالرَّدِّ عليهم وبَيَانِ باطِلِهم، بَلْ أَخَذوا يُحَذِّرون الناسَ مِن مُجالَسَتِهم أو مُحادَثَتِهم أو التَّبَسُّمِ إليهم أو السَّلامِ عليهم أو رَدِّه عليهم، بَلْ ويُحَذِّرون أيضًا مِن مُجاوَرَتِهم في الدُّورِ... ثم قالَ -أَيِ الشيخُ الدمشقي-: رَحِمَ اللهُ أئمَّةَ السَّلَفِ، ما أَصْلَبَهم على الحَقِّ، وما أَشَدَّهم على الباطِلِ وأَهْلِه، ولذلك حَفِظَ اللهُ الدِّينَ بهم، أَمَّا زَمانُنا فقد اِخْتَلَطَ فيه الأمْرُ، وضاعَ الحَقُّ في الباطِلِ، فلا تَمييزَ بين سُنِّيٍّ وبِدْعِيٍّ، ولو قلتَ لِأَحَدِهم {اِتَّقِ اللهَ، ولا تَجلِسْ مع فُلَانٍ، لأَنَّه صاحِبُ بِدعةٍ}، قالَ لك {اِتَّقِ اللهَ أنتَ، ولا تَقَعْ في أعراضِ المُسلِمِين}!. انتهى باختصار. وفي فيديو للشيخ صالح الفوزان (عضوُ هيئةِ كِبار العلماءِ بالدِّيَارِ السعوديةِ، وعضوُ اللجنةِ الدائمةِ للبحوثِ العلميةِ والإفتاءِ) بعُنْوانِ (حكم زيارة أهل البدع والأهواء وعيادتهم)، قال الشيخُ: زيارتُهم لدعوتِهم إلى الله وطَلَبِ التَّوبةِ منهم طَيِّبٌ، زيارةُ مرضاهم لِأجْلِ دعوتِهم لا بَأْسَ، أما زيارتُهم لغيرِ دَعْوةٍ لا يَجُوزُ. انتهى باختصار. وفي فيديو للشيخ صالح الفوزان أيضا بعُنْوانِ (ما حُكْمُ مُجالَسةِ أَهْلِ البِدَعِ بِحُجَّةِ التَّقَرُّبِ إليهم وتَعلِيمِهم الدِّينَ الصّحِيحَ؟)، قالَ الشيخُ: لا تَقْرَبْ مِن أَهْلِ البِدَعِ أبَدًا، يُؤَثِّرون عليك، وتَأْثَمُ بجُلوسِك معهم، اِبتَعِدْ عنهم إلَّا إذا دَعَتِ الحاجَةُ إلى

مُناظَرَتِهم وبَيَانِ ما هُمْ عليه مِنَ الباطِلِ وأنتَ عندك أهْلِيَّةٌ لذلك، فلا مانِعَ، في حُدُودٍ. انتهى. وقالَ الشيخُ زكريا الأنصاري (ت926هـ) في (أسنى المطالب): تَجِبُ الْهِجْرَةُ مِنْ دَارِ الْكُفْرِ إلَى دَارِ الإِسْلَامِ عَلَى مُسْتَطِيعٍ لَهَا إنْ عَجَزَ عَنْ إظْهَارِ دِينِهِ [قالَ الشيخُ حَمَدُ بن عَتِيقٍ (ت1301هـ) في (سبيل النجاة والفكاك من موالاة المرتدين والأتراك): الرَّجُلُ لا يكونُ مُظْهِرًا لدِينِه حتى يَتَبَرَّأَ مِن أهلِ الكُفْرِ الذي هو بَيْنَ أظْهُرِهم، ويُصَرِّحَ لهم بأنَّهم كفارٌ، وأنَّه عَدُوٌّ لهم، فإنْ لم يَحْصُلْ ذلك لم يَكُنْ إظهارُ الدِّينِ حاصِلًا. انتهى. وقالَ الشيخُ حَمَدُ بن عَتِيقٍ أيضًا في (الدُّرَرُ السَّنِيَّةُ في الأَجْوِبةِ النَّجْدِيَّةِ): وإظهارُ الدِّينِ تكفيرُهم، وعَيْبُ دِينِهم، والطَّعْنُ عليهم، والبراءةُ منهم، والتَّحَفُّظُ مِن مُوَادَّتِهِمْ والرُّكونِ إليهم، واعتزالُهم، وليس فِعْلُ الصلواتِ فقط إظهارًا للدِّينِ؛ وقولَ القائلِ {إنَّا نعتزلُهم في الصلاةِ، ولا نأكلُ ذَبِيحَتَهم} حَسَنٌ، لكنْ لا يَكْفِي في إظهارِ الدِّينِ وحده، بلْ لا بُدَّ مِمَّا ذُكِرَ. انتهى. وقالَ الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبداللطيف آل الشيخ (رئيس القضاة ومفتى الديار السعودية ت1389هـ): وإظهارُه دِينَه ليس هو مُجَرَّدَ فِعْلِ الصلاة وسائر فروع الدين واجتناب محرماته مِنَ الربا والزِّنَى وغير ذلك، إنما إظهارُ الدين مُجاهَرتُه بالتوحيد والبراءةُ مما عليه المشركون مِنَ الشركِ بالله في العبادة وغير ذلك مِن أنواعِ الكفرِ والضلال. انتهى من (فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم). وقالَ الشيخُ إسحاقُ بنُ عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب (ت1319هـ): قال في الإقناع [لِلْحَجَّاوِيِّ (ت968هـ)] وشرحه [للبُهُوتِيِّ (ت1051هـ)] {وَتَجِبُ الْهِجْرَةُ عَلَى مَنْ يَعْجِزُ عَنْ إظْهَارِ دِينِهِ بِدَارِ الْحَرْبِ، وَهِيَ مَا يَغْلِبُ فِيهَا حُكْمُ الْكُفْرِ، زَادَ جَمَاعَةٌ [أَيْ مِنَ العلماءِ] وَقَطَعَ بِهِ فِي الْمُنْتَهَى [يعني (منتهى الإرادات)

لابن النجـار] (أَوْ بَلَـدِ بُغَـاةٍ، أَوْ بِـدَعٍ مُضِـلَّةٍ كـرفض واعتزال)، فَيَخْـرُجُ مِنْهَـا إلَى دَارِ أَهْـلِ السُّـنَّةِ وُجُوبًـا إنْ عَجَزَ عَنْ إظْهَارِ مَذْهَبِ أَهْلِ السُّنَّةِ فِيهَا}... ثم قـال -أَيِ الشـيخُ إسـحاقُ-: وقـال الشـيخ العلامـة حَمَـدُ بن عَتِيـقٍ رحمـه اللـه [في (سـبيل النجـاة والفكـاك من مـوالاة المرتدين والأتراك)] {وأما مسألة إظهار الـدين، فكثـير من الناس قد ظَنَّ أنـه إذا قَـدِرَ أن يتلفـظ بالشـهادتين، وأن يصلي الصلوات الخمس ولا يُرَدُّ عن المساجد، فقـد أَظْهَرَ دينَه وإن كان ببلد المشركِين، وقد غَلَطَ في ذلـك أَقْبَحَ الغَلَطِ}، قال [أَيِ الشيخُ حَمَدُ] {ولا يكون المسـلمُ مُظهِرًا للدين، حتى يُخالِف كلَّ طائفة بما أُشْـتُهِرَ عنهـا، ويُصَرِّحَ لها بعداوته، فمَن كـان كُفْـرُه بالشـركِ فإظهـارُ الـدين عنـده أن يُصَـرِّحَ بالتوحيـد، والنَّهْيِ عن الشـرك والتحذيرِ منه، ومَن كـانَ كُفْـرُه بجحـد الرسـالة فإظهـارُ الدِّين عنده التصريح بأنَّ محمدا رسـولُ اللـهِ، ومَن كـان كُفْرُه بترك الصلاة فإظهار الـدين عنـده بفعـل الصـلاة، ومَن كـان كُفْـرُه بمـوالاة المشـركِين والـدخول في طاعتهم فإظهارُ الدين عنده التصريح بعداوتـه والـبراءة منـه ومِن المشـركِين}... إلى آخـر كلامـه رحمـه اللـه تعالى؛ فالحاصل هـو مـا قَـدَّمناه، مِن أنَّ إظهـارَ الـدين الذي تبرأ به الذمةُ، هو الامتيازُ عن عُبَّادِ الأَوْثانِ بإظهـار المعتقد، والتصريحُ بما هو عليه [أي وتصريحُ المُوَحِّدِ بما هو عليه مِمَّا يُخالِفُ فيه المشركين]، والبُعْدُ عنِ الشرك ووسائله، فمَن كان بهذه المثابةِ إنْ عَرَفَ الـدينَ بدليلِـه وأَمِنَ الفتنةَ، جـاز لـه الإقامـةُ؛ بَقِيَ مسـألةُ العـاجزِ عنِ الهجرة، ما يَصْنَعُ؟، قـال الوالـدُ [الشـيخ عبـدالرحمن بن حسن آل الشيخ (ت1285هـ)] رحمه الله لَمَّا سُـئِلَ عنـه {وأما إذا كان المُوَحِّدُ بين ظهراني أنـاسٍ مِنَ المبتدعـةِ والمشـركِين، ويعجـزُ عنِ الهجـرةِ، فعليـه بتقـوى اللـه ويعتزلُهم ما استطاعَ، ويَعْمَلُ بما وَجَبَ عليه في نَفْسِه،

ومع مَن يُوافِقُه على دِينِه، وعليهم أنْ يَصْبِروا على أَذَى مَن يُـؤذِيهم في الـدينِ، ومَن قَـدِرَ على الهجـرة وَجَبَتْ عليه}. انتهى باختصـار من (الأجوبـة السَّـمعيَّات لحـلِّ الأسـئلة الروَّافيَّات، بعنايـة الشـيخ عـادل المرشـدي). وقـالَ الشَّـوْكَانِيُّ في (الفتح الربـاني): والقاعِـدُ عنِ الهِجـرةِ داخِـلٌ تَحْتَ قَولِـه تَعـالَى {إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ}. انتهى]، سَـوَاءٌ الرَّجُـلُ وَالْمَـرْأَةُ (وَإِنْ لَمْ تَجِـدْ مَحْرَمًـا)، وَكَذَا كُلُّ مَنْ أَظْهَرَ حَقًّا بِبَلْدَةٍ مِنْ بِلَادِ الإِسْلَامِ وَلَمْ يُقْبَلْ مِنْهُ وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى إظْهَارِهِ تَلْزَمُهُ الْهِجْرَةُ مِنْهَا؛ فَـإِنْ لَمْ يَسْتَطِعِ الْهِجْرَةَ فَهُوَ مَعْـذُورٌ إلَى أَنْ يَسْـتَطِيعَ؛ وَإِنْ قَـدَرَ عَلَى إظْهَـارِ دِينِـهِ لِكَوْنِـهِ مُطَاعًـا فِي قَوْمِـهِ أَوْ لِأَنَّ لَـهُ عَشِـيرَةً تَحْمِيـه (وَلَمْ يَخَـفْ فِتْنَـةً فِيـهِ [أَيْ فِي دِينِـهِ]) أُسْتُحِبَّ لَهُ أَنْ يُهَاجِرَ لِئَلَّا يَكْثُرَ سَوَادُهُمْ أَوْ يَمِيلَ إلَيْهِمْ أَوْ يَكِيـدُوا لَـهُ. انتهى باختصـار. وقـالَ الشـيخُ إسـحاقُ بنُ عبـدالرحمن بن حسـن بن محمـد بن عبـدالوهاب (ت 1319هـ): وَكَلَامُ أبي عبدالله الحليمي في هـذا المَقـامِ واضِحٌ، فإنَّه قالَ [في المنهاج في شعب الإيمان] {وكُلُّ بَلَدٍ ظَهَرَ فيهـا الفسـادُ، وكـانت أيـدي المفسـدِين أعلى مِن أيدي أهل الصـلاح، وغَلَبَ الجهـلُ، وسُـمِعَتِ الأهـواءُ فيهم، وضَعُفَ أهلُ الحق عن مقاوَمَتِهم، واضْـطُرُّوا إلى كتمانِ الحَقِّ خوفًا على أنْفُسِهم مِنَ الإعلانِ، فهو كَمَكَّةَ قَبْلَ الفتحِ في وجوب الهجرة منها، لعدم القدرة عليها، ومَن لم يُهـاجِرْ فهـو مِنَ السُـمَحَاءُ بِدِينِـه [أَيْ مِنَ المتسـاهلِين في دِينِـه]}؛ وقـال [أَيْ عبداللـه الحليمي] {ومِنَ الشُّـحِّ بالـدِّينِ [أَيْ ومِنَ الحِـرْصِ على الـدِّين] أنْ يُهاجرَ المسلمُ مِن موضعٍ لا يُمْكِنُه أنْ يُوَفِّيَ الـدِّينَ فيـه حُقوقَـه، إلى موضـعٍ يُمْكِنُـه فيـه ذلـك}. انتهى من (الأجوبـة السَّـمعيَّات لحـلِّ الأسـئلة الروَّافيَّات، بعنايـة الشيخ عـادل المرشـدي). وَقـالَ اِبْنُ كثـيرٍ في (البدايـة والنهايـة): وَقَـدِ اعْتَـزَلَ جَمَاعَـةٌ مِنَ السَّـلَفِ النَّاسَ،

وَالْجُمُعَةَ وَالْجَمَاعَةَ، وَهُمْ أَئِمَّةٌ كِبَارٌ، كَأَبِي ذَرٍّ، وَسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، وَسَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ، وَسَلَمَةَ بْنِ الأَكْوَعِ، فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ، حَتَّى اعْتَزَلُوا مَسْجِدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي الصَّلَاةُ فِيهِ بِأَلْفِ صَلَاةٍ؛ وَاعْتَزَلَ مَالِكٌ الْجُمُعَةَ وَالْجَمَاعَةَ فِي مَسْجِدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ مَعْرِفَتِهِ الْحَدِيثَ فِي فَضْلِ الصَّلَاةِ فِيهِ، فَكَانَ لَا يَشْهَدُ جُمُعَةً وَلَا جَمَاعَةً، وَكَانَ إِذَا لِيمَ فِي ذَلِكَ يَقُولُ (مَا كَلُّ مَا يُعْلَمُ يُقَالُ)، وَقِصَّتُهُ مَعْرُوفَةٌ؛ وَكَذَلِكَ اِعْتَزَلَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ، وَخَلْقٌ مِنَ التَّابِعِينَ وَتَابِعِيهِمْ، لِمَا شَاهَدُوهُ مِنَ الظُّلْمِ وَالشُّرُورِ وَالْفِتَنِ خَوْفًا عَلَى إِيمَانِهِمْ أَنْ يُسْلَبَ مِنْهُمْ؛ وَقَدْ ذَكَرَ الْخَطَّابِيُّ [ت388هـ] فِي كِتَابِ (الْعُزْلَةِ) وَكَذَلِكَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا [في كتابِه (الْعُزْلَةُ وَالانْفِرَادُ)، وقد تُوُفِّيَ عامَ 281هـ] قَبْلَهُ مِنْ هَذَا جَانِبًا كَبِيرًا. انتهى. وجاءَ في كِتابِ (إجابة فضيلة الشيخ علي الخضير على أسئلة اللقاء الذي أُجْرِيَ مع فضيلته في مُنْتَدَى "السلفيون") أنَّ الشيخَ سُئِلَ {ما واجبُ الآباءِ والأُمَّهَاتِ في بلادِ الغَرْبِ تِجَاهَ أبنائِهم وبَنَاتِهم؟، وما هو السبيلُ لحِفْظِهم مِنَ الانْزِلاقِ في مَهَاوِي الرَّدَى والانْحِطاطِ، والاتِّباعِ للكفارِ وأعمالِهم وأَخْلاقِيَّاتِهم؟}، فكان مِمَّا أجابَ به الشيخُ: واعْلَمْ يا أَخِي أنَّ بَقَاءَهم في بلادِ الكفرِ، ودارِ الكفرِ والحربِ، أَمْرٌ خَطِيرٌ، قالَ صلى الله عليه وسلم {أَنَا بَرِيءٌ مِمَّن أَقامَ بَيْنَ ظَهْرَانَي الْمُشْرِكِينَ} رواه أبو داود، وقالَ إبراهيمُ {إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ، إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ}، والسبيلُ الوحيدُ [هو] الهجرةُ مِن بلادِ الكُفرِ -بالإجماعِ، مع القُدرةِ عليها- إلى بَلَدِ الإسلامِ الذي تَتَمَكَّنون فيه مِن إقامةِ دِينِكم، إنْ تَيَسَّرَ ذلك، فإنْ لم يَتَيَسَّرْ ذلك [فَعَلَيْكُمْ حِينَئِذٍ] أنْ تَعْتَزِلوا الكفارَ (وهي مِلَّةُ إبراهيمَ "وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ") مع جِهادِهم ودَعْوَتِهم. انتهى. وقالَ الشيخُ سلطانُ العيد (إمام وخطيب جامع

خالــد بن الوليــد بحي البديعــة بالريــاض) في مُحاضَــرةٍ بعنــوان (كَشْــفُ الغُمَّةِ عن أهــلِ الغُربــة) مُفَرَّغَــةٍ على موقعـه في هـذا الرابط: وأمَّا فتنـةُ الشُّـبهاتِ والأهـواءِ المُضِـلَّةِ، فَبِسَـبَبِها تَفَـرَّقَ أهـلُ القِبلـةِ وصـاروا شِـيَعًا، وصـاروا أعـداءً وفِرَقًـا وأحزابًـا بعـدَ أن كـانوا إخوانًـا، قُلُوبُهم على قَلْبِ رَجُلٍ واحِدٍ، فَلَمْ يَنْجُ مِن هـذه الفِـرَقِ إلَّا الفرقةُ الواحِدةُ الناجِيَـةُ، وَهُمُ المـذكورون في قولِـه صــلَّى اللــه عليــه وســلَّم {لَا تَــزَالُ طَائِفَــةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَـذَلَهُمْ أَوْ خَـالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْـرُ اللـهِ وَهُمْ عَلَى ذَلِـكَ} [قـالَ الشـيخُ أبـو سلمان الصومالي في (تأييد ومناصـرة للبيـان الختـامي لعلمـاء الولايـات الإسـلامية في الصـومال): والظُّهـورُ وَالْغَلَبَةُ بِالحُجَّةِ والبَيَانِ دائمًا، وبِالسَّيفِ والسِّـنَانِ أحيانًـا أو غالِبًـا لِأنَّ الحَـرْبَ سِـجالٌ والأيَّامَ دُوَلٌ [قـالَ الشَّـيخُ عبدُاللـه الخليفي في (تَقـوِيمُ المُعاصِـرِين): قـالَ اللـهُ تَعالَى {وَعَـدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُـوا مِنكُمْ وَعَمِلُـوا الصَّـالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأرضِ كَمَا اسْــتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُـدُونَنِي لَا يُشْـرِكُونَ بِي شَـيْئًا وَمَن كَفَـرَ بَعْــدَ ذَلِــكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِــقُونَ}، فَجَعَــلَ شَــرْطَ الاسـتِخلافِ الإيمـانَ الصَّـحِيحَ والعَمَـلَ الصَّـالِحَ وتَـرْكَ الشِّــرْكِ، فَـدَلَّ على [أنَّ] الاعتِقـاداتِ الباطِلـةَ والبِـدَعَ العَمَلِيَّةَ والشِّـركَ هي أكبَـرُ عـائقٍ لِلتَّمكِينِ؛ وقـالَ اللـهُ تَعالَى {وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ، إِنَّ اللَّهَ لَقَـوِيٌّ عَزِيــزٌ، الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأرضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَـاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ}، فَجَعَلَ التَّمكِينَ والنُّصرةَ لِأهلِ الأمْـرِ بِـالمَعروفِ والنَّهيِ عنِ المُنكَرِ، وأعظَمُ المَعـروفِ التَّوحِيـدُ والسُّـنَّةُ وأعظَمُ المُنكَرِ الشِّركُ والبِدعةُ. انتهى. وقـالَ الشـيخُ محمـد بن يوسف الصالحي الشامي (ت942هـ) في (سـبل الهـدى

والرشاد في سيرة خير العباد، تحقيق وتعليق الشيخ عادل أحمد عبدالموجود): (سِجَالٌ) جَمْعُ سَجْلٍ، أَيْ مَرَّةً لَنَا وَمَرَّةً عَلَيْنَا. انتهى باختصار. وقالَ ابنُ المُلَقِّن (ت 804هـ) في (التوضيح لشرح الجامع الصحيح): (دُوَلٌ) جَمْعُ دَولَةٍ، وَمَعْنَاهُ رُجُوعُ الشَّيْءِ إِلَيْكَ مَرَّةً وَإِلَى صَاحِبِكَ أُخْرَى تَتَدَاوَلانِهِ. انتهى باختصار. وقالَ الأَلُوسِيُّ فِي (رُوحُ الْمَعَانِي): إِنَّهُ تَعَالَى لَا يَنْصُرُ الْكَافِرَ عَلَى الْحَقِيقَةِ، وَإِنَّمَا يُغَلِّبُهُ أَحْيَانًا اسْتِدْرَاجًا وَابْتِلَاءً لِلْمُؤْمِنِ، وَأَيْضًا لَوْ كَانَتِ النُّصْرَةُ دَائِمًا لِلْمُؤْمِنِينَ لَكَانَ النَّاسُ يَدْخُلُونَ فِي الإِيمَانِ عَلَى سَبِيلِ الْيُمْنِ وَالْفَأْلِ، وَالْمَقْصُودُ غَيْرُ ذَلِكَ... ثم قالَ -أَيِ الأَلُوسِيُّ-: فَإِنَّ الْكُفَّارَ إِذَا غَلَبُوا أَحْيَانًا اِغْتَرُّوا وَأَوْقَعَهُمُ الشَّيْطَانُ فِي أَوْحَالِ الأَمَلِ وَوَسْوَسَ لَهُمْ فَبَقَوْا مُصِرِّينَ عَلَى الْكُفْرِ فَأَهْلَكَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِذُنُوبِهِمْ وَخَلَّدَهُمْ فِي النَّارِ. انتهى باختصار. وقالَ الْبَغَوِيُّ في (معالم التنزيل) عند تَفسِيرِ قَوْلِهِ تَعالَى (وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ): قَالَ الزَّجَّاجُ {الدَّوْلَةُ تَكُونُ لِلْمُسْلِمِينَ عَلَى الْكُفَّارِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى (وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ)، وَكَانَتْ يَوْمَ أُحُدٍ لِلْكُفَّارِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ لِمُخَالَفَتِهِمْ أَمْرَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ}... ثم قالَ -أَيِ الْبَغَوِيُّ-: إِنَّمَا كَانَتْ هَذِهِ الْمُدَاوَلَةُ لِيَرَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا فَيُمَيِّزُ الْمُؤْمِنُ مِنَ الْمُنَافِقِ وَيُكْرِمُ أَقْوَامًا بِالشَّهَادَةِ. انتهى باختصار. وقالَ الشَّيخُ محمد أبو زهرة (عُضْوُ مجمع البُحوثِ الإسلامِيَّةِ، والْمُتَوَفَّى عامَ 1394هـ) في (زهرة التفاسير): وَقَدْ نَبَّهَ سُبْحَانَهُ إِلَى طَرِيقِ الاسْتِفَادَةِ مِنَ الْهَزِيمَةِ [أَيْ هَزِيمةِ المُؤمِنِين يَومَ أُحُدٍ]، بِأَنْ نُخَلِّصَ أَنْفُسَنَا مِنْ شَوَائِبِهَا، وَنُمَحِّصَ جَمَاعَتَنَا، فَهَلْ لَنَا أَنْ نَسْتَفِيدَ مِنْ ذَلِكَ؟!، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُدَاوِلُ بَيْنَ النَّاسِ، وَقَدْ دَالَتْ عَلَيْنَا الأَزْمَانُ بِمَا فَعَلْنَا وَبِمَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَبِاسْتِخْذَائِنَا وَضَعْفِنَا... ثم قالَ -أَيْ أَبو

زهـرة -: لَا عَجَبَ فِي أَنْ يُهْزَمُـوا لِأَنَّهُمْ خَـالَفُوا قَائِدَهُمْ، وَاللَّهُ سُــبْحَانَهُ وَتَعَــالَى قَــدَّرَ لَهُمْ تِلْــكَ الْهَزِيمَــةَ لِكَيْ يَعْتَبِرُوا، وَيُحْسِنُوا التَّدْبِيرَ، وَيُحْسِـنُوا الطَّاعَـةَ، وَيَحْتَرِمُـوا حَقَّ الْقِيَادَةِ الْحَكِيمَةِ الرَّشِيدَةِ، وَلِكَيْ يَتَّخِذُوا مِنَ الْهَزِيمَةِ عِلَاجًا لِلْأَخْطَاءِ الَّتِي سَبَّبَتْهَا وَتَوَقِّيًا فِي الْمُسْـتَقْبَلِ لَهَـا، وَلِكَيْ يَبُثَّ فِي نُفُـوسِ أَهْـلِ الإيمَـانِ أَنَّ الْحَـرْبَ لَيْسَـتْ نَصْـرًا مُسْـتَمِرًّا، وَلَكِنَّ الْعَاقِبَـةَ فِي النِّهَايَـةِ لِأَهْـلِ الْحَـقِّ وَالْعَــدْلِ وَالرَّشَــادِ، وَهُنَــاكَ فَائِدَةٌ لِلْهَزِيمَــةِ أَنَّهَــا تُبَيِّنُ الصَّادِقَ الإيمَانِ مِنَ الْمُنَافِقِ الَّذِي لَا يُؤْمِنُ بِشَيْءٍ، فَفِي الْمِحْنَـةِ يَتَمَيَّزُ الْخَبِيثُ مِنَ الطَّيِّبِ، وَإِذَا كَـانَ النَّصْـرُ فِي بَـدْرٍ قَـدْ فَتَحَ بَـابَ النِّفَـاقِ فَـدَخَلَ فِي الإِسْـلَامِ مَنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِـهِ وَأَعْلَنُـوا الاعْتِقَـادَ [أيِ الإِسـلامَ] مَنْ يُبْطِنُـونَ خِلَافَهُ وَيُخْفُونَ مَا لَا يُبْدُونَ، فَـإِنَّ الْهَزِيمَـةَ فِي أُحُـدٍ قَـدْ كَشَفَتِ النِّفَاقَ وَالْمُنَافِقِينَ، وَحَسْبُهَا ذَلِـكَ فَائِدَةً. انتهى باختصار. وقالَ الزَّمَخْشَرِيُّ (ت538هـ) فِي (الكَشَّـافُ): إِنْ كَانَتِ الدَّوْلَـةُ عَلَى الْمُـؤْمِنِينَ فَلِلتَّمْيِـيزِ والاسْتِشْـهَادِ وَالتَّمْحِيصِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ أَصْلَحُ لَهُمْ، وَإِنْ كَانَتْ عَلَى الْكَافِرِينَ فَلِمَحْقِهِمْ وَمَحْوِ آثَارِهِمْ. انتهى. وقـالَ الشـيخُ عليُّ بنُ نايف الشحود في (المهذب في عوامـل النصـر والهزيمـة): وقـد تَكَلَّمَ الإمـامُ الـرَّازيُّ عنِ الحِكمـةِ في مُداوَلةِ الأيَّامِ بَيْنَ الناسِ فقـالَ {وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ الْمُـرَادُ مِنْ هَذِهِ الْمُدَاوَلَـةِ أَنَّ اللَّهَ تَعَـالَى تَـارَةً يَنْصُـرُ الْمُـؤْمِنِينَ وَأُخْـرَى يَنْصُـرُ الْكَـافِرِينَ، وَذَلِـكَ لِأَنَّ نُصْـرَةَ اللَّهِ مَنْصِـبٌ شَرِيفٌ وَإِعْزَازٌ عَظِيمٌ، فَلَا يَلِيقُ بِالْكَـافِرِ، بَـلِ الْمُـرَادُ مِنْ هَذِهِ الْمُدَاوَلَةِ أَنَّهُ تَارَةً يُشَدِّدُ الْمِحْنَةَ عَلَى الْكُفَّارِ وَأُخْـرَى عَلَى الْمُــؤْمِنِينَ، وَالْفَائِدَةُ فِيــهِ مِنْ وُجُــوهٍ؛ الأَوَّلُ، أَنَّهُ تَعَالَى لَوْ شَـدَّدَ الْمِحْنَـةَ عَلَى الْكُفَّارِ فِي جَمِيـعِ الأَوْقَـاتِ وَأَزَالَهَا عَنِ الْمُؤْمِنِينَ فِي جَمِيـعِ الأَوْقَـاتِ **لَحَصَـلَ الْعِلْمُ الاضْطِرَارِيُّ بِأَنَّ الإيمَانَ حَقٌّ وَمَا سِوَاهُ بَاطِلٌ**، وَلَـوْ كَـانَ كَذَلِكَ لَبَطَلَ التَّكْلِيـفُ وَالثَّوَابُ وَالْعِقَـابُ، فَلِهَـذَا الْمَعْنَى

تَارَةً يُسَلِّطُ اللَّهُ الْمِحْنَةَ عَلَى أَهْلِ الإيمَـانِ، وَأُخْـرَى عَلَى أَهْـلِ الْكُفْـرِ **لِتَكُـونَ الشُّـبَهَاتُ بَاقِيَـةً وَالْمُكَلَّفُ يَـدْفَعُهَا** بِوَاسِطَةِ النَّظَـرِ فِي الـدَّلَائِلِ الدَّالَّةِ عَلَى صِـحَّةِ الإِسْـلَامِ فَيَعْظُمُ ثَوَابُـهُ عِنْـدَ اللَّهِ؛ وَالثَّانِي، أَنَّ الْمُـؤْمِنَ قَـدْ يُقْـدِمُ عَلَى بَعْضِ الْمَعَاصِـي، فَيَكُـونُ عِنْـدَ اللَّهِ تَشْـدِيدُ الْمِحْنَـةِ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا أَدَبًا لَهُ، وَأَمَّا تَشْدِيدُ الْمِحْنَـةِ عَلَى الْكَـافِرِ فَإِنَّهُ يَكُونُ غَضَبًا مِنَ اللَّهِ عَلَيْـهِ؛ وَالثَّالِثُ، وَهُـوَ أَنَّ لَـذَّاتِ الدُّنْيَا وَآلَامَهَا غَيْرُ بَاقِيَةٍ، وَأَحْوَالُهَا غَيْـرُ مُسْـتَمِرَّةٍ، وَإِنَّمَـا تَحْصُلُ السَّعَادَاتُ الْمُسْتَمِرَّةُ فِي دَارِ الْآخِرَةِ، وَلِذَلِكَ فَإِنَّهُ تَعَالَى يُمِيتُ بَعْدَ الإِحْيَاءِ، وَيُسْقِمُ بَعْدَ الصِّحَّةِ، فَإِذَا حَسُـنَ ذَلِكَ فَلِمَ لَا يَحْسُـنُ أَنْ يُبَـدِّلَ السَّـرَّاءَ بِالضَّـرَّاءِ وَالْقُـدْرَةَ بِالْعَجْزِ}. انتهى. وقالَ الشيخُ اِبنُ عـثيمين (عُضـوُ هَيْئـةِ كِبارِ العُلَماءِ) في تَفْسِيرِه، عند تَفسِيرِ قَولِـه تَعـالَى (إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُـهُ، وَتِلْـكَ الأَيَّامُ **نُدَاوِلُهَا** بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُـوا وَيَتَّخِـذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ، وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ): يَقـولُ [تَعـالَى] {فَقَـدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَـرْحٌ مِّثْلُـهُ} يَعنِي إِنْ يَمْسَسْـكُمْ جِـراحٌ وأَلَمٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ (يَعنِي جِراحٌ وأَلَمٌ)، وفي هذا تَسلِيَةٌ لِلمُؤْمِنِين، لِأَنَّ الإنسـانَ إذا عَلِمَ أَنَّ عَـدُوَّه أصـابَه مِثلُ ما أصابَه فَإِنَّه تَهونُ عليـه المُصِـيبةُ... ثم قـالَ -أي الشيخُ اِبنُ عـثيمين-: قَولُـه تَعـالَى {إِن يَمْسَسْـكُمْ قَـرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ} المُـرادُ بـه التَّسـلِيَةُ، أيْ أَنَّه إذا كُنتم أُصِبْتُم في أُحُـدٍ فَـإنَّ القَـومَ قـد أُصِـيبوا بِقَـرْحٍ مِثْلِـه، في نَفْسِ الغَـزوةِ أيضًـا قُتِـلَ مِنَ المُشـرِكِين مَن قُتِلَ وهُزِموا [أيِ المُشرِكون في أَوَّلِ المَعرَكةِ] لَـولا أنَّ اللهَ سُبحانَه [وَ]تَعالَى **أرادَ بِحِكمَتِه** أَنْ يُخالِفَ بَعضُ الجُنْدِ [المُسلِمِين] المَوقِفَ الـذي أَمَـرَهم بـه النَّبِيُّ صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَحَصَلَ فِيما بَعْدُ أَنْ كانَ خِلافُ المُـرادِ... ثم قالَ -أيِ الشيخُ اِبنُ عثيمين-: قالَ [تَعالَى] {وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُـدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ}، يَعنِي هـذه الأَيَّامُ نَجعَلُهـا دُوَلًا،

فتَارَةً تَكونُ الأيَّامُ لِهؤلاء، وتارةً تَكونُ الأيَّامُ لِهؤلاء، فاللَّهُ عَزَّ وجَلَّ هو الذي بِيَدِه الأمرُ، حتى إنَّ الدَّولةَ تَكونُ في بَعضِ الأحيَانِ لِأعدائه على أَوْلِيَائه **لِحِكَمٍ يُرِيدُها**، فَفِي بَدْرٍ كانَتِ الدَّولةُ على المُشرِكِين، وفي أُحُدٍ كانَتِ الدَّولةُ على المُؤمِنِين، فَهذا مَرَّةً وهذا مَرَّةً، لِحِكَمٍ عَظِيمةٍ بَيَّنَها اللهُ سُبحانَه وتَعالَى فِيما بَعْدُ [يُشِيرُ إلى قَوْلِه تَعالَى {وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ}]، وقَولُه {نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ} يَشمَلُ مُداوَلَتَها **بَيْنَ أُمَّةٍ وأُمَّةٍ**، ويَشمَلُ كذلك مُداوَلَتَها **في الإنسانِ الواحِدِ**، فالإنسانُ يَجِدُ يَومًا سُرورًا ويَجِدُ يَومًا آخَرَ حُزنًا، ولِهذا يُقالُ {دَوامُ الحالِ مِنَ المُحالِ، فالأيَّامُ دُوَلٌ}... ثم قالَ -أيِ الشيخُ ابنُ عثيمين-: {وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا}، أيْ يَعلَمَه مَوجودًا، أمَّا العِلمُ السابِقُ فَإنَّه يَعلَمُه أنَّه سَيُوجَدُ، وهناك فَرقٌ بَيْنَ عِلْمِه الشَّيءِ مَوجودًا حالَ وُجودِه وبَيْنَ عِلْمِه الشَّيءِ بِأنَّه سَيُوجَدُ، [فَإنَّ] عِلْمَ اللهِ السابِقِ لا يَتَرَتَّبُ عليه الجَزاءُ، وذلك لِأنَّ المُؤمِنَ لم يَكُنْ مَوجودًا بَعْدُ حتى يُجازَى أو لا يُجازَى، إنَّ اللهَ تَعالَى قد عَلِمَ الذِين آمَنوا مِن قَبْلُ، فَإنَّه سُبحانَه وتَعالَى كَتَبَ في اللَّوحِ المَحفوظِ مَقادِيرَ كُلِّ شَيءٍ إلى يَومِ القِيَامةِ، وقد عَلِمَ المُؤْمِنَ مِن غَيرِه مِن قَبْلُ.. ثم قالَ -أيِ الشيخُ ابنُ عثيمين-: وقَولُه {وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا} كَيْفَ ذلك؟ لِأنَّ **المُؤْمِنَ يَرضَى** بِهذه المُداوَلةِ (بِمُداوَلةِ اللهِ الأيَّامَ بَيْنَ الناسِ)، يَرضَى بِها **رِضًا تامًّا**، إنْ أصَابَتْهُ ضَرَّاءُ **صَبَرَ** وإنْ أصَابَتْهُ سَرَّاءُ **شَكَرَ**، ويَعْلَمُ أنَّ ذلك بِتَقدِيرِ اللهِ **فَيَرضَى ويُسَلِّمَ**، غَيرُ المُؤْمِنِ بالعَكْسِ، إنْ أصِيبَ بِسَرَّاءَ أَشِرَ [أيْ فَرِحَ ونَشِطَ] وبَطِرَ [أيْ تَكَبَّرَ وطَغَى]، وإنْ أصِيبَ بِضَرَّاءَ ضَجِرَ وتَسَخَّطَ، يَقولُ اللهُ سُبحانَه وتَعالَى {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ} أيْ على طَرَفٍ، {فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ} والفِتنةُ هنا المُرادُ بِها ضِدُّ الخَيرِ، {وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى

وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ} وكَمْ مِن إنسانٍ اِرتَدَّ لِأنَّه أُصِيبَ بِمُصِيبةٍ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ، إِذَنْ {وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا} كَيْفَ كانَ هذا العِلمُ؟ نَقولُ، لِأنَّ المُؤْمِنَ يَرضَى بِمُداوَلةِ اللهِ الأيَّامَ بَيْنَ العِبادِ، إِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ، أو سَرَّاءُ شَكَرَ، [وأمَّا] غَيرُ المُؤْمِنِ بِالعَكْسِ، لا يَرضَى بِقَضاء اللهِ وقَدَرِه، يَقولُ {لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا}، {لَوْ كَانُوا عِندَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا}، وما أَشْبَهَ ذلك... ثم قالَ -أيِ الشيخُ اِبنُ عثيمين-: قالَ [تَعالَى] {وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ}، فَهؤلاء الشُّهَداءُ اِتَّخَذَهُمُ اللهُ واصطَفاهم، ولَوْلَا مِثلُ هذه الهَزِيمةِ لم يَكونوا شُهَداءَ، وَكَمْ مِن شَهِيدٍ اِتَّخَذَهُمُ [اللهُ] في غَزوةِ أُحُدٍ؟، سَبعونَ رَجُلًا، لَوْلَا هذا لم يَكُنْ هناك شُهَداءُ... ثم قالَ -أيِ الشيخُ اِبنُ عثيمين-: قَولُه [تَعالَى] {وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ}، فالظالِمُ، إنْ كانَ ظُلْمُه ظُلْمَ كُفرٍ فَلا حَظَّ له في مَحَبَّة اللهِ، وإنْ كانَ ظُلْمُه دُونَ ذلك فَلَه مِن مَحَبَّةِ اللهِ بِقَدْرِ ما معه مِنَ العَدلِ، ومِن كَراهةِ اللهِ بِقَدْرِ ما معه مِنَ الظُّلْمِ... ثم قالَ -أيِ الشيخُ اِبنُ عثيمين-: قَولُه {لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ} قد يَبدُو غَرِيبًا على القارِئِ مُناسَبةُ هذه الجُملةِ بِما قَبْلِها {وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ، وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ} كَيْفَ هذا؟، فَيُقالُ، الجَوابُ مِن وَجْهَين؛ الوَجهُ الأَوَّلُ، أنَّ المُرادَ بِقَولِه {وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ} بَيَانُ أنَّ الذِين تَخَلَّفوا عن غَزوةِ أُحُدٍ -وهُمْ مِقدارُ ثُلُثِ الجَيشِ- لم يَكُنْ منهم شَهِيدٌ، لِأنَّهم نَجَوا بِأنفُسِهم، فَلِكَونِهم ظَلَمةً لم يَتَّخِذِ اللهُ منهم شُهَداءَ، فَيَكونُ ذلك تَندِيدًا بِالذِين تَخَلَّفوا ورَجَعوا مِن أثناءِ الطَّرِيقِ، وَهُمْ عَبْدُاللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ [بْنِ سَلُولَ] ومَن تَبِعَه مِنَ المُنافِقِين، فَكَأَنَّه قالَ {اِتَّخَذَ منكم أيُّها الصَّفوةُ شُهَداءَ، ولم يَتَّخِذْ مِن أولَئك الذِين نَكَصوا على أعقابِهم، لِأنَّ هؤلاء ظَلَمةٌ واللهُ لا يُحِبُّهم}؛ الوَجهُ الثانِي، أنَّ الذِين قُتِلوا في أُحُدٍ قُتِلوا على أيدِي المُشرِكِين، والمُشرِكون

هُمُ الظالِمون كَما قالَ تَعالَى {إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ}، فَهَلِ اِنتِصارُ الظالِمِين في أُحُدٍ واستِشهادُ مَنِ اُستُشهِدَ مِنَ المُسلِمِين في أُحُدٍ لِأَنَّ اللهَ يُحِبُّ الظالِمِين ويَكْرَه المُؤْمِنِين؟، لا، إذَنْ {وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ} لِئَلَّا يَظُنَّ ظانٌّ أَنَّ اِنتِصارَ المُشرِكِين في تلك الغَزوةِ مِن مَحَبَّةِ اللهِ لَهم، فَبَيَّنَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ أَنَّه لا يُحِبُّ الظالِمِين... ثم قالَ -أَيِ الشيخُ اِبنُ عثيمين-: مِن فَوائدِ هذه الآيَةِ؛ (أ)بَيَانُ رَأْفةِ اللهِ سُبحانَه وتَعالَى بِرَسولِ اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وأصحابِه بِهذه التَّسلِيَةِ العَظِيمةِ {إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ}؛ (ب)أنَّ اللهَ سُبحانَه وتَعالَى **جَعَلَ هذه الدُّنيَا دُوَلًا تَتَقَلَّبُ، لِئَلَّا يَركَنَ الإنسانُ إليها**، لِأنَّ الدُّنيَا لَوْ كانَتْ دائمًا راحةً ونَعمةً رَكَنَ الإنسانُ إليها ونَسِيَ الآخِرةَ، ولَوْ كانَتْ دائمًا مِحنةً ونِقمةً لَكانَتْ عَذابًا مُستَمِرًّا، ولَكِنَّ اللهَ جَعَلَها دُوَلًا يُدالُ فيها الناسُ بَعضُهم على بَعضٍ، **وتَتَداولُ الأحداثُ على الإنسانِ** ما بَيْنَ خَيرٍ وشَرٍّ؛ (ت)[بَيَانُ] تَمَامِ سُلطانِ اللهِ سُبحانَه وتَعالَى في خَلقِه، وأنَّ له التَّدبِيرَ المُطلَقَ؛ (ث)أنَّ اللهَ سُبحانَه وتَعالَى قد يَمْتَحِنُ العَبدَ لِيَعلَمَ إيمانَه مِن عَدَمِه، بِماذا يَمتَحِنُه؟، بِأنواعٍ مِنَ الامتِحاناتِ، **تارةً بِالمَصائبِ وتارةً بِالمَعائبِ**، فَهنا [أيْ في الآيَةِ] اِبتِلاءٌ بِماذا؟ بِالمَصائبِ، وإذا يَسَّرَ اللهُ لِلإنسانِ أسبابَ المَعصِيَةِ فَهذا اِبتِلاءٌ بِتَيسِيرِ المَعائبِ، مِثْلَ قَولِه تَعالَى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ}، في هذه الآيَةِ حَرَّمَ اللهُ الصَّيدَ على المُؤْمِنِين وَهُمْ حُرُمٌ، فابتلاهم بِصَيدٍ تَنالُه أيدِيهم ورِماحُهم، يَعنِي يُمسِكُ الإنسانُ الصَّيدَ بِيَدِه وبِرُمحِه [وذلك لِقُربِ الصَّيدِ مِنْهُ] ما يَحتاجُ إلى سَهْمٍ {لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ}؛ (ج)أنَّ عِلْمَ اللهِ سُبحانَه وتَعالَى بِالأشياءِ على قِسمَين، عِلْمٌ بِأَنَّها سَتُوجَدُ وهذا أزَلِيٌّ، وعِلْمٌ بِأَنَّها وُجِدَتْ وهذا يَكونُ

عنـد الوُجـودِ، ولِهـذا قـالَ {وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُـوا}؛ (ح)أنَّ اللهَ تَعالَى **قد يُقَدِّرُ المَكـروهَ لِحِكَمٍ بالِغـةٍ كَثِـيرةٍ**، لِقَولِه {لِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ}؛ (خ)[بَيَانُ] فَضِيلةِ الشَّـهادةِ، [فَ]قَولُـه {وَيَتَّخِـذَ مِنكُمْ} كَأنَّه سُـبحانَه **اِصـطَفَى هـؤلاء الشُّـهَداءَ واتَّخَـذَهم لِنَفسِـه**؛ (د)إثباتُ المَحَبَّةِ لِلَّهِ، أنَّ اللـهَ يُحِبُّ، وَجْـهُ ذلـك أنَّ نَفْيَهـا عنِ الظالِمِينِ يَدُلُّ على ثُبوتِها لِضِدِّهم، لِأنَّهـا لَـو اِنتَفَتْ عن هــؤلاء وهــؤلاء لم يَكُنْ في نَفيِهــا عنِ الظــالِمِين فائــــــدةٌ؛ (ذ)التَّحـــــذِيرُ مِنَ الظُّلمِ، لِقَولِــــه {لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ}، [وَ]الحُكْمُ إذا عُلِّقَ بِوَصفٍ فَإنَّه يَزدادُ بِزِيادَتِه ويَقـوَى بِقُوَّتِـه، ويَنقُصُ بِنَقصِه ويَضْـعُفَ بِضَـعفِه، فـإذا كانَ اِنتِفاءُ المَحَبَّةِ مِن أَجْلِ الظُّلْمِ، فَكُلَّما كـانَ الإنسـانُ أظلَمَ كانَ أبعَدَ عن مَحَبَّةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ. انتهى باختصـار.

قُلْتُ: ويَنبَغِي في هذا المَقامِ ألَّا نَنْسَى قَولَه تَعالَى {إِنَّا وَجَدْنَاهُ **صَابِرًا**، نِّعْمَ الْعَبْدُ، إِنَّهُ أَوَّابٌ}، وقَولَـه تَعـالَى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْـتَعِينُوا **بِالصَّـبْرِ** وَالصَّـلَاةِ، إِنَّ اللَّهَ مَـعَ **الصَّابِرِينَ**، وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْـوَاتٌ، بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ، وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأمْـوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَـرَاتِ، وَبَشِّـرِ **الصَّـابِرِينَ**، الَّذِينَ إِذَا أَصَـابَتْهُم مُّصِـيبَةٌ قَـالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْـهِ رَاجِعُـونَ، أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَـلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَـةٌ، وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَـدُونَ}، وقَولَـه تَعـالَى {وَجَعَلْنَـا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا **صَـبَرُوا** وَكَـانُوا بِآيَاتِنَـا يُوقِنُـونَ}، وقَولَه تَعالَى {وَالْمَلَائِكَـةُ يَـدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُـلِّ بَـابٍ، سَـلَامٌ عَلَيْكُم بِمَـا **صَـبَرْتُمْ**، فَنِعْمَ عُقْبَى الـدَّارِ}، وقَولَـه تَعـالَى {إِنَّمَـا يُـوَفَّى **الصَّـابِرُونَ** أَجْـرَهُم بِغَيْـرِ حِسَـابٍ}، وقَولَه تَعالَى {قَالَ أَنَـا يُوسُـفُ وَهَـذَا أَخِي، قَـدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَــا، إِنَّهُ مَن يَتَّقِ **وَيَصْــبِرْ** فَــإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِــيعُ أَجْــرَ الْمُحْسِنِينَ}، وقَولَه تَعالَى {فَلَمَّا بَلَغَ مَعَـهُ السَّـعْيَ قَـالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَـرَى،

قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ، سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ}، وقولَه تَعالَى {قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا، إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ}، وقولَه تَعالَى {فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ}، وقولَه تَعالَى {وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا}، وقولَه تَعالَى {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا، نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ، الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ}، وقولَه تَعالَى {وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا، وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا، وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ}، وقولَه تَعالَى {قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا، فَصَبْرٌ جَمِيلٌ، عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا، إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ}، وقولَه تَعالَى {فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ، وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ}، وقولَه تَعالَى {وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}، وقولَه تَعالَى {إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا، فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا، وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا}، وقولَه تَعالَى {أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ [أَيِ الجَنَّةَ] بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا}، وقولَه تَعالَى {وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ}، وقولَه تَعالَى {وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ، أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا، وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ}، وقولَه تَعالَى {ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ، أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ}، وقولَه تَعالَى {وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا، وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ}، وقولَه تَعالَى {لَتُبْلَوُنَّ فِي

أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا، وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ}، وقَولَه تَعالَى {فَاصْبِرْ، إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ}، وقَولَه تَعالَى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}، وقَولَه تَعالَى {أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا}، وقَولَه تَعالَى {إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ}، وقَولَه تَعالَى {وَالْعَصْرِ، إِنَّ الإنسَانَ لَفِي خُسْرٍ، إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ}، وقَولَه تَعالَى {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ}، وقَولَه تَعالَى {رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ}، وقَولَه تَعالَى {وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ}، وقَولَه تَعالَى {وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا، رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ}، وقَولَه تَعالَى {أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ}، وقَولَه تَعالَى {وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ، كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ، وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا، إِنَّهُم مِّنَ الصَّالِحِينَ}، وقَولَه تَعالَى {وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا}، وقَولَه تَعالَى {وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ}، وقَولَه تَعالَى {وَاصْبِرُوا، إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ}، وقَولَه تَعالَى {أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم، مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ، أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ}، وقَولَه تَعالَى {يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ، إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ}، وقَولَه تَعالَى {أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ}، وقَولَه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ {يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ

يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً [أيْ يُغْمَسُ فِي النَّارِ غَمْسَةً]، ثُمَّ يُقَالُ (يَا ابْنَ آدَمَ، هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟)، فَيَقُولُ (لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ)، وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيُصْبَغُ صَبْغَةً فِي الْجَنَّةِ، فَيُقَالُ لَهُ (يَا ابْنَ آدَمَ، هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟)، فَيَقُولُ (لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ، مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ)}، وقَولَه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ {يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صَلَابَةٌ زِيدَ فِي بَلَائِه، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ خُفِّفَ عَنْهُ، وَلَا يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْمُؤْمِنِ حَتَّى يَمْشِيَ عَلَى الأرْضِ وَلَيْسَ عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ}، وقَولَه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ {قَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ يُؤْخَذُ الرَّجُلُ فَيُحْفَرُ لَهُ فِي الأرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهَا فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُجْعَلُ نِصْفَيْنِ وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ وَعَظْمِهِ فَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ}، وقَولَه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ {حُفَّتِ الجنَّةُ بالمكارِهِ، وحُفَّتِ النَّارُ بالشَّهواتِ}]. انتهى]، وَهُمْ في آخِرِ الزَّمَانِ الغُرَبَاءُ المذكورون في هذه الأحاديثِ {الَّذِينَ يَصْلُحُونَ إِذَا فَسَدَ النَّاسُ} وَ{الَّذِينَ يُصْلِحُونَ مَا أَفْسَدَ النَّاسُ مِنَ السُّنَّةِ} وَ{الَّذِينَ يَفِرُّونَ بِدِينِهِمْ مِنَ الفِتَنِ} وَ{النُّزَّاعُ مِنَ القَبَائِلِ} لأنَّهم قَلُّوا فلا يُوجَدُ في كُلِّ قبيلةٍ منهم إلَّا الواحِدُ والاثْنان، وقد لا يُوجَدُ [أيْ في بعضِ القبائلِ] منهم أَحَدٌ، كَمَا كانَ الداخِلون إلى الإسلامِ في أوَّلِ الأمرِ كذلك [قالَ الشيخُ عبدُالرحمن العقبي في (طائفةُ الغُرَباءِ المَغبوطِين): والنُّزَّاعُ جَمعُ نازِعٍ أو نَزِيعٍ، وهو الذي نَزَع عن أهلِه وعَشِيرَتِه أيْ بَعُدَ وغَابَ؛ وهَلْ يَكونُ نازِعًا مَن لم يَرحَلْ عن أهلِه وعَشِيرَتِه وبَقِيَ فيهم ولَكِنَّه كالغَرِيبِ الذي جاوَرَ عَشِيرةً غيرَ عَشِيرَتِه فهو كالغَرِيبِ المُجاوِرِ، وذلك لِأَنَّه صالِحٌ بَيْنَ أقارِبَ سَيِّئِين؟، أرجُو أَنْ يَكونَ ذلك... ثم قالَ -أيِ الشيخُ العقبي: ولا

شَـكَّ أنَّ هـذا النَّوعَ [يَعنِي الـذي بَعُـدَ وغـابَ] مِنَ النُّزَّاعِ خَيرٌ مِنَ النَّوعِ الثانِي الذي بَقِيَ بَيْنَ أهلِه وعَشِيرَتِه وهو كالغَرِيبِ بَيْنَهم. انتهى باختصـار]... ثم قـالَ -أيِ الشـيخُ العيدُ-: قالَ الإمامُ الأوزاعيُّ في قولِه صـلى اللـه عليـه وسلم (بَدَأَ الإِسْلَامُ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًـا كَمَـا بَـدَأَ) {أَمَـا إنَّه ما يَذهبُ الإسلامُ، ولكِنْ يَذْهَبُ أهلُ السـنَّة حـتى مـا يَبْقَى في البَلَـدِ منهم إلّا رجـلٌ واحـدٌ}، ولهـذا المعنَى يُوجَـدُ في كلامِ السـلفِ كثـيرًا مَـدْحُ السُّـنَّةِ ووَصْـفُها بالغُرْبـةِ ووَصْـفُ أهْلِهـا بالقِلَّةِ، فَكـانَ الْحَسَـنُ الْبَصْـرِيُّ [وُلِدَ عامَ 21هـ، وتُوُفِّيَ عـامَ 110هـ] رَحِمَـه اللـهُ يقـولُ لِأصحابِه {يَـا أَهْـلَ السُّـنَّةِ، تَرَفَّقُـوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ، فَـإِنَّكُمْ أَقَـلُّ النَّاسِ}، وقـالَ يُـونُسُ بْنُ عُبَيْـدٍ [وُلِـدَ عـامَ 64هــ، وَتُوُفِّيَ عامَ 139هـ] رَحِمَه اللهُ {لَيْسَ شَـيْءٌ أَغْـرَبَ مِنَ السُّنَّةِ، وَأَغْرَبُ مِنْهَا مَنْ يَعْرِفُهَا} وقـالَ سُـفْيَانُ الثَّوْرِيُّ [وُلِدَ عامَ 97هـ، وتُوُفِّيَ عامَ 161هــ] {اسْتَوْصُـوا بِأَهْـلِ السُّنَّةِ خَيْرًا، فَإِنَّهُمْ غُرَبَاءُ}، ومُرَادُ هـؤلاء الأئمَّةِ بالسُّـنَّةِ طريقـةُ النـبيِّ صـلَّى اللـه عليـه وسـلَّم الـتي كـان هـو وأصـحابُه عليها... ثم ذَكَـرَ -أيِ الشـيخُ العيـدُ- صـفاتِ الغُرَباءِ الذِين أَثْنَى عليهم رسـولُ اللـه صـلى اللـه عليـه وعلى آله وسلم، فقالَ: ومِن صِفاتِهم الإنكـارُ على مَن يُخالِفُ منهجَ السلفِ ويَمِيـلُ إلى الأهـواءِ، اسـتجابةً للـه وللرسـول صـلى اللـه عليـه وسـلم، قـال اللـه سـبحانه وتعالى {لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ، كَـانُوا لَا يَتَنَـاهَوْنَ عَن مُّنكَـرٍ فَعَلُـوهُ}، وقـال الحـبيبُ المُصطفَى والنبيُّ المُجْتَبَى صـلواتُ ربِّي وسـلامُه عليـه {مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ...} الحَدِيثَ، [وَ]قـالَ ابنُ القيم [في (إعلام المـوقعين)] {وَقَـدْ كَـانَ السَّـلَفُ الطَّيِّبُ يَشْتَدُّ نَكِيرُهُمْ وَغَضَـبُهُمْ عَلَى مَنْ عَـارَضَ حَـدِيثَ رَسُـولِ اللَّهِ صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ بِـرَأْيٍ أَوْ قِيَـاسٍ أَوِ

اِسْتِحْسَــانٍ أَوْ قَــوْلِ أَحَــدٍ مِنَ النَّاسِ كَائِنًــا مَنْ كَــانَ، وَيَهْجُـرُونَ فَاعِـلَ ذَلِـكَ، وَلَا يُسَـوِّغُونَ غَيْـرَ الانْقِيَـادِ لَـهُ وَالتَّسْــلِيمِ وَالتَّلَقِّي بِالسَّــمْعِ وَالطَّاعَــةِ [، وَلَا يَخْطُــرُ بِقُلُـوبِهِمُ التَّوَقُّفُ فِي قَبُولِـهِ حَتَّى يَشْـهَدَ لَـهُ عَمَـلٌ أَوْ قِيَـاسٌ أَوْ يُوَافِـقَ قَـوْلَ فُلَانٍ وَفُلَانٍ]}؛ ومِن صِــفاتِهم الحِرْصُ على التَّمَيُّزِ والحَـذَرُ مِن التَّمَيُّعِ، فَهُمْ مـع قِلَّتِهم يُظْهِـرون السُّــنَّةَ ويُنْكِـرون الأهْـواءَ المُضِـلَّةَ وإنْ كَثُـرَ المُخَـالِفون، وَهُمْ مـع مـا يُلاقُونـه مِن عِظَمِ الغُرْبـةِ لا يَفْزَعون إلى تَمْيِيعِ منهجِ السلفِ أبَـدًا أو إلغـاءِ الفُـرُوقِ بين السُّـنِّيِّ السـلفِيِّ وصـاحبِ الهَـوَى الخَلَفِيِّ بـدَعْوَى {كِلَانـا على خَيْـرٍ}! أو {نَفَـعَ اللـهُ بهم}! أو أنْ يقولـوا {كُلُّنـا مُسْـلِمون} إلى آخِـرِ عبـاراتِ التَّمْيِيـعِ وحُلُـولِ الوَسَطِ والتَّضْـيِيعِ، بَـلِ السُّـنِّيُّ السـلفيُّ وهـو في زَمَنِ الغُرْبةِ يَصْدَعُ بالحقِّ ويَرُدُّ على المُخالِفِ وإنْ أصبحَ غَرِيبًا وَحِيدًا؛ [وَ]فيمـا جَـرَى للإمـامِ أحمـدَ زَمَنَ المِحْنَـةِ عِظَـةٌ وعِبْـرَةٌ فإنَّه سُــجِنَ وجُــرِّدَ وأُوذِيَ أعْظَمَ الإيــذاءِ وبَقِيَ وَحِيدًا في تلك المِحْنَةِ غريبًا، ولكنَّه واللهِ ما لَانَ ولا مَالَ إلى المُخالِفِين أبَدًا، بَلْ رَدَّ عليهم وبَـدَّعَهم حـتى نَصَـرَه اللهُ وأعَزَّه، والإمامُ المُجَدِّدُ محمـد بنُ عبـدالوهاب أُوذِيَ وأُخْرِجَ وعادَاه مَن عادَاه فَلَمْ يَلِنْ أبَدًا، ولو تَمَيَّعَ وتَنـازَلَ لَضَـاعَتْ دَعْوَتُـه السـلفيَّةُ. انتهى باختصــار. وجــاءَ في (المنتقى مِن فتاوى الشـيخ صـالح الفـوزان) أنَّ الشـيخَ سُئلَ {لقد تَفَشَّى بين الشَّبابِ وَرَعٌ كاذِبٌ، وهو أنَّهم إذا سَمِعوا الناصِحِين مِن طَلَبةِ العِلمِ أو العلماءِ يُحَذِّرون مِنَ البدعِ وأهلِها ويَذكُرون حقيقةَ ما هُمْ عليه، وقد يُورِدون أسماءَ بعضِهم -ولو كان مَيِّتًا- لِافتِتانِ النـاسِ بـه، وذلـك دِفاعًا عن هـذا الـدِّينِ، وكَشـفًا لِلمُندَسِّـين بين صُـفوفِ الأُمَّةِ لِبَثِّ الفُرقـةِ والنِّزاعِ فيهـا، فَيَـدَّعون [أيْ أصـحابُ الـوَرَعِ الكـاذِبِ] أنَّ ذلـك مِنَ الغِيبـةِ المُحَرَّمـةِ، فَمـا هـو قَولُكم في هذه المَسألةِ؟}، فأجابَ الشيخُ: القاعدةُ في

هـذا [هي] التَّنبِيـهُ على الخَطَـأِ والانحِـرافِ وتَشخِيصُـه لِلنَّاسِ، وإذا اِقتَضَـى الأمـرُ أنْ يُصَـرَّحَ بِاسـمِ الأشـخاصِ حـتى لا يُغْتَـرَّ بهم، وخُصوصًـا الأشـخاصَ الـذِين عنـدهم اِنحِرافٌ في الفِكرِ أو اِنحِـرافٌ في السَّـيرِ والمَنهَجِ وَهُمْ مَشهورون عنـد النـاسِ ويُحسِـنون بهم الظَّنَّ، فَلَا بَـأْسَ أنْ يُـذكَروا بِأسـمائهم وأنْ يُحـذَّرَ منهم؛ والعُلَمـاءُ بَحَثـوا في عِلْمِ الجَـرْحِ والتَّعـدِيلِ، فَـذَكَروا الـرُّواةَ ومـا يُقـالُ فيهم مِنَ القَـوادِحِ، لا مِن أَجْـلِ أشخاصِـهم، وإنَّمـا مِن أَجْلِ نَصِيحةِ الأُمَّةِ أنْ تَتَلَقَّى عنهم أَشْيَاءً فيهـا تَجَنٍّ على الدِّينِ أو كَذِبٌ على رسولِ اللهِ صلى اللـه عليـه وسـلم؛ فالقاعِدةُ أنْ يُنَبَّهَ على الخَطَأِ، ولا يُذكَرُ صـاحِبُه إذا كـانَ يَتَـرَتَّبُ على ذِكْـرِه مَضَـرَّةٌ أو ليس لِـذِكْرِه فائـدةٌ، أمَّا إذا اِقتَضَى الأمرُ أنْ يُصَرَّحَ بِاسمِه لِتَحذِيرِ النـاسِ منـه فهـذا مِنَ النَّصِـيحةِ للـهِ وكِتابِـه ورَسـولِه ولِأئمَّةِ المُسـلِمِين وعـامَّتِهم، خُصوصًـا إذا كـانَ لـه نَشـاطٌ بين النـاسِ ويُحسِنون الظَّنَّ به ويَقتَنون أشْـرِطَتَه وكُتُبَـه، لا بُـدَّ مِن بَيَانٍ وتَحـذِيرِ النـاسِ منـه لِأنَّ في السُّـكوتِ ضَـرَرًا على النـاسِ، فلا بُـدَّ مِن كَشـفِه، لا مِن أَجْـلِ التَّجـرِيحِ أوِ التَّشَفِّي، وإنَّما مِن أَجْلِ النَّصِـيحةِ للـهِ وكِتابِـه ورَسـولِه ولِأئمَّةِ المُسـلِمِين وعـامَّتِهم. انتهى باختصـار. وقـالَ الشيخُ عبدُالرحيم السلمي (عضو هيئة التـدريس بقسـم العقيـدة والأديـان والمـذاهب المعاصـرة بجامعـة أم القرى) في مُحاضَرةٍ بِعُنْوانِ (المذاهب الفكرية والأدبية المعاصـرة): عن أبِي إسـماعِيلَ الهَـرَوِيِّ [ت481هـ] أنَّه قالَ {عُرِضْتُ عَلَى السَّـيْفِ [أيْ هُـدِّدَ بِالقَتـلِ بِالسَّـيفِ] خَمْسَ مَـرَّاتٍ، لَا يُقَـالُ لِي (ارْجِـعْ عَنْ مَـذْهَبِكَ)، وإنَّمـا يُقَالُ لِي (اسْـكُتْ عَمَّنْ خَالَفَـكَ)، فَـأَقُولُ (لَا أَسْـكُتُ)}، لِماذا؟، لِأنَّ تَوضِيحَ الحَقِّ لِلنَّاسِ وكَشفِ باطِلِ المُبطِلِين ضَـرورِيٌّ مِنَ الضَّـروراتِ الشَّـرعِيَّةِ الأساسِـيَّةِ. انتهى. وقالَ الشـيخُ عبدُالسـلام بنُ بـرجس (الأسـتاذ المسـاعد

في المعهد العالي للقضاء بالرياض) في (الـرَّدُّ العلميُّ على مُنْكِـرِي التصـنيفَ): فمَن كـانَ مِن أهـلِ السُّـنَّةِ فَلْيَحمِـدِ اللَـهَ تعـالى على هـذا الفَضـلِ، وَلْيَسـأَلِ اللـهَ سبحانه وتعالى الثَّبَاتَ عليه، وأَمَّا مَن كان مِن غيرِ أهلِها فَيَا لِخَيبَتِه مَا أَعْظَمَ مُصِـيبَتَه ومـا أَشَـدَّ خَسـارَتَه، فَلْيَعُـدْ إلى رَبِّه جَلَّ وعَلَا وَلْيُراجِعْ دِينَه؛ ومِن فَضْلِ اللهِ سبحانه وتعالى علينا أنه جل وعلا لم يُخْلِي زَمَنًا مِنَ الأزمانِ مِن أهـلِ السـنةِ، بِهِمْ تَقُـومُ حُجَّتُـه على النـاسِ أَجْمَعِين، فَيُبَلِّغون شرعَ اللهِ سبحانه وتعالى كما جـاء بـه رسـولُ اللهِ صلى الله عليـه وسـلم، ويَـدْعُون إلى لُـزومِ السُّـنَّةِ وتَـرْكِ البِـدَعِ والأهـواءِ؛ وقـد كُنَّا نَعْهَـدُ أهـلَ السُّـنَّةِ والجماعـةِ فيمـا نُقِـلَ إلينـا مِن سِـيَرِهم وأخبـارِهم وأحوالِهم أُمَّةً واحـدةً تَجْمَعُهم السُّـنَّةُ وإنْ نَـأَتْ دِيَـارُهم وتَبَاعَـدَتْ أقطـارُهم، يَحْنُـو بعضُـهم على بعضٍ ويُحِبُّ بعضُـهم بعضًـا وإنْ لم يَـرَه، حـتى قـالَ سُـفْيَانُ الثَّوْرِيُّ [وُلِدَ عامَ 97هـ، وتُوُفِّيَ عامَ 161هـ] رحمَـه اللـهُ تعـالى {إِذَا بَلَغَـكَ عَنْ رَجُـلٍ في الْمَشْـرِقِ صَـاحِبِ سُـنَّةٍ وَآخَـرَ بِالْمَغْرِبِ، فَابْعَثْ إِلَيْهِمَا بِالسَّلَامِ وَادْعُ لَهُمَا، مَا أَقَلَّ أَهْلَ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ}، ويَقـولُ أَيُّوبُ السَّـخْتِيَانِيُّ [وُلِـدَ عـامَ 66هـ، وتُوُفِّيَ عامَ 131هـ] رحمَه اللهُ تعالى {إِنِّي أُخْبَـرُ بِمَـوْتِ الرَّجُـلِ مِنْ أَهْـلِ السُّـنَّةِ وَكَـأَنِّي أَفْقِـدُ بَعْضَ أَعْضَائِي}... ثم قالَ -أيِ الشيخُ برجس-: أَمَّا اليومَ فقـد كَثُرَ المُنتَسِبون إلى السُّنَّةِ، وكَثُرَ اللابِسون لِلِبـاسِ أَهْـلِ السُّنَّةِ، حـتى لم يَعُـدْ تَميِـيزُ أهـلِ السُّـنَّةِ الحَقِيقِيِّين مِن غيرِهم بالأمرِ السَّهْلِ الهَيِّنِ، ولِخُطورةِ ذلك الأمْرِ -وهـو تَلَبُّسُ كثـيرٍ مِنَ النـاسِ بالسُّـنَّةِ في هـذه الأزمـانِ وَهُمْ ليسوا مِن أَهْلِها- وشِدَّةِ تَفَشِّي هـذا الأمـرِ، وخَـوْفِي أنْ يَنْدَرِسَ [أيْ يَنْمَحِيَ] مذهبُ أهلِ السُّـنَّةِ والجماعـةِ، على أَيْدِي أُنَـاسٍ يَتَسَـمَّوْنَ بهـذا الاسْـمِ وليسـوا مِن مُسَـمَّاه على نَصِيبٍ، فإنَّنا في هذا المَجْلِسِ نَذْكُرُ بعضَ المسائلِ

وبعضَ القَضَايَا التي كَثُرَ طَرْحُها في هذا الزَّمَنِ وباسْـمِ أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ، وهذا الطَّرْحُ، الغالبُ الكثيرُ [مِنْـهُ] لَيْسَ عَلَيْهِ أَثَارَةٌ مِنْ عِلْمٍ، وليس هو مِن مـذهبِ السـلفِ الصالحِ رحمَهم اللهُ تعالى، وإنَّمـا هـو افْتِئَاتٌ على منهجِ السـلفِ الصـالح وتَلْبِيسٌ وخِـدَاعٌ؛ أقـولُ، لَمَّا كـان هـذا الطَّرْحُ لِمِثْلِ هذه المسائلِ باسْمِ أهـلِ السُّـنَّةِ والجماعـةِ وهو بَعِيـدٌ عن هـذا المُسَـمَّى وَجَبَ التَّنبِيـهُ مـا اسـتطاعَ الإنسانُ إلى ذلـك سـبيلًا، ونحن في هـذهِ العُجَالَـةِ نَـذْكُرُ بعضَ هذه المسائلِ ونُدْلِي فيها بِدَلْوِنا عَلَّ اللـهَ سـبحانه وتعــالى أنْ يَرْزُقَنــا وإيَّاكم الإخلاصَ، وتحقيــقَ مُتابَعــةِ رسـولِ اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم، والتوفيـقَ لمنهجِ السـلفِ الصـالحِ رَضِـيَ اللـهُ عنهم؛ فمِن هـذه المسـائلِ مســألةُ التَّصــنِيفِ... ثم قــالَ -أيِ الشــيخُ بــرجس-: التصنيفُ، هل هو حـقٌّ أَمْ باطـلٌ؟ وهَـلْ يَصِـحُّ التصـنيفُ بالظَّنِّ أم لا يَصِحُّ؟؛ وجوابُ هـذه المسـألة أنْ يُقـالَ، إنَّ التصنيفَ الذي هو نِسبَةُ الشخصِ الذي تَلَبَّسَ ببِدْعـةٍ إلى بِدْعَتِه، ونحو ذلك كنِسْبَةِ الكَذَّابِ إلى كَذِبِه، وهكذا كُلُّ ما يَتَعَلَّقُ بمسائلِ الجَرْحِ والتَّعدِيلِ، نَقُولُ، إنَّ هذا التصنيفَ حقٌّ ودِينٌ يُدانُ به، ولهذا أجْمَـعَ أهـلُ السُّـنَّةِ على صِـحَّةِ نِسـبَةِ مَن عُـرِفَ ببِدْعـةٍ إلى بِدْعَتِـه، فمَن عُـرِفَ بالقَـدَرِ قِيـلَ {هـو قَـدَرِيٌّ}، ومَن عُـرِفَ ببِدعَـةِ الخَـوارِجِ قِيـلَ {خارِجِيٌّ}، ومَن عُرِفَ بالإرجاءِ قِيلَ {هو مُرْجِئٌ}، ومَن عُرِفَ بالرَّفْضِ قِيـلَ {رافِضِـيٌّ}، ومَن عُـرِفَ بالتَّمَشْـعُرِ قِيـلَ {أَشْـعَرِيٌّ}، وهكـذا مُعْتَـزِلِيٌّ وصُـوفِيٌّ وَهَلُمَّ جَـرًّا، وأَصْلُ هذا أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم أخْبَرَ أنَّ أُمَّتَـه سـتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثَـةٍ وَسَـبْعِينَ فِرْقَـةً، وَاحِـدَةٌ فِي الْجَنَّةِ وَاثْنَتَــانِ وَسَــبْعُونَ فِي النَّارِ، فَفِيــهِ دلالــةٌ على وُجــودِ الفِـرَقِ، ولا يُتَصَـوَّرُ وُجـودُ الفِـرَقِ إلَّا بوُجـودِ مَن يَقـومُ بمُعتَقَداتِها مِنَ الناسِ، وإذا كـان الأمـرُ كـذلك فكُـلُّ مَن دانَ بمُعتَقَدِ أَحَدِ هذه الفِرَقِ نُسِـبَ إليهـا لا مَحَالَـةَ، فـإنَّ

التصـــنيفَ حَــقٌّ أَجمَعَتْ عليــه الأُمَّةُ فلا يُنْكِــرُه عاقــلٌ، فتصنيفُ الناسِ بحَقٍ وبَصِيرةٍ حِراسةٌ لِدِيِن اللهِ ســبحانه وتعالى، وهو جُنْدِيٌّ مِن جُنُودِ اللهِ سبحانه وتعالى، يَنْفِي عن دِينِ اللـــهِ جــل وعلا تحريـــفَ الغَـــالِين وانْتِحـــالَ المُبْطِلِين وتأويلَ الجاهلِين وزَيْغَ المُبتَدِعِين، فالتصـنيفُ رَقَابَـةٌ تَتَرَصَّـدُ ومِنْظَـارٌ يَتَطَلَّعُ إلى كـلِّ مُحْـدِثٍ فيَرْجُمُـه بشِهَابٍ ثاقِبٍ لا تَقُومُ له قائمةٌ بَعْـدَه، حيث يَتَّضِحُ أَمْـرُه ويَظْهَـــرُ عَـــوَرُه {وَسَـــيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُـــوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ}، فالتصنيفُ مِن مَعَاوِلِ أهلِ السُّـنَّةِ والجماعـةِ التي بحَمْدِ اللهِ جـل وعلا لم تَفْتُـرْ ولن تَفْتُـرَ في إخمـادِ بِـدَعِ أهـلِ البِـدَعِ والأهـواءِ وفي كَشْـفِ شُـبَهِهم وبَيَـانِ بِدَعِهِم حـتى يُحْـذَروا وحـتى تَعْـرِفَهم الأُمَّةُ فتكـونُ يـدًا واحِــدةً على ضَــرْبِهم ونَبْــذِهم والقَضَــاءِ عليهم؛ الشِّــقُّ الثَّانِي مِنَ السُّــؤَالِ، وهــو هَـلْ يُصَــنَّفُ بــالظَّنِّ؟، فإنَّنــا نَقُولُ، ماذا يُرادُ بِالتَّصنيفِ بِالظَّنِّ؟، [فَ]إنْ كانَ [المُرادُ هُـوَ] الظنَّ المُعتَبَــرَّ [أَيِ الظَّنَّ الــذي مَرتَبَتُــه أعْلَى مِن مَرتَبَتَيِ الوَهْمِ والشَّكِّ، وأَدْنَى مِن مَرتَبَةِ اليَقِينِ، وهو ما سَـبَقَ بَيَانُـه في مَسْـأَلَةِ (هَـلْ يَصِـحُّ إطلاقُ الكُـلِّ على الأَكْثَرِ؟ وهَـلِ الحُكْمُ لِلغـالِبِ، والنَّادِرُ لا حُكْمَ لـه؟). وقـد قالَ القرطبيُّ في (الجامع لأحكام القرآن): إنَّ الأَحْكَـامَ تُنَـــاطُ بِالْمَظَـــانِّ وَالظَّوَاهِرِ لَا عَلَى الْقَطْـــعِ وَاطِّلَاعِ السَّرَائِرِ. انتهى] في الشَّرْعِ، فهذا يُصَـنَّفُ بـه -ولا رَيْبَ- عنـد أهـلِ العِلْمِ رحمَهم اللـهُ تعـالى، ولـذلك لـو تَـأَمَّلتَ طَرِيقـةَ السَّـلَفِ في بـابِ الجَـرحِ والتَّعـدِيلِ والكلامِ في أهلِ البِدَعِ تَـرَاهم يَعتَبِـرون الظَّنَّ، فَمَثَلًا بَعضُـهم يَقُـولُ {مَن أَخْفَى علينا -أو عَنَّا- بِدْعَتَهُ لَمْ تَخْفَ عَلَيْنَـا أُلْفَتُـهُ}، يَعْنِي أنَّنـا نَعْرِفُـه مِن خِلالِ مَن يُجـالِسُ وإنْ لم يُظْهِـرِ البِدْعـةَ في أقوالِـه وأفعالِه، وقـد قـالَ يَحْيَى بْنُ سَـعِيدٍ الْقَطَّانُ رَحِمَـه اللـهُ تَعـالَى {لَمَّا قَـدِمَ سُـفْيَانُ الثَّوْرِيُّ الْبَصْرَةَ، وكَانَ الرَّبِيعُ بْنُ صُبَيْحٍ لَهُ قَـدْرٌ عنـد النـاس ولَـه

حُظْوَةٌ وَمَنْزِلَةٌ، فَجَعَلَ الثَّوْرِيُّ يَسأَلُ عن أَمْرِه ويَستَفْسِرُ عن حالِه، فقالَ (ما مَذهَبُه؟)، قالوا (مَذهَبُه السُّنَّةُ)، قالَ (مَن بِطانَتُه؟)، قالوا (أهلُ القَدَرِ)، قالَ (هو قَدَرِيٌّ)} [قالَ الشيخُ عليُّ بنُ محمد الصلابي (عضو الأمانة العامة للاتحاد العالمي لعلماء المسلمين) في كتابه (الدولة العثمانية، عوامل النهوض وأسباب السقوط): وكَمْ خَدَعَتْ تلك العَقِيدةُ الخَطِيرةُ (التَّقِيَّةُ) المُسلِمِين حُكَّامًا ومَحكومِين، عُلَماءَ ومُتَعَلِّمِين، فَأَيْنَ عُلَماءُ السُّنَّةِ الذِين لا تَنْطَلِي عليهم دَسائسُ الباطِنِيِّين؟!. انتهى]، وقد عَلَّقَ اِبْنُ بَطَّةَ [في كتابِه (الإبانة الكبرى)] رَحِمَه اللهُ تَعالَى على هذا الأثَرِ بِقَولِه {رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَى سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ، لَقَدْ نَطَقَ بِالْحِكْمَةِ فَصَدَقَ، وَقَالَ بِعِلْمٍ فَوَافَقَ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ وَمَا تُوجِبُهُ الْحِكْمَةُ وَيُدْرِكُهُ الْعِيَانُ وَيَعْرِفُهُ أَهْلُ الْبَصِيرَةِ وَالْبَيَانِ، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وعَلا (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ)}، ولْيَعْلَمْ طالبُ العِلْمِ أنَّ أكثَرَ تَصنِيفِ أهلِ العِلْمِ في قَدِيمِ الزَّمَنِ وحَدِيثِه إنَّما هو بِالظَّنِّ المُعتَبَرِ، أَمَّا التَّصنِيفُ بِاليَقِينِ فَهو نادِرٌ جِدًّا في الأُمَّةِ... ثم قالَ -أيِ الشيخُ برجس-: والتَّصنِيفُ بِالقَرائنِ مَبْنَاه على الظَّنِّ كَما هو في أكثرِ أحكامِ الشَّرِيعةِ الإسلامِيَّةِ [قالَ الشيخُ أبو سلمان الصومالي في (مصلحة التأليف وخشية التنفير، في الميزانِ، بِتَقدِيمِ الشَّيخِ أبي محمد المقدسي): قالَ اِبْنُ دقيق العيد [في (شرح الإلمام بأحاديث الأحكام)] {والاستِدلالُ بِالقَرائنِ مِنَ الأفعالِ والأحوالِ والأقوالِ مِنَ الطُّرُقِ المُفِيدةِ لِلْعِلْمِ اليَقِينِيِّ، لا سِيَّمَا مع كَثرةِ القَرائنِ وطُولِ الأزمِنةِ}، وبِالجُملةِ فالنِّفاقُ قد يُعلَمُ بِالقَرائنِ الظاهِرةِ... ثم قالَ -أيِ الشيخُ الصومالي-: وعامَّتُهم [أيْ عامَّةُ المُنافِقِين] يُعرَفون في لَحْنِ القَولِ ويُعرَفون بِسِيماهم، ولا يُمكِنُ عُقوبَتُهم بِاللَّحْنِ

والسِّــيما. انتهى باختصــار. وقــالَ الشــيخُ أبــو بصــير الطرطوسي في (قواعـدُ في التكفـير): القَـرائنُ ولَحْنُ القَولِ تُلزِمُنا بِالحَـذَرِ والحَيْطَـةِ مِن أهـلِ النِّفـاقِ. انتهى باختصار]. انتهى باختصار. وقالَ الشيخُ محمد بن هـادي المدخلي (عضو هيئة التـدريس بكليـة الحـديث الشـريف بالجامعـة الإسـلامية بالمدينـة المنـورة) في (اللقـاءات السلفية بالمدينـة النبويـة): قَـالَ أَبُـو حَـاتِمٍ رَحِمَـه اللـهُ {قَدِمَ مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ الصُّورِيُّ بَغْدَادَ، فَـذُكِرَ لِأَحْمَـدَ بْنِ حَنْبَلٍ رَحِمَه اللهُ، [فَ]قَالَ (اُنْظُـرُوا عَلَى مَنْ نَـزَلَ وَإِلَى مَنْ يَأْوِي)} [قالَ الشيخُ حسن أبو الأشبال الزهيري في (شرحِ كتاب الإبانة): فـالنَّبِيُّ عليـه الصَّـلاةُ والسَّـلامُ لَمَّا نَــزَلَ المَدِينــةَ نَــزَلَ على بَنِي النَّجَّارِ، وبَنُــو النَّجَّارِ هُمْ أفضَلُ الأنصارِ، أَيْ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم نَــزَلَ على خِيرَةِ الأنصارِ ولم يَنزِلْ على أَيِّ واحِدٍ منهم، وإنَّمـا نَــزَلَ في بَيْتِ أَبِي أَيُّوبَ الأَنْصَــارِيِّ رَضِــيَ اللَّهُ عَنْــهُ. انتهى]. انتهى باختصــار. وقــالَ الشــيخُ أحمــد بــازمُول (الأسـتاذ بجامعـة أم القـرى) في مقالـةٍ بعنـوان (نَقْضُ القَبــائحِ وتَطْــوِيحُ المَفاسِــدِ بِــذِكْرِ مــا في الهَجْـرِ مِن مَصالِحَ) على موقعِه في هذا الرابط: وقد نَقَـلَ الإجمـاعَ على هَجْرِ أهلِ البِدَعِ الإمـامُ البغـوي في (شَـرْحُ السُّـنَّةِ) بِقولِه {قد مَضَتِ الصَّحابةُ والتـابِعون وأتْبـاعُهم وعلمـاءُ السُّــنَّةِ على هــذا، مُجْمِعِين مُتَّفِقِين على مُعــاداة أهـلِ البِدعـةِ ومُهـاجَرَتِهم}؛ والسَّـلَفُ لم يُحَـذِّروا فَقَـطْ مِن مُجالَسةِ أهلِ البِدَعِ أنْفُسِهم، بَلْ مَن كان لا يُعرَفُ بِبِدعةٍ وجالَسَهم حَـذَّروا منـه إنْ لم يُقلِـعْ عن مُجالَسَـتِهم بعـدَ تَنبِيهِه؛ أَخرَجَ اللَّالَكَائِيُّ في (شَرْحُ [أُصولِ] اعتقـادِ أهـلِ السُّنَّةِ) عنِ الفُضَيْلِ بْنِ عِيَـاضٍ أَنَّه قـالَ {مَنْ جَلَسَ مَـعَ صَـاحِبِ بِدْعَـةٍ فَاحْـذَرْهُ}؛ وأَخْـرَجَ ابْنُ بَطَّةَ في (الإبانـة [الكبرى]) عنِ اِبْنِ عون أنَّه قالَ {مَن يُجالِسُ أهْلَ البِدَعِ أَشَـدُّ علينـا مِن أَهْـلِ البِـدَعِ}؛ وسَـأَلَ أَبُـو دَاوُد [صَـاحِبُ

السُّنَنِ] الإمامَ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ {أَرَى رَجُلًا مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ مَعَ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْبِدْعَةِ، أَتْـرُكُ كَلامَـهُ؟} فقـالَ {لَا، أَوْ تُعْلِمُهُ أَنَّ الرَّجُلَ الَّذِي رَأَيْته مَعَهُ صَاحِبُ بِدْعَةٍ، فَإِنْ تَـرَكَ كَلَامَهُ فَكَلِّمْهُ، وَإِلَّا فَأَلْحِقْـهُ بِـهِ}؛ وقـال الْبَرْبَهَـارِيُّ [في (شَرْحُ السُّـنَّةِ)] {إذا رَأَيْتَ الرَّجُـلَ جَالِسًـا مَـعَ رَجُـلٍ مِنْ أَهْلِ الأَهْوَاءِ فحَذِّرْه وعَرِّفْه، فإنْ جَلَسَ معه بعـدَ مـا عَلِمَ فاتَّقِه فإنَّه صاحِبُ هَوَى}. انتهى. وجاءَ في (شرح كتاب فضـل الإسـلام) للشـيخ ابنِ بـاز على موقعِـه [في هـذا الرابط](#)، أنَّ الشـيخَ سُـئِلَ {[هَـلِ] الـذي يُثْنِي على أهـلِ البِدَعِ ويَمدَحُهم يَلْحَـقُ بهم؟}، فأجـابَ الشـيخُ {نَعَمْ، مـا في شَكٍّ، مَن أَثْنَى عليهم ومَـدَحَهم هـو داعٍ لهم، يَـدعُو لهم، هـذا مِن دُعـاتِهم، نسـألُ اللـهَ العافِيَـةَ}. انتهى. وقالَ الشيخُ حمود التـويجري (الـذي تـولَّى القضـاءَ في بلدة رحيمة بالمنطقـة الشـرقية، ثم في بلـدة الـزلفي، وكان الشيخُ ابنُ باز مُحِبًّا له، قارئًا لكُتُبه، وقَدَّمَ لبعضِها، وبَكَى عليه عندما تُـوُفِّيَ -عـامَ 1413هــ- وأَمَّ المُصَـلِّين للصلاة عليه) في (القول البليغ في التحذير مِن جماعـة التبليغ): وهذه الرِّوَايَةُ عنِ الإمامِ أَحْمَـدَ يَنبَغِي تَطبيقُهـا على الـذِين يَمْـدَحون التَّبْلِيغِيِّين [يَعْنِي (جَماعـةَ التَّبلِيـغِ والـدَّعْوةِ)] ويُجـادِلون عنهم بالباطِـلِ، فمَن كـان منهم عالِمًـا بـأنَّ التَّبْلِيغِيِّين مِن أَهْـلِ البِـدَعِ والضـلالاتِ والجَهالاتِ، وهو مـع هـذا يَمْـدَحُهم ويُجـادِلُ عنهم، فإنَّه يُلْحَقُ بهم ويُعامَـلُ بمـا يُعـامَلون بـه مِنَ البُغْضِ والهَجْـرِ والتَّجَنُّبِ، ومَن كان جاهِلًا بِهم فَإنَّه يَنبَغِي إعلامُه بـأَنَّهم مِن أَهْـلِ البِـدَعِ والضـلالاتِ والجَهـالاتِ، فَـإنْ لم يَـترُكْ مَدْحَهم والمُجادَلةَ عنهم بَعْـدَ العِلْمِ بِهم فَإنَّه يُلْحَـقُ بِهم ويُعامَلُ بِما يُعامَلون به [قالَ الشيخُ مُقْبِلٌ الـوادِعِيُّ في (تحفة المجيب): أَلَّفَ الشيخُ حمود بن عبدالله التويجري رِسـالةً اِسـمُها (القَـولُ البَلِيـغُ في التَّحـذِيرِ مِن جَماعـةِ التَّبلِيـغِ)، أَنْصَـحُ بِقِراءَتِهـا، والمُؤَلَّفـاتُ كَثِـيرةٌ في بَيَـانِ

شِــركِيَّاتِهم وصُــوفِيَّاتِهم ومــا هُمْ عليــه مِنَ الضَّــلالِ، ودَعوَتُهم دَعـوةٌ مَيِّتـةٌ... ثم قـالَ -أيِ الشيـخُ الـوادِعِيُّ-: فَدَعوَتُهم دَعوةُ جَهلٍ وضَلالٍ، ولا أَنصَحُ بِــالخُروجِ معهم، وَيَــا حَبَّذَا لَــوْ مُنِعُــوا... ثم قـالَ -أيِ الشــيخُ الـوادِعِيُّ-: جَماعــةُ التَّبلِيــغِ جَمَعــوا بَيْنَ التَّصَــوُّفِ والجَهــلِ. انتهى باختصار. وقالَ الشيخُ مُقْبِـل الـوادِعِي أيضًـا في فتـوى صَــوتِيَّةٍ بعنــوان (الــرَّدُّ على فتــاوَى بَعضِ الأزهَــرِيِّين المُخالِفةِ) مُفَرَّغـةٍ على موقعِـه في هـذا الرابط: دَعـوَةُ الإخوانِ المُسلمِين مُمَيِّعةٌ مُضَيِّعةٌ، ودَعوَةُ جَماعةِ التَّبلِيغِ أيضًـا مُبتَدَعـةٌ، فَأَنْصَحُهم أنْ يُقْبِلُـوا على العِلْمِ النـافعِ. انتهى. وذَكَـرَ الشــيخُ أبــو عبداللّــه المصــري في كِتابِـه (وَقْفةٌ هادِئةٌ) فَتوى للشيخِ عبدِالعزيز الراجحي (الأستاذ في جامعــة الإمــام محمــد بن ســعود في كليــة أصــول الــدين، قســم العقيــدة) يَقــولُ فيهــا: جَماعــةُ التَّبلِيــغِ مَعروفٌ أنَّهم صُوفِيَّةٌ، ولا نَنصَحُ بِــالخُروجِ معهم. انتهى. وقالَ الشيخُ فركوس في فتوى له على موقعه في هذا الرابط: جَماعــةُ التَّبلِيــغِ مبايِنَــةٌ لِلحَــقِّ، صُــوفِيَّةُ المَنهَجِ والمَشــرَبِ، لهــا العَدِيــدُ مِنَ الأخطــاءِ؛ [وَ]لِلمَزِيــدِ مِنَ الاطِّلاعِ يُمْكِنُ مُراجَعةُ كتابِ (القولُ البليــغُ في التحــذير مِن جماعة التبليغ) للشيخِ حمود التــويجري رحمــه اللــه. انتهى باختصار. وقالَ الشيخُ صالحُ اللُّحَيْدَان (عضوُ هيئة كبار العلماء، ورئيسُ مجلس القضاء الأعلى) في (فَضْلُ دَعوةِ الإمامِ محمــد بنِ عبــدالوهاب): فجَمِيــعُ المُتَعَلِّمِين في المَملَكـةِ مِن قَبْـلِ عـامِ التِّسـعِينِ (1390هــ)، إنَّمــا تَعَلَّمــوا على مَنهَجِ كُتُبِ الشــيخِ [محمــد بنِ عبــدالوهاب] وأبنائه وتَلامِذَتِه، ولم يَكُنْ عندنا في المَملَكةِ دَعوةُ تَبلِيغٍ ولا دَعوةُ إخوانٍ ولا دَعوةُ سُــرورِيِّين وإنَّمــا الــدَّعوةُ إلى اللهِ وإعلانُ مَنهَجِ السَّلَفِ. انتهى باختصار. وقالَ الشــيخُ صالحُ اللُّحَيْدَان أيضا في فتوى صَوتِيَّةٍ مَوجُودةٍ على هــذا الرابط بِعُنْوانِ (جَماعةُ التَّبلِيـغِ عنـدهم ضَـلالاتٌ كَبِـيرةٌ):

جَماعةُ التَّبلِيغِ عنـدهم ضَـلالاتٌ كَبِـيرةٌ وضـارَّةٌ وإنْ كـانَ مَظهَـرُهم حَسَـنًا. انتهى. وفي هـذا الرابط على موقـع الشيخ ربيـع المـدخلي (رئيسُ قسـمِ السُّـنَّةِ بالدراسـات العليا في الجامعـة الإسـلامية بالمدينـة المنـورة)، قـالَ الشـيخُ: أهـلُ البِـدَعِ كـالرَّوافِضِ، والخَـوارِجِ، والجَهْمِيَّةِ، والقَدَرِيَّةِ، والمُعتَزِلـةِ، والصُّـوفِيَّةِ القُبورِيَّةِ، والمُرجِئـةِ، ومَن يَلْحَقُ بهم كالإخوانِ والتَّبلِيغِ وأمثـالِهم، فهـؤلاء لم يَشـتَرِطِ السَّـلَفُ إقامـةَ الحُجَّةِ مِن أَجْـلِ الحُكْمِ عليهم بالبِدعـةِ، فالرافِضِـيُّ يُقـالُ عنـه {مُبتَـدِعٌ}، والخـارِجِيُّ يُقالُ عنه {مُبتَدِعٌ}، وَهَكَـذَا، سَـواءٌ أُقِيمَتْ عليهم الحُجَّةُ أَمْ لا. انتهى. وقـالَ الشـيخُ سـعدُ بن عبداللـه السـبر (أستاذ الفقه المقارن بجامعة الإمـام محمـد بن سـعود) في مقالـة لـه على هـذا الرابط بعنـوان (التحـذير من جماعـة التبليـغ): وحِـزبُ [أَيْ جَماعـةُ] التَّبلِيـغِ الـذِين يَزعُمون أنَّهم يَدعون إلى اللهِ، وَهُمْ يَـدعون على جَهـلٍ وَعَـدَمِ بَصِـيرةٍ، ويَـدعون النـاسَ إلى البِـدَعِ والمُحـدَثاتِ ومُخالَفةِ التَّوحِيدِ وتَرْكِ اِتِّباعِ سَيِّدِ المُرسَلِين... ثم قالَ -أيِ الشـيخُ السـبر-: قـالَ الألبـانِيُّ رَحِمَـه اللـهُ {جَماعـةُ التَّبلِيغِ جَماعةٌ صُوفِيَّةٌ عَصرِيَّةٌ، جـاءَتْ بِتَطـويرٍ لِلصُّـوفِيَّةِ فلم يَخرُجوا مِنَ الطُّرُقِ الصُّوفِيَّةِ}، وقالَ [أَيِ الألبـانِيُّ] رَحِمَـه اللـهُ {فهي [أَيْ جَماعـةُ التَّبلِيـغِ] دَعـوةٌ صُـوفِيَّةٌ عَصـرِيَّةٌ، وَرِثَـوا شَـيئًا مِنَ الطُّرُقِ الصُّـوفِيَّةِ وحـاوَلوا أنْ يَجعَلوها تَختَلِفُ قَلِيلًا عنِ الصُّوفِيَّةِ السابِقةِ}... ثم قـالَ -أيِ الشـيخُ السـبر-: إنَّهم [أَيْ جَماعـةُ التَّبلِيـغِ] جُهَّالٌ يَحتـاجون لِمَن يُعلِّمُهم، فَكَيـفَ يَـدعون؟!، وَ[قَـدْ] قـالَ الألبانِيُّ {وَهُمْ [أَيْ جَماعةُ التَّبلِيغِ] لا يَعرِفون السُّنَّةَ}... ثم قالَ -أيِ الشيخُ السبر-: قـالَ الشـيخُ الألبـانِيُّ رَحِمَـه اللـهُ عن جَماعـةِ التَّبلِيـغِ {وَهُمْ لا يُعنَـوْنَ بِالـدَّعوةِ إلى الكِتابِ والسُّنَّةِ كَمَبدَأٍ عامٍّ بَلْ إنَّهم يَعتَبِرون هذه الـدَّعوةَ مُفَرِّقةً، ولِذلك فَهُمْ أشبَهُ مـا يَكونـون بِجَماعـةِ الإخـوانِ

المُسلِمِين، فَهُمْ يَقولون أنَّ دَعوَتَهم قائمةٌ على الكِتـابِ والسُّنَّةِ، وَلِكَونِ هذا مُجَرَّدَ كَلام فَهُمْ لا عَقِيــدةَ تَجمَعُهم، فهـذا مَاتُرِيـدِيٌّ، وهـذا أَشْـعَرِيٌّ، وهـذا صُـوفِيٌّ، وهـذا لا مَذهَبَ له، ذلك لِأنَّ دَعوَتَهم قائمةٌ على مَبدَأِ (كَتِّلْ جَمِّعْ، ثُمَّ ثَقِّفْ)، والحَقِيقةُ أنَّه لا ثَقافةَ عندهم فَقَدْ مَرَّ عليهم أكثَرُ مِن نِصفِ قَرنٍ مِنَ الزَّمانِ ما نَبَغَ فيهم عـالِمٌ، وأمَّا نحن فَنَقولُ (ثَقِّفْ، ثُمَّ جَمِّعْ) حـتى يَكـونَ التَّجمِيـعُ على أساسِ مَبدَأٍ لا خِلافَ فيه، فَدَعوةُ جَماعةِ التَّبلِيغِ صُــوفِيَّةٌ عَصرِيَّةٌ، تَـدعو إلى الأخلاقِ، أمَّا إصـلاحُ عَقائـدِ المُجتَمَـعِ فَهُمْ لا يُحَرِّكون ساكِنًا، لِأنَّ هذا -بِزَعمِهم- يُفَـرِّقُ}... ثم قالَ -أيِ الشيخُ السبر-: قالَ الشـيخُ عبـدالرزاق عفيفي [نائبِ مفـتي المملكـة العربيـة السـعودية، وعضـوِ هيئـة كبــار العلمــاء، ونــائبِ رئيس اللجنــة الدائمــة للبحــوث العلمية والإفتاء] رَحِمَه اللهُ عن جَماعةِ التَّبلِيـغِ {الواقِـعُ أنَّهم مُبتَدِعـةٌ مُحَرِّفـون، وأنـا أعـرِفُ التَّبلِيـغَ مِن زَمـانٍ قَدِيمٍ، وَهُمُ المُبتَدِعةُ في أيِّ مَكانٍ كـانوا هُمْ، في مِصْـرَ وأمْرِيكـا والسُّـعودِيَّةِ}. انتهى باختصــار. وقــالَ الشــيخُ صــالح الفــوزان (عضــوُ هيئــةِ كِبــار العلمــاءِ بالــدِّيَارِ الســعوديةِ، وعضــوُ اللجنــةِ الدائمــةِ للبحــوثِ العلميــةِ والإفتـاءِ) في فتـوى صَـوتِيَّةٍ مَوجُـودةٍ على هـذا الرابط بعُنْـوانِ (لا يَجـوزُ الخُـروجُ مـع جَماعـةِ التَّبلِيـغِ): وهـذه جَماعــةٌ صُــوفِيَّةٌ مَعروفــةٌ، ثَبَتَ أنَّهــا جَماعــةٌ صُــوفِيَّةٌ، تَسَرَّبوا إلى بِلادِنا وغَيرِهـا لِأجْـلِ أنْ يَنشُـروا الصُّـوفِيَّةَ، فَلا يَجـوزُ لِصـاحِبِ السُّـنَّةِ وصـاحِبِ التَّوحِيـدِ أنْ يَخـرُجَ معهم، فَيَجِبُ أنْ يُلفَـظَ هـؤلاء ولا يُلتَفَتَ إليهم. انتهى باختصار. وقالَ الشيخُ صالح الفوزان أيضًـا في (إتحـافُ القاري بِالتَّعلِيقـاتِ على شَـرحِ السُّـنَّةِ): جَماعـةُ التَّبلِيـغِ الذِين قَـدِ اِغتَـرَّ بِهِم كَثِـيرٌ مِنَ النـاسِ اليَـومَ، نَظَـرًا لِمَـا يَظهَـرُ مِنهمْ مِنَ التَّعَبُّدِ وتَتـوِيبِ العُصـاةِ -كَمـا يَقولـونَ- وشِـدَّةِ تَـأثِيرِهِم على مَنْ يَصـحَبُهم، ولَكِنْ هُمْ يُخرِجـونَ

العُصــاةَ مِنَ المَعصِــيَةِ إلى البِدعــةِ، والبِدعــةُ شَــرٌّ مِنَ المَعصِيَةِ، والعاصِي مِن أهـلِ السُّـنَّةِ خَـيرٌ مِنَ العابِـدِ مِنْ أهلِ البِدَعِ، فَلْيُتَنَبَّهْ لِذلكَ. انتهى. وقالَ الشيخُ محمـد بن هـادي المـدخلي (عضـو هيئـة التـدريس بكليـة الحـديث الشــريف بالجامعــة الإســلامية بالمدينــة المنــورة) في فتــوى صَــوتِيَّةٍ بِعُنْــوانِ (مــا حُكمُ الخُــروجِ مــع فِرقــةِ التَّبلِيــغِ؟) مَوجُـودةٍ على هــذا الرابط: لا تَخــرُجْ معهم، هــؤلاء جَماعــةٌ بِدعِيَّةٌ في تَوحِيــدِ اللــهِ وفي أســمائه وصِفاتِه. انتهى باختصار. وقالَ الشـيخُ محمـد بن هـادي المدخلي أيضًا في فتوى صَوتِيَّةٍ بِعُنْوانِ (هَل هناك فَرقٌ بَيْنَ التَّبلِيـغِ في السُّـعودِيَّةِ والهِنْـدِ؟) مَوجُـودةٍ على هـذا الرابط: مَا فِيه [أَيْ ما يُوجَدُ] فَرْقٌ، كُلُّهم سَــوَاءٌ. انتهى. وقـالَ الشـيخُ عبـدُالعزيز آل الشـيخ في فيـديو بِعُنْـوانِ (تَحـذِيرُ سَـمَاحةُ المُفتِي مِن جَماعـةِ الإخـوانِ وجَماعـةِ التَّبلِيغِ): ولو صَحِبَهم [أَيْ صَحِبَ جَماعةَ التَّبلِيـغِ] ذو عِلْمٍ وفِقــهٍ وفَضــلٍ، لم يَرتَضــوا بــه ولم يُصــاحِبوه، وإنَّمــا يَبتَعِدون ويُحَذِّرون منه. انتهى. وقالَ الشـيخُ عبـدُالعزيز الـريس في خُطْبَـةٍ لـه بِعُنْـوانِ (لِمـاذا جَماعـةُ التَّبلِيـغِ؟) مُفَرَّغَةٍ على هذا الرابط في موقعِ الإسلام العتيق الـذي يُشرِفُ عليه: تَوَارَدَ عُلَماءُ أهلِ السُّنَّةِ على تَبدِيعِ جَماعـةِ التَّبلِيغِ وتَضلِيلِها، وتَحذِيرِ الناسِ مِن مُصاحَبَتِها والخُروجِ معها... ثم قالَ -أَيِ الشيخُ الريس-: قالَ سَمَاحَةُ الشـيخِ عبدِالعزيز بْنِ باز -رَحِمَه اللـهُ تَعـالَى- فِي إجابـةِ سُـؤالٍ حَـوْلَ جَماعـةِ التَّبلِيـغِ {وجَماعـةُ التَّبلِيـغِ والإخـوانِ مِن عُمــومِ الثِّنْتَيْنِ وَالسَّــبْعِينَ فِرْقَــةً الضــالَّةِ}، وبَيَّنَ [أَيِ الشيخُ اِبنُ باز] في إجابةِ سُـؤالٍ آخَـرَ وقـالَ أنَّ عنـدهم جَهلًا وعَدَمَ بَصِيرةٍ بِالعَقِيدةِ، وحَـذَّرَ مِنِ اِنضِـمامِ الجُهَّالِ إليهم. انتهى. وقالَ الشَّيخُ عبدُالله الخليفي في (تَقوِيمُ المُعاصِرِين): فالتَّبلِيغُ والإخوانُ أبعَدُ النَّاسِ عنِ الحَـدِيثِ والعِلْمِ وهَـدْيِ الأوائـلِ، بَـلْ هي فِـرَقٌ مُحدَثـةٌ. انتهى].

إنتهى. وقالَ ابنُ تيميـةَ في (مجمـوعِ الفَتَـاوَى): وَمِثْـلُ أَئِمَّةِ الْبِدَعِ مِنْ أَهْلِ الْمَقَالَاتِ الْمُخَالِفَةِ لِلْكِتَـابِ وَالسُّـنَّةِ، أَوْ [مِنْ أَهْلِ] الْعِبَادَاتِ الْمُخَالِفَـةِ لِلْكِتَـابِ وَالسُّـنَّةِ، فَـإِنَّ بَيَـــانَ حَـــالِهِمْ وَتَحْـــذِيرَ الأُمَّةِ مِنْهُمْ وَاجِبٌ بِاتِّفَـــاقِ الْمُسْلِمِينَ، حَتَّى قِيـلَ لِأَحْمَـدَ بْنِ حَنْبَـلٍ {الرَّجُـلُ يَصُـومُ وَيُصَلِّي وَيَعْتَكِفُ أَحَبُّ إلَيْـك أَوْ يَتَكَلَّمُ فِي أَهْـلِ الْبِـدَعِ؟}، فَقَالَ {إذَا قَامَ وَصَلَّى وَاعْتَكَفَ فَإِنَّمَـا هُـوَ لِنَفْسِـهِ، وَإِذَا تَكَلَّمَ فِي أَهْلِ الْبِدَعِ فَإِنَّمَا هُوَ لِلْمُسْـلِمِينَ هَـذَا أَفْضَـلُ}، فَبَيَّنَ أَنَّ نَفْعَ هَـذَا عَـامٌّ لِلْمُسْـلِمِينَ فِي دِينِهِمْ مِنْ جِنْسِ الْجِهَـادِ فِي سَـبِيلِ اللَّهِ، إذْ تَطْهِـيرُ سَـبِيلِ اللَّهِ وَدِينِـهِ وَمِنْهَاجِهِ وَشِرْعَتِهِ وَدَفْعِ بَغْيِ هَؤُلَاءِ وَعُدْوَانِهِمْ عَلَى ذَلِـكَ وَاجِبٌ عَلَى الْكِفَايَةِ بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ، وَلَـوْلَا مَنْ يُقِيمُـهُ اللَّهُ لِدَفْعِ ضَرَرِ هَؤُلَاءِ لَفَسَدَ الـدِّينُ وَكَـانَ فَسَـادُهُ أَعْظَمَ مِنْ فَسَادِ اِسْتِيلَاءِ الْعَدُوِّ مِنْ أَهْلِ الْحَرْبِ، فَـإِنَّ هَـؤُلَاءِ إذَا اِسْتَوْلَوْا لَمْ يُفْسِدُوا الْقُلُوبَ وَمَا فِيهَا مِنَ الدِّينِ إلَّا تَبَعًا، وَأَمَّا أُولَئِكَ فَهُمْ يُفْسِدُونَ الْقُلُوبَ اِبْتِـدَاءً. انتهى. وقـالَ اِبنُ تيميَّةَ أيضًا في (الصارمِ المسلول): قالَ ابْنُ عَقِيـلٍ عن شَـيخِه أَبِي الْفَضْـلِ الْهَمْـدَانِيِّ {مُبتَدِعـةُ الإسـلامِ، والكَذَّابون والواضِعون لِلحَدِيثِ، أَشَدُّ مِنَ المُلحِـدِين، لِأَنَّ المُلحِدِين قَصَدوا إفسادَ الدِّينِ مِن خارِجٍ، وهؤلاء قَصَدوا إفسـادَه مِن داخِـلٍ، فَهُمْ كَأَهـلِ بَلَـدٍ سَـعَوْا في فَسـادِ أحوالِـه، والمُلحِـدون كالمُحاصِـرِين مِن خـارِجٍ، فالـدُّخَلاءُ يَفتَحـــون الحِصْـــنَ فَهُمْ شَـــرٌّ على الإســـلامِ مِن غَـــيرِ المُلابِسِين لـه}. انتهى. وقـالَ الشـيخُ صـالح آل الشـيخ (وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والـدعوة والإرشـاد) في شَـــرِيطٍ صَـــوتيٍّ مُفَـرَّغٍ على هــذا الرابط بعنـــوان (وَقَفاتٌ مع كَلِماتٍ لِابْنِ مَسعُودٍ): اِبْنُ مَسعُودٍ وَصَّى بــه عليه الصَّلاةُ والسَّـلامُ، وَصَّـى الأُمَّةَ أنْ تَأْخُـذَ بِعَهـدِه وأنْ تَقتَفِيَ أثَرَه، فقد صَحَّ عن النَّبِيِّ صلى الله عليـه وسـلم فيما رَواه الإمامُ أحْمَدُ والحاكِمُ وغَيرُهما أنَّ النَّبِيَّ عليـه

الصَّلاةُ والسَّلامُ قالَ {تَمَسَّكُوا بِعَهْدِ ابْنِ أُمِّ عَبْدٍ [أَي اِبْنِ مَسعُودٍ]} يَعنِي إذا عَهِدَ إليكم عَهدًا فَتَمَسَّكوا بـه، وصَحَّ عنه أيضًا عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ أنَّه قالَ {رَضِيتُ لأُمَّتِي مَا رَضِيَ لَهَا ابْنُ أُمِّ عَبْدٍ}... ثم قالَ -أَي الشيخُ صالح-: ومِن كَلِماتِ اِبْنِ مَسعُودٍ رَضِيَ اللهُ عنه أنَّه قالَ {اعْتَبِرُوا النَّاسَ بِأَخْدَانِهِمْ فَإِنَّ الْمَرْءَ لا يُخَادِنُ إلَّا مَنْ يُعْجِبُهُ}، وهذا مَأخُوذٌ مِن قَولِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم الحَدِيثِ الصَّحِيحِ المَروِيِّ في السُّنَنِ {الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلْ}، صَحِيحٌ كما قالَ اِبْنُ مَسعُودٍ {الْمَرْءُ لا يُخَادِنُ إلَّا مَنْ يُعْجِبُهُ} يُعْجِبُهُ في تَصَرُّفاتِه، يُعْجِبُهُ في عَقلِه، يُعْجِبُهُ في تَفكِيرِه، فإذا رَأَيْتَ أَحَدًا يُخادِنُ أَحَدًا (يَعنِي صَدِيقًا له، مُلازِمًا لـه، مُحِبًّا لـه) فاعتَبِرْ هذا بذاك، فإنَّ الأَرْوَاحَ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، مَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ، فاعتَبِروا الناسَ بِأَخْدَانِهِمْ، وهذا يَدُلُّ على ذاك [أَيْ وحالُ هذا يَدُلُّ على حالِ ذاك]؛ فَمِن جِهةِ الأعمالِ، إذا رَأَيْتَ مَن يَغْشَى الْمَعَاصِيَ والكبائرَ، ورَأَيْتَ مَن يُصاحِبُه ويُلازِمُه فاعتَبِرْه بذاك، واخْشَ عليه أنْ يَكونَ مِثْلَ صاحِبِه، لِأنَّ مَن عَلِمَ بِالمَعصِيَةِ فَرَضِيَها كانَ شَرِيكًا لِصاحِبِها في الإثمِ؛ في الألْسِنةِ، إذا وَجَدتَ أنَّ فُلانًا سَبَّابًا شَتَّامًا كَثِيرَ الغِيبةِ كَثِيرَ الوَقِيعةِ، وتَجِدُ أنَّ فُلانًا كَثِيرُ الصُّحبةِ له لا يُخالِفُه ولا يَنهاه ولا يُفارِقُه، فاعْلَمْ أنَّه شَبِيهٌ به، رَضِيَ صَنِيعَه؛ في العُقولِ، الناسُ [يَعنِي الْمُتَصَاحِبِين] يَتَقارَبون في العُقولِ وفي التَّفكِيراتِ، فإذا وَجَدتَ في عَقلِ أَحَدِهم مَحَبَّةً لِلعِلْمِ، ووَجَدتَ مَن يُصاحِبُه، فَتَعْلَمُ أنَّ مَن يُصاحِبُه مُحِبٌّ لِلعِلْمِ وإنْ لم يَكُنْ مِن أهلِ العِلْمِ، [وَ]إذا وَجَدتَ مَن يُصاحِبُ صاحِبَ السُّنَّةِ فَتَعْلَمُ أنَّه صاحِبُ سُنَّةٍ، لِأنَّه كَما قالَ اِبْنُ مَسعُودٍ {اعْتَبِرُوا النَّاسَ بِأَخْدَانِهِمْ}، وإذا وَجَدتَ مَن يُصاحِبُ أهلَ الأَثَرِ فهو مُحِبٌّ للأَثَرِ وَلِأهلِه، وإذا وَجَدتَ مَن يُصاحِبُ أهلَ الرَّأيِ ويَلزَمُهم فَتَعْلَمُ أنَّه

مُحِبٌ لهم وأنَّ له حُكْمَهم، مَن أحَبَّ السُّنَّةَ صَـحِبَ أَهْلَها، ومَن أحَبَّ المُحـــدَثاتِ صَـــحِبَ أَهْلَها، والْمَــرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِـهِ كَمـا قـالَ عليـه الصَّـلاةُ والسَّـلامُ... ثم قـالَ -أَيِ الشيخُ صالح-: فَتَأَمَّلْ نَفْسَكَ ومَن تُصاحِبُ؟، هَلْ تُصاحِبُ أهلَ الطاعـةِ أَمْ أهـلَ المَعصِـيَةِ؟... ثم قـالَ -أَيِ الشـيخُ صالح-: إذا وَجَـدتَ مَن يَـأنَسُ لأهـلِ العِصـيَانِ، ولـو كـانَ ظـاهِرُه الطاعــةَ، فَفِي الغـالِبِ أنَّ نَفْسَــه مِن داخِلِهــا تُنازِعُه إلى العِصيَانِ، ولـو مِنْ طَـرْفٍ خَفِيٍّ؛ وإذا وَجَـدتَ مَن يُصـاحِبُ أهـلَ العِلْمِ، وَجَـدتَ أنَّ نَفْسَـه تُنازِعُـه إلى العِلْمِ، ولـــو لم يَكُنْ مِن طَلَبَتِـــه؛ وإذا وَجَـــدتَ نَفْسَـــكَ تُصـاحِبُ أَهْـلَ السُّـنَّةِ، فَمَعنَى ذلـك أنَّ قَلبَـكَ مُحِبٌّ لها؛ وإذا وَجَدتَ نَفْسَكَ تُصاحِبُ أَهْلَ المُحدَثاتِ وَأَهْـلَ الغِيبـةِ وَأَهْلَ النَّمِيمةِ وَأَهْلَ الوَقِيعـةِ فَتَعْلَمُ أنَّ الْمَـرْءَ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ... ثم قالَ -أَيِ الشيخُ صالح-: أهلُ البِدَعِ هُمُ الذِين يَعمَلون بِالبِدَعِ أو يَدعُون إليهـا؛ والبِدعـةُ هي المُحـدَثاتُ في الدِّين، قد تَكـونُ مِن جِهـةِ الاعتِقـادِ وقـد تَكـونُ مِن جِهةِ العَمَلِ؛ والمُبتَدِعةُ حَذَّرَ منهم النَّبِيُّ صلى الله عليــه وســلم فَقــالَ عليــه الصَّــلاةُ والسَّــلامُ {إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُـــونَ مَـــا تَشَـــابَهَ مِنْـــهُ فَأُولَئِكِ الَّذِينَ سَـــمَّى اللَّهُ فَاحْذَرُوهُمْ}، فالذِين أحـدَثوا المُحـدَثاتِ في الاعتِقـاداتِ أو في الأعمالِ ولازَمُوها يُطلَقُ عليهم (أصحابُ البِـدَعِ)، والواحِدُ منهم (مُبْتَدِعٌ)، وهؤلاء هَدْيُ السَّلَفِ فيهم أنْ لا يُجالَسوا، وأنْ يُحذَّرَ منهم ومِن مَقالاتِهم ومِن أعمالِهم. انتهى باختصــار. وقــالَ الشــيخُ عبــدُالعزيز الــراجحي (الأسـتاذ في جامعـة الإمـام محمـد بن سـعود في كليـة أصــول الــدين، قســم العقيــدة) في (شــرح "الشــرح والإبانـــة"): قـــالَ عَمْـــرُو بْنُ قَيْسٍ الْمُلَائِيُّ {إِذَا رَأَيْتَ الشَّابَّ أَوَّلَ مَا يَنْشَأُ مَـعَ أَهْـلِ السُّـنَّةِ وَالْجَمَاعَـةِ فَارْجُـهُ، وَإِذَا رَأَيْتَه مَعَ أَصْحَابِ الْبِـدَعِ فَـايْئَسْ مِنْـهُ، فَـإِنَّ الشَّـابَّ عَلَى أَوَّلِ نُشُوئِهِ}، هذه المَقالةُ لعَمْرِو بْنِ قَيْسٍ الْمُلَائِيِّ

في بَيَانِ عِظَمِ شَأْنِ البِدعةِ، وأنَّها أَشَدُّ مِنَ الكَبِيرةِ، إذَا رَأَيْتَ الشَّابَّ أَوَّلَ مَا يَنْشَأُ مَعَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فَارْجُ له الخير، أَمَّا إِذَا رَأَيْتَه مَعَ أَهْلِ الْبِدَعِ فَايْئَسْ مِنْهُ، فَإِنَّ الشَّابَّ عَلَى أَوَّلِ مَنْشَئِه، هذا في الغالِبِ، هذا هو الأغلَبُ، وإلَّا فقد يُوَفِّقُ اللهُ الإنسانَ ولو كانَ مِن أَهْلِ الْبِدَعِ، قد يُوَفِّقُه اللهُ لِمُعتَقَدِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، لَكِنَّ هذا في الأغلَبِ وهو صَحِيحٌ، في الغالِبُ أنَّ مَن نَشَأَ على مُعتَقَدِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فإنَّه يُرجَى له الخَيْرُ والاستِمرارُ عليه، وإذا نَشَأَ مَعَ أَهْلِ الْبِدَعِ فالغالِبُ أنَّه يَستَمِرُّ على بِدعَتِه، نَسأَلُ اللهَ السَّلامةَ والعافِيَةَ. انتهى باختصار. وفي فَتْوَى صَوتِيَّةٍ مُفَرَّغةٍ على هذا الرابط في موقع الإسلام العتيق الذي يُشرِفُ عليه الشيخُ عبدُالعزيز الريس، سُئِلَ الشيخُ {مَن يُجالِسُ أهلَ البِدَعِ ويَحضُرُ لهم، هَلْ نُلحِقُه بهم؟ وهَلْ نُحَذِّرُ منه زُمَلاءَنا وإخوانَنا لِئَلَّا يَغتَرُّوا به؟}؛ فَكانَ مِمَّا أجابَ به الشيخُ: فكَلَامُ أئمَّةُ السُّنَّةِ كَثِيرٌ في أنَّ مَن جالسَ أهلَ البِدَعِ فإنَّه يُلحَقُ بهم، وثَبَتَ عنِ ابْنِ مَسْعُودٍ أنَّه قالَ {الْمَرْءُ بِخِدْنِهِ}، ورَوَى ابْنُ بَطَّةَ عَنِ مُحَمَّدِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ الْغَلَابِيِّ أنَّه قالَ {يَتَكَاتَمُ أَهْلُ الأَهْوَاءِ كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا الأُلفةَ وَالصُّحْبَةَ} [قالَ الشيخُ حسن أبو الأشبال الزهيري في (شرح كتاب الإبانة): أهلُ الأهواءِ عندهم قُدرةٌ فائقةٌ على كَتْمِ [ما] عندهم مِن فِكْرٍ وضَلالٍ وهَوًى، لَكِنَّ الذي يَفضَحُهم هو التآلُفُ وَالصُّحْبَةُ، فَتَجِدُ الواحِدَ منهم يَمِيلُ إلى إِلْفِهِ وشِكْلِه، فإذا كانَ فُلانٌ يُماشِي فُلانًا [أيْ يَمشِي معه] فَلا بُدَّ أنَّ هناك شَيئًا لازِمًا وَوَحْدَةَ فِكْرٍ بينهم، لِأنَّ الأُلفةَ وَالصُّحْبَةَ دائمًا تَفضَحُ ما وَراءَها. انتهى]، إلى غَيرِ ذلك مِنَ الآثارِ الكَثِيرةِ، بَلْ ذَكَرَ ابْنُ بَطَّةَ إجماعَ السَّلَفِ على ذلك... ثم قالَ -أيِ الشيخُ الريس-: فإذَنِ الآثارُ كَثِيرةٌ عنِ السَّلَفِ في أنَّ مَن جالسَ أهلَ البِدَعِ فإنَّه يُلحَقُ بهم... ثم قالَ -أيِ الشيخُ

الريس-: فَيَنبَغِي أنْ نَكونَ أهـلَ سُـنَّةٍ حقًـا، وألَّا نُجـالِسَ إلَّا أهــلَ السُّــنَّةِ، وألَّا نَــدخُلَ ولا نَخــرُجَ إلَّا معهم، وأنْ نَتَقَصَّـدَ مُجالَسَـتَهُمْ دُونَ غَـيرِهم، فإنَّنـا في زَمَنِ غُربـةٍ. انتهى باختصار.

(3)وقالَ مركزُ الفتوى بموقع إسـلام ويب التـابع لإدارة الـدعوة والإرشـاد الـديني بـوزارة الأوقـاف والشـؤون الإسلامية بدولة قطر في هـذا الرابط: الفِرْقـةُ الناجِيَـةُ هُمْ أهلُ السُّنَّةِ والجَمَاعةِ. انتهى باختصار. وقالَ الشــيخُ ابنُ باز في فتوى له على موقعه في هذا الرابط: النبيُّ صَلَى اللهُ عليه وسَلَّمَ لم يُبَيِّنِ الِفرَقَ، لكنْ يَجْمَعُها أنَّهــا على خِلَافِ طَرِيقِه صَـلَى اللـهُ عليـه وسَـلَّمَ ومـا شَـرَعَ، ثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ على خِلَافِ طَرِيقِه عليه الصلاةُ والسلامُ؛ وهذه الفِرَقُ ليس كُلُّها كافرةً، هي مُتَوَعَّدةٌ بالنــارِ كُلُّها، لكنَّ فيهـا الكـافِرَ وفيهـا غـيرَ الكـافِرِ، فيهـا مَن بِدعَتُـه تَجْعَلُه كافرًا، وفيها مَن بِدعَتُـه لا تُرَقِّيـه ولا تُوَصِّـلُه إلى أنَّه كافرٌ لكنْ يكونُ عاصِيًا. انتهى باختصار. وقالَ الشيخُ ابنُ بـاز أيضًـا في (شـرح كتـاب فضـل الإسـلام) على موقعـه في هـذا الرابط: البِدعـةُ أَكْبَـرُ مِنَ الكبـائرِ لِأنَّهـا إحـداثٌ في الإسـلامِ، وتُهْمـةٌ للإسـلام بـالنَّقْصِ (فَلِهـذا يَبتَـدِعُ [أَيِ المُبتَـدِعُ] ويَزِيـدُ)، أمَّا المَعاصـي فهي اتِّبـاعٌ للهَـوَى وطاعــةٌ للشــيطانِ فهي أسْــهَلُ مِنَ البِدعــةِ، وصاحِبُها قد يَتُوبُ ويُسارِعُ وقد يَتَّعِظُ، أمَّا صاحِبُ البِدعةِ فيَرَى أنَّه مُصِيبٌ فلا يَتُوبَ، يَرَى أنَّه مُصِـيبٌ وأنَّه مُجتَهِـدٌ فيَستَمِرَّ في البِدعةِ، نَعوذُ باللهِ، ويَرَى الدِّينَ ناقِصًا وهو في حاجَةٍ إلى بِدْعَتِه، فَلِهذا صارَ أَمْرُ البِدعةِ أَشَدَّ وأخْطَرَ مِنَ المَعصِـيَةِ [قـالَ ابنُ تيميـةَ في (مجمـوع الفَتَـاوَى): قَـالَ طَائِفَـةٌ مِنَ السَّـلَفِ {الْبِدْعَـةُ أَحَبُّ إلَى إبْلِيسَ مِنَ الْمَعْصِـيَةِ، لِأنَّ الْمَعْصِـيَةَ يُتَـابُ مِنْهَـا وَالْبِدْعَـةُ لَا يُتَـابُ مِنْهَا}. انتهى باختصار. وفي فتوى صَوتِيَّةٍ مَوجُودةٍ على

هذا الرابط قالَ الشيخُ محمد بن هادي المـدخلي (عضـو هيئـة التـدريس بكليـة الحـديث الشـريف بالجامعـة الإسلامية بالمدينة المنورة): يقولُ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ رحمه اللهُ تعالى {لَأَنْ يَصْحَبَ اِبْنِي فاسِقًا شاطِرًا [الشاطِرُ هو الذي أتْعَبَ أهْلَهُ خُبْثًا وَلُؤْمًا وَشَرًّا] سُنِّيًّا، أَحَبُّ إِلَيَّ مِن أَنْ يَصْحَبَ عابِدًا مُبْتَدِعًا}... ثم قالَ -أيِ الشيخُ المدخلي-: والمَعصِيَةُ أَمْرُها أَخَفُّ مِنَ البِدعةِ فَضْلًا عنِ الشِّركِ}... ثم قالَ -أيِ الشيخُ المدخلي-: ففِسْقُه [يُشِيرُ إلى ما جاءَ في حَدِيثِ سَعِيدِ بْنُ جُبَيْرٍ السَّابِقِ ذِكْرُهُ]، وشَطَارَتُه، ما أخْرَجَتْه مِنَ السُّنَّةِ... ثم قالَ -أيِ الشيخُ المدخلي-: ولذلك قالَ أَئِمَّةُ السُّنَّةِ في هؤلاء [أَيْ أصحابِ الوَصفِ الذي جاءَ في حَدِيثِ سَعِيدِ بْنُ جُبَيْرٍ السَّابِقِ ذِكْرُهُ] {فُسَّاقُ أَهْلِ السُّنَّةِ}، وهذا الفِسْقُ جانِبٌ في العَمَلِيَّاتِ لَكِنْ عَقِيدتُه ما هِيَ؟، سُنِّيٌّ، ما خَرَجَ عنِ السُّنَّةِ. انتهى باختصار. وقالَ الشيخُ محمد بنُ الأمين الدمشقي في مقالةٍ له بعنوان (الحوار الهادي مع الشيخ القرضاوي) على موقعه في هذا الرابط: اتَّفَقَ أئمَّةُ السَّلَفِ الصالحِ على أنَّ أَهْلَ البِدَعِ، حتى لو كانوا مِن أهلِ العِلمِ والعِبادةِ والزُّهْدِ، فإنَّهم أَسْوَءُ بِمَرَّاتٍ مِنَ الفُسَّاقِ العُصاةِ. انتهى. وقالَ القرطبيُّ في (الجامع لأحكام القرآن): وَإِذَا ثَبَتَ تَجَنُّبُ أَصْحَابِ الْمَعَاصِي كَمَا بَيَّنَّا فَتَجَنُّبُ أَهْلِ الْبِدَعِ وَالأَهْوَاءِ أَوْلَى. انتهى]... ثم قالَ -أيِ الشيخُ ابنُ بازٍ-: الثِنْتانِ وَالسَبْعُونَ فِرْقةً، كُلُّهم يَجتَمِعون في إجَابَةِ النبيِّ، لأنَّهم مِن أُمَّتِه (مِن أُمَّةِ الإجَابةِ)، أمَّا أُمَّةُ الدَّعوةِ فكثيرون، اليهودُ والنصارَى مِن أُمَّةِ الدَّعوةِ، لا قِيمةَ لهم، مِن أَهْلِ النارِ، لكنَّ هذه الثَّلاثُ وَالسَّبْعُونَ [هُمُ] الذِين استجابوا، [هُمُ] الذِين زَعَموا أَنَّهم مِن أَتْباعِ النبيِّ (زَعَموا أَنَّهم أجابُوا دَعوَتَه)، الناجِي منهم السَّلِيمُ [هُمُ] الفِرْقةُ الناجِيَةُ الذِين تابَعوا النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ وسارُوا على نَهْجِه، أَمَّا

الثِنْتَانِ وَالسَبْعُونَ على دَرَجَـاتٍ، [فَهُمْ] مُتَوَعَّدون بالنـارِ كُلُّهم، نسـألُ اللـهَ العافِيَـةَ. انتهى باختصـار. وقـالَ عبـدُالعزيز بنُ محمـد بن سـعود (ثـانِي حُكَّامِ الدَّولـةِ السُّعودِيَّةِ الأُولى، وقد تُوُفِّيَ عامَ 1218هـ): وهذه الأُمَّةُ اِفتَـرَقَتْ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَـبْعِينَ فِرْقَـةً، كُلُّهَـا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً، قِيلَ {مَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟}، قـالَ {مَن كـانَ على مِثْلِ مَا أَنَـا عَلَيْـهِ الْيَـوْمَ وَأَصْـحَابِي}، وجَمِيـعُ أهـلِ البِدَعِ والضَّلالِ مِن هذه الأُمَّةِ يَدَّعُون هـذه الـدَّعْوَى، كُـلُّ طائفَـةٍ تَـزْعُمُ أنهـا هي الناجِيَـةُ، فـالخَوارِجُ، والرافِضـةُ الــذِينَ حَــرَّقَهم عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَــالِبٍ بالنــارِ، وكــذلك الجَهْمِيَّةُ والقَدَرِيَّةُ، وأضرابُهم، كُلُّ فِرْقَةٍ مِن هذه الفِرَقِ تَدَّعِي أنَّهـا هي الناجِيَّةُ، وأنَّهم المُتَمَسِّكون بِكِتـابِ اللـهِ وَسُنَّةِ رَسولِه صلى الله عليـه وسـلم. انتهى من (الـدُّرَر السَّنِيَّة في الأجوبة النَّجْدِيَّة). وفي فيـديو للشـيخِ صـالح الفـوزان (عضـوُ هيئـةِ كِبـار العلمـاءِ بالـدِّيَارِ السـعوديةِ، وعضوُ اللجنةِ الدائمةِ للبحوثِ العلميةِ والإفتـاءِ) بعُنْـوانِ (هَـلْ يَجـوزُ الحُكمُ على طائفـةٍ مُعَيَّنـةٍ في هـذا الزَّمـانِ بِأنَّهـا مِنَ الفِـرَقِ الهالِكـةِ؟)، سُـئلَ الشـيخُ {قـالَ عليـه الصَّــلاةُ والسَّــلامُ (وَســتَفتَرِقُ هــذه الأُمَّةُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَـبْعِينَ فِرْقَـةً، كُلُّهم فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِـدَةً)، هَـلْ يَجـوزُ الحُكمُ على طائفـةٍ مُعَيَّنـةٍ في هـذا الزَّمـانِ بِأنَّهـا مِنَ الفِرَقِ الهالِكةِ؟}، فأجابَ الشيخُ: نَعَمْ، مَن خالَفَ مَذهَبَ أهلِ السُّنَّةِ والجَماعةِ فهو مِنَ الفِرَقِ الهالِكةِ، لا نَجاةَ إلَّا لِأهلِ السُّـنَّةِ والجَماعـةِ، ومَن عَـدَاها فهـو مُتَوَعَّدٌ بِالنـارِ {كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِـدَةً}، قـالوا {مَنْ هِيَ يَـا رَسُـولَ اللَّهِ؟}، قـالَ {مَن كـانَ على مِثْـلِ مَـا أَنَـا عَلَيْـهِ الْيَـوْمَ وَأَصْحَابِي}، ولذلك سُـمِّيَتِ الفِرقـةَ الناجِيَـةَ، لِأَنَّهـا نَجَتْ مِن هذا الوَعِيدِ. انتهى. وقالَ الشيخُ ناصر العقل (رئيس قسم العقيدة بكلية أصول الـدين بجامعـة الإمـام محمـد بن سعود الإسلامية بالرياض) في (شـرح مجمـل أصـول

أهـل السـنة) عنِ الفَـرْقِ بين المَـذاهِبِ والفِـرَقِ: في العُمومِ، فإنَّ (الفِرَقَ) غالِبًـا مـا تُطلَـقُ على المُخـالِفِين في الأُصــولِ والمُسَــلَّماتِ والعَقِيــدةِ والثَّوابِتِ، و(المَــذهَبَ) غالِبًــا مــا يُطلَــقُ على الاختِلافِ في الاجتِهادِيَّاتِ الـتي لَيسَـتْ مَذمومـةً، فلـذلك تُسَـمَّى اِجتِهاداتُ العُلَماءِ في الفِقهِ (مَـذاهِبَ)، ومـع ذلـك فقـدِ اِصطَلَحَ المُتَأَخِّرون على تَسمِيَةِ البِدَعِ الناشِـئةِ والأفكـارِ الحَدِيثةِ التي تُخالِفُ الإسـلامِ، اِصـطَلَحوا على تَسـمِيَتِها (مَذاهِبَ مُعاصِرةً)، وهذا فيـه تَجَـوُّزٌ، لَكِنْ لا مُشَـاحَّةَ فِي الاصْطِلَاحِ، لَكِنْ لا يَقصِدُون بها المَذاهِبَ الاجتِهادِيَّةَ، بَـلْ يَقصِـدُون بهـا المَـذاهِبَ الـتي اِنحَـرَفَتْ عنِ الحَـقِّ في الأفكارِ والمَناهِجِ. انتهى باختصار. وقالَ الشـيخُ إحسـان إلهي ظهـير (الأمينُ العـامُّ لجمعيـة أهـل الحـديث في باكستان) في (التَّصَوُّفُ، المَنْشَأُ وَالمَصَـادِرُ): إنَّ أفضَـلَ طريقٍ لِلحُكْمِ على طائفةٍ مُعَيَّنةٍ وفِئةٍ خاصَّـةٍ مِنَ النـاسِ هو الحُكْمُ المَبنِيُّ على آرائها وأفكارها التي نَقَلوها في كُتُبِهم المُعتَمَدةِ والرسـائلِ المَوثـوقِ بهـا لـديهم، بِـذِكْرِ النُّصـوصِ والعِبـاراتِ الـتي يُبنَى عليهـا الحُكْمُ ويُؤَسَّـسُ عليهـا الـرَّأيُ، ولَا يُعتَمَـدُ على أقـوالِ الآخَـرِين وَنُقُـولِ النَّاقِلِين [المُخـالِفِين لهم]، اللَّهُمَّ إلَّا لِلاستِشــهادِ على صِحَّةِ اِستِنباطِ الحُكْمِ واستِنتاجِ النَّتِيجةِ؛ وهذه الطريقـة، ولو أنَّها طريقةٌ وَعِرةٌ شائكةٌ صَعبةٌ مُستَصعَبةٌ، وَقَلَّ مَن يَختارُهــا ويَسْــلُكُها، ولكنهــا هي الطريقــةُ الصــحيحةُ المُستَقِيمةُ التي يَقتَضِـيها العَـدلُ والإنصـافُ [قـالَ اِبْنُ الْقَيِّمِ في (مفتاح دارِ السعادة): وكُلُّ أهلِ نِحلةٍ ومَقالـةٍ يَكْسُونَ نِحلَتَهم ومَقالَتَهم أحسَنَ مَـا يَقـدِرُونَ عَلَيْـهِ مِنَ الألفاظِ، وَ[يَكْسُونَ] مَقالةَ مُخـالِفِيهم أقبَحَ مَـا يَقـدِرُونَ عَلَيْهِ مِنَ الألفاظِ، وَمَن رَزَقَه اللهُ بَصِيرَةً فَهُوَ يَكْشِفُ بِهِ حَقِيقَةَ مَا تَحْتَ تِلْكَ الألفاظِ مِنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَلَا تَغْتَرَّ بِاللَّفْظِ، فَإِذا أرَدتَ الاطِّلَاعَ على كُنْهِ الْمَعْنَى هَلْ هُوَ حَقٌّ

أَوْ بَاطِـلٌ، فَجَـرِّدْه مِن لِبَـاسِ الْعِبـارَةِ، وجَـرِّدْ قَلْبَـك عَنِ النَّفْـرَةِ والمَيْــلِ، ثمَّ اِعْــطِ النَّظَــرَ حَقَّه نَــاظِرا بِعَينِ الإنصـافِ، وَلَا تَكُنْ مِمَّن يَنظُـرُ فِي مَقَالَـةِ أصحابِه وَمَن يُحْسِنُ ظَنَّهُ [بِهِ] نَظَرًا تَامًّا بِكُلِ قَلبِه ثمَّ يَنظرُ فِي مَقَالَةِ خُصومِه وَمِمَّنْ يُسِيءُ ظَنَّهُ بِهِ كَنَظَرِ الشَّـزْرِ والمُلاحَظـةِ، فالنَّاظِرُ بِعَينِ الْعَدَاوَةِ يَرَى المَحاسِنَ مَسـاوِئَ، والنـاظِرُ بِعَينِ الْمَحَبَّةِ عَكْسُه، وَمَا سَـلِمَ مِن هَـذَا إلَّا مَن أرادَ اللـهُ كَرامَتَه وارتَضاه لِقَبُول الْحَقِّ، وَقَـدْ قِيـلَ {وَعَيْنُ الرِّضَـا عَنْ كُـلِّ عَيْبٍ كَلِيلَــةٌ *** كَمَـا أَنَّ عَيْنَ السُّــخْطِ تُبْــدِي الْمَسَاوِيَا}، وَقَالَ آخَرُ {نَظَروا بِعَيْنِ عَـداوةٍ لَـوْ أَنَّهـا *** عَينُ الرِّضَا لَاسْتَحْسَنوا ما اسْتَقْبَحوا}، فَإِذا كَانَ هَذَا فِي نَظَـــرِ الْعَينِ الَّذِي يُـــدْرِكُ المَحسوســـاتِ وَلَا يتَمَكَّن مِنَ المُكـابَرةِ فِيهَـا، فَمَـا الظَّنُّ بِنَظَــرِ الْقَلبِ الَّذِي يُــدْرِكُ الْمَعَـانِيَ الَّتِي هِيَ عُرْضـةُ المُكـابَرةِ!، واللـهُ المُسـتَعانُ على مَعرِفةِ الحَقِّ وقَبُولِه ورَدِّ الباطِلِ وعَدَمِ الاغتِرارِ به. انتهى باختصـــار. وقـــالَ اِبْنُ الْقَيِّمِ أيضًـــا في (إعلام الموقعين): وَكَمْ مِنْ بَاطِلٍ يُخْرِجُهُ الرَّجُلُ بِحُسْـنِ لَفْظِـهِ وَتَنْمِيقِهِ وَإِبْرَازِهِ فِي صُورَةِ حَـقٍّ؟، وَكَمْ مِنْ حَـقٍّ يُخْرِجُـهُ بِتَهْجِينِهِ وَسُوءِ تَعْبِيرِهِ فِي صُورَةِ بَاطِـلٍ؟، وَمَنْ لَـهُ أَدْنَى فِطْنَةٍ وَخِبْرَةٍ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ ذَلِـكَ، بَـلْ هَـذَا أَغْلَبُ أَحْـوَالِ النَّاسِ... ثم قالَ -أيِ اِبْنُ الْقَيِّمِ-: بَلْ مَنْ تَأَمَّلَ الْمَقَالَاتِ الْبَاطِلَةَ وَالْبِدَعَ كُلَّهَـا، وَجَـدَهَا قَـدْ أَخْرَجَهَـا أَصْـحَابُهَا فِي قَوَالِبَ مُسْتَحْسَـنَةٍ وَكَسَـوْهَا أَلْفَاظًـا يَقْبَلُهـا بِهَـا مَنْ لَمْ يَعْـرِفْ حَقِيقَتَهَـا... ثم قـالَ -أيِ اِبْنُ الْقَيِّمِ-: وَلَقَـدْ رَأَى بَعْضُ الْمُلُوكِ كَأَنَّ أَسْنَانَهُ قَدْ سَـقَطَتْ، فَعَبَّرَهَـا لَـهُ مُعَبِّرٌ بِمَوْتِ أَهْلِهِ وَأَقَارِبِـهِ، فَأَقْصَـاهُ وَطَـرَدَهُ، وَاسْـتَدْعَى آخَـرَ فَقَالَ لَهُ {لَا عَلَيْكَ، تَكُونُ أَطْوَلَ أَهْلِـكَ عُمْـرًا}، فَأَعْطَـاهُ وَأَكْرَمَـهُ وَقَرَّبَـهُ، فَاسْـتَوْفَى [أَيِ المُعَبِّرُ الآخَـرُ] الْمَعْنَى وَغَيَّرَ لَـهُ الْعِبَــارَةَ، وَأَخْـرَجَ الْمَعْنَى فِي قَــالِبٍ حَسَــنٍ. انتهى]. انتهى. وقـــالَتْ هَيئَةُ التَّحرِيـــرِ بمركـــز ســـلف

للبحوث والدراسات (الذي يشرف عليه الشيخ محمد بن إبراهيم السعيدي "رئيس قسم الدراسات الإسلامية بكلية المعلمين بمكة") في مقالةٍ لها بعنوانِ (عَرْضٌ وتَحلِيلٌ لِكِتابِ "السُّعودِيَّةُ والحَربُ على داعش") على هذا الرابط: والخُلاصةُ التي يجبُ أنْ نُراعِيَها في نَقْدِ الأشخاصِ والاتِّجاهات والطَّوائفِ، [هي] الانطِلاقُ في نَقْدِها مِن مَقولاتِها، وفَرْزُ ذلك مِنَ المُمارَساتِ البَشَرِيَّةِ التي هي عُرْضةٌ لِلخَطَأِ والزَّلَلِ والتَّقصِيرِ، فالأصلُ أنْ لا تُحاسَبَ الاتِّجاهاتُ والمذاهبُ بِمُجَرَّدِ مُمارَساتِ أصحابِها، بَلِ الأصلُ مُحاسَبةُ الاتِّجاهاتِ مِمَّا تَتَبَنَّاه مِن رُؤًى وأفكارٍ وتَصَوُّراتٍ، وَلْتَكُنِ المُمارَساتُ البَشَرِيَّةُ قَرِينةً أو أمَارةً تَحمِلُ الباحِثَ على التفتيشِ عن مُوجِبِ تلك التَّصَرُّفاتِ، فقد تكونُ تلك المُمارَساتُ ناشِئةً حَقًّا عن مَقولاتٍ مُقَرَّرةٍ في المَذهَبِ، وقد لا تكونُ، فَيَكونُ الحُكْمُ تابِعًا لِلمَقولاتِ لا مُجَرَّدِ المُمارَساتِ والتَّصَرُّفاتِ [قالَ الشيخُ أبو سلمان الصومالي في (الإعانة لطالب الإفادة): ولا رَيبَ أنَّ الطائفةَ تُنسَبُ إلى أقوالِ رِجالِها وعُلَمائها. انتهى]. انتهى باختصار. وقالَ الشيخُ أبو الحسن علي الرملي (المشرف على مَعهَدِ الدِّينِ القَيِّم للدروس العلمية والفتاوى الشرعية والتعليم عن بُعْدٍ على منهج أهلِ الحديث) في (التعليق على الأجوبة المفيدة): إنَّ طَرِيقَ الحَقِّ واحِدٌ، والجَماعةُ الناجِيَةُ عند اللهِ سُبحانَه وتَعالَى والطائفةُ المَنصورةُ هي واحِدةٌ، كَما قالَ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ {لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الحَقِّ} واحِدةٌ؛ هذا أمرٌ ظاهِرٌ لا خَفاءَ فيه، فَمَن أَخَذَ بِأُصولِ هذه الفِرقةِ، هذه الطائفةِ، فهو مِن أهلِها، ومَن خالفَ أصلًا واحِدًا مِن هذه الأُصولِ فهو مُبتَدِعٌ ضالٌّ مُخالِفٌ لِهذه الطائفةِ ومُفَرِّقٌ لِجَماعةِ المُسلِمِين، لِأنَّ اللهَ سُبحانَه وتَعالَى أمَرَنا أنْ نَجتَمِعَ على هذا الطَّرِيقِ، لم يَأمُرْنا أنْ نَجتَمِعَ فَقَطْ، لاحِظِ الفَرْقَ بين

فَهْمِ كَثِيرٍ مِن عامَّةِ الناسِ وبين ما أرادَه اللهُ سُبحانَه وتَعالَى مِنَ الاجتِماعِ، أرادَ اللهُ مِنَّا أنْ نَجتَمِعَ لَكِنْ على الحَقِّ ليس أيَّ اِجتِماعٍ، قالَ {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا}، وَلَا تَفَرَّقُوا عن ماذا؟، عن حَبْلِ اللَّهِ، تَمَسَّكوا بِحَبْلِ اللَّهِ الذي هو كِتابُه وسُنَّةُ نَبِيِّه صلى الله عليه وسلم، شَرِيعَتُه التي كانَ عليها السَّلَفُ الصالِحُ رَضِيَ اللهُ عنهم، تَمَسَّكوا بها وَلَا تَتَفَرَّقُوا عنها، اِجتَمِعوا عليها، هذا هو الاجتِماعُ المَطلوبُ، أمَّا الاجتِماعُ على الحَقِّ والباطِلِ [مَعًا]، لا، هذا اِجتِماعٌ مَرفوضٌ، وعندما جاءَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم إلى قُرَيشٍ كانوا مُجتَمِعِين على الحَقِّ، فَفَرَّقَهم، فَرَّقَ بين الحَقِّ والباطِلِ، عُمَرُ سُمِّيَ (الفاروقَ) لِأنَّه فَرَّقَ بين الحَقِّ والباطِلِ، فَالتَّفرِيقُ بين الحَقِّ والباطِلِ مَطلُوبٌ وواجِبٌ شَرعِيٌّ، القرآن سُمِّيَ (فُرقانا) لِأَنَّه فَرَّقَ بين الحَقِّ والباطِلِ، التَّفرِيقُ بين الحَقِّ والباطِلِ مَطلُوبٌ، والتَّميِيزُ بين الحَقِّ والباطِلِ وأهلِ الحَقِّ و[أهلِ] الباطِلِ مَطلُوبٌ وواجِبٌ شَرعِيٌّ لِيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ وَيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ، بِخِلافِ طَريقةِ المُمَيِّعةِ مِمَّن يُحاوِلون جَمْعَ الناسِ سَوَاءٌ كانَ على الطَّرِيقِ المُستَقِيمِ أو على طُرُقِ الضَّلالِ، نُعوذُ بِاللهِ؛ إذَنِ الواجِبُ أنْ يَكونَ الشَّخصُ على مَنهَجِ السَّلَفِ الصالِحِ رَضِيَ اللهُ عنهم وأنْ يَكونَ مع هذه الطائفةِ المَنصورةِ والفِرقةِ الناجِيَةِ على أُصُولهم وعلى طَرِيقِهم، فَمَن خالَفَهم في أصلٍ واحِدٍ فليس هو منهم؛ وأَيُّ جَماعةٍ تَجتَمِعُ على أصلٍ مُخالِفٍ لأُصولِ أهلِ السُّنَّةِ والجَماعةِ فهي فِرقةٌ مِنَ الفِرَقِ الضالَّةِ، لا يَجوزُ لِلمُسلِمِ أنْ يَنتَمِيَ إليها، ومَنِ اِنتَمَى إليها فهو مِن أهلِها ويَأْخُذُ حُكْمَها، إنْ كانَ هذا الأصلُ كُفرِيًّا يَكفُرُ، وإنْ كانَ الأصلُ بِدعِيًّا يُبَدَّعُ ويَكونُ مُبتَدِعًا؛ هَكَذَا الحُكْمُ على الجَماعاتِ وعلى الأفرادِ، نَنظُرُ إلى أُصولِهم، فإنْ وافَقَتْ أُصولَ أهلِ السُّنَّةِ والجَماعةِ كانوا مِن أهلِها،

وإنْ خالَفَتْ أُصولَ أهلِ السُّنَّةِ والجَماعـةِ لم يكونـوا مِن أهلِها حتى ولو في أصـلٍ واحِـدٍ، القَضِـيَّةُ لَيسَـتْ قَضِـيَّةَ عَدَدٍ (واحِدٍ أو اِثنَيْنِ أو ثَلاثـةٍ أو أربَعـةٍ) كَمـا يَقـولُ بَعضُ رُؤوسِ الفِـرَقِ المُعاصِـرِين {لا يَخـرُجُ الشَّـخصُ مِنَ السَّلَفِيَّةِ حتى يُخالِفَ أصلَين ثَلاثةً أربَعةً} مـا أَدْرِي (إلى أيْنَ يَنتَهِي العَدَدُ معهم!) [قالَ الشـيخُ عبدُاللـه الخليفي في (تَقوِيمُ المُعاصِرِين): وبَعضُهم يُرَدِّدُ {إنَّ مَنْهَجَ أهـلِ السُّـنَّةِ [هـو] أنَّ الرَّجُـلَ لا يَسـقُطُ بِبِدعـةٍ أو بِـدعَتَين}، وهذا مع بُطلانِه مَفهُومُـه (أنَّ الرَّجُـلَ يَسـقُطُ بِـأكثَرَ مِن ذلك)، مـا بـالُكم لا تُسـقِطون مَن حَـرَّفَ عامَّةَ الصِّـفاتِ وقـالَ بِالإرجـاءِ والجَـبرِ وبِقَـولِ قَومِـه الجَهمِيَّةِ في النُّبُـوَّاتِ، وكـانَ قُبورِيًّا أو خُرافِيًّا؛ وبَعضُـهم يَقـولُ {قاعِدةُ (مَن لم يُبَدِّعِ المُبتَدِعَ فَهـو مُبتَـدِعٌ) إنَّمـا تَنطَبِـقُ على مَن كـانَ دَيدَنُـه البِـدَعَ}، فَيَـا لَيْتَ شِـعْرِي مَن إذا جُمِعَتْ أخطاؤه العَقَدِيَّةُ في كِتابٍ واحِدٍ قارَبَتِ المِائَةِ ألَا يَكونُ دَيْدَنُه البِدعـةَ؟!، فَمَن عَطَّلَ عامَّةَ الصِّـفاتِ وقـالَ بِالتَّبَرُّكِ والتَّوَسُّلِ وشَدِّ الرِّحالِ [أيْ إلَى القُبورِ] وعَقائـدِ الأشاعِرةِ ألَا يُقالُ {دَيْدَنُه البِدَعُ}، هذا مع العِلْمِ أنَّ هـذا الشَّـرطَ حـادِثٌ؛ وبَعضُـهم يَقـولُ {هـؤلاء لم يَـدْعوا إلى بِـدَعِهم} وَيَـا لَيْتَ شِـعْرِي هَـلْ يَحصُـرُ أهـلَ البِـدَعِ في الدُّعاةِ فَقَطْ إلَّا جاهِلٌ؟، وأيُّ دَعوةٍ أبلَغُ مِن إيجابِ البِدَعِ (كَما قالَ النَّوَوِيُّ في مُقَدِّمـةِ "المَجمُـوعُ" أنَّ مِنَ البِـدَعِ الواجِبـةِ تَعَلَّمَ "عِلْمِ الكَلامِ")، وأيُّ دَعـوةٍ أبلَـغُ مِنَ الاحتِجاجِ لِلْمَولِدِ النَّبَوِيِّ [أيْ لِلاحتِفالِ بِه] مـع الاعتِـرافِ أنَّه لم يَسبِقْه إلى ذلك أحَـدٌ (كَمـا فَعَـلَ اِبنُ حَجَـرٍ)، وأيُّ دَعوةٍ أبلَغُ مِن كِتابِ (دَفْعُ شُـبَهِ التَّشـبِيهِ بِـأكُفِّ التَّنزِيـهِ) لِابْنِ الْجَوْزِيِّ الذي نَصَرَ فيـه مَـذاهِبَ المُعَطِّلـةِ بابًـا بابًـا وشَنَّعَ على المُخالِفِين تَشنِيعًا عَظِيمًـا؛ و[قَـدْ] قـالَ أَبُـو مُحَمَّدِ بْنُ أَبِي زَيْدٍ الْقَيْرَوَانِيُّ في كِتـابِ (الجـامِعُ) {ومِن قَولِ أهلِ السُّنَّةِ (إنَّه لا يُعذَرُ مَن أدَّاه اِجتِهادُه إلى بِدعةٍ،

لِأنَّ الخَوارِجَ اِجتَهَدوا في التَّأوِيـلِ فَلَمْ يُعـذَروا)}، وهـذا قِيَاسٌ صَحِيحٌ. انتهى باختصار. وقالَ الشَّيخُ يـزن الغـانم في هذا الرابط: يَجِبُ أنْ نُفَـرِّقَ بَيْنَ مَن وَقَـعَ في بِدعـةٍ أو أَخْطَأَ مِن عُلَماءِ السَّلَفِ -أهلِ السُّنَّةِ والجَماعةِ- الذِين يَنطَلِقون في اِسـتِدلالِهم مِنَ الحَـدِيثِ والأثَـرِ، وبَيْنَ مَن وَقَعَ في بِدعةٍ مِن أهلِ الأهواءِ والبِـدَعِ الـذِين يَنطَلِقـون مِن أُصـولٍ وقَواعِـدَ مُبتَدَعـةٍ، أو مَنْهَجٍ غَـيرِ مَنْهَجِ أهـلِ السُّنَّةِ والجَماعةِ. انتهى].. ثم قالَ -أيِ الشيخُ الرملي-: إنْ كـانَ أصـلُهم هـذا دَلَّتْ أدِلَّةُ الشَّـرعِ على أنَّه كُفْـرٌ فَتَكفُرُ الجَماعةُ ويُحكَمُ عليها بِأنَّها جَماعةٌ كافِرةٌ؛ أمَّا إذا كانَ هذا الأصلُ بِدعةً فَيُحكَمُ على الجَماعة بِأنَّها مُبتَدِعـةٌ ومَنِ اِنتَمَى إليهم فإنَّه مُبتَـدِعٌ. انتهى باختصـار. وقـالَ الشيخُ الألبانِيُّ في (حَجَّةُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسـلم): يَجِبُ أن يُعلَمَ أنَّ أصغَرَ بِدعةٍ يَأتِي الرَّجُلُ بهـا في الـدِّينِ هي مُحَرَّمةٌ، فليس في البِدَعِ -كما يَتَوَّهَمُ البعضُ- ما هو في رُتبةِ المَكروه فَقَطْ، كيف ورسـول اللـه صـلى اللـه عليه وسلم يقـول {كُـلُّ بِدْعَـةٍ ضَـلَالَةٌ، وَكُـلُّ ضَـلَالَةٍ فِي النَّارِ} أيْ صاحِبِها [قالَ الشيخُ عبدُالرحمن بن حسن بن محمد بن عبـدالوهاب في (فتح المجيـد): وضابِطُها [أي ضابِطُ الكَبِيرةِ] ما قالَه المُحَقِّقون مِنَ العلماءِ {كُلُّ ذَنْبٍ خَتَمَـهُ اللَّهُ بِنَـارٍ أَوْ لَعْنَـةٍ أَوْ غَضَـبٍ أَوْ عَـذَابٍ}، زادَ شـيخُ الإسلامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَـه اللـهُ {أَوْ نَفْيِ الإِيمَـانِ}، قُلتُ [والكَلامُ ما زالَ لِصاحِبِ (فتح المجيـد)]، ومَن بَـرِئَ منـه رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وسـلم أو قـالَ [فيـه] {لَيْسَ مِنَّا مَنْ فَعَلَ كَذَا وَكَذَا}. انتهى. وقـالَ الشـيخُ محمـد بنُ إبــراهيم بن عبــداللطيف آل الشــيخ (رئيس القضــاة ومفـتى الـديار السـعودية ت1389هــ): الكَبِيرةُ هي مـا تُوعِّدَ عليه بغَضَبٍ أو لَعْنَةٍ أو رُتِّبَ عليه عِقابٌ في الـدُّنيا أو عَذابٌ في الآخِـرةِ وهـو دُونَ الشِّـركِ والكُفـرِ. انتهى من (فتاوى ورسائل الشـيخ محمـد بن إبـراهيم)]، وقـد

حَقَّقَ هذا أتَمَّ تحقيـقٍ الإمـامُ الشَّـاطِبِيُّ رَحِمَـه اللـهُ في كِتابِه العَظِيمِ (الاعتصام). انتهى باختصار. وقـالَ مركـزُ الفتـوى بموقـع إسـلام ويب التـابع لإدارة الـدعوة والإرشاد الديني بـوزارة الأوقـاف والشـؤون الإسـلامية بدولـة قطـر في هـذا الرابط: فالشِّـركُ هـو أقبَحُ ذَنبٍ عُصِـيَ اللـهُ تَعـالَى بـه، ويَلِيـه في القُبحِ البِدعـةُ، ثم الكَبيرةُ، ثم تَأتِي بَعْدَ ذلك الصغيرةُ... ثم قالَ -أيْ مركـزُ الفتـوى-: جِنْسُ البِـدَعِ أخطَـرُ مِن جِنْسِ المَعاصِـي، ولا يَعنِي ذلك أنَّ كُلَّ بِدعةٍ أكبَرُ مِن كُلِّ كبيرةٍ. انتهى. وقالَ الشيخُ سالم الطويل في مقالة له بعنوان (البِدعـةُ أشَـدُّ وأغلَظُ مِنَ الكَبائرِ) على موقعـه في هـذا الرابط: البِـدَعُ وإنْ كانَتْ أشَدَّ وأغلَظَ مِنَ الكبائرِ، لَكِنْ لَيسَتْ بِالضَّرورةِ أنْ تَكونَ كُلُّ بِدعةٍ أشَدَّ وأغلَظَ مِن كُلِّ كَبِـيرةٍ... ثم قـالَ -أيِ الشـيخُ الطويـل-: وسُـئِلَ الشـيخُ زيـدُ بنُ هـادي المـدخلي حَفِظَـه اللـهُ {هَـلْ يَصِـحُّ أنْ يُقـالَ (إنَّ بَعضَ الكَبائرِ أشَدُّ إثمًا مِن بَعضِ البِدَعِ)؟}، فأجابَ وَفَّقَـه اللـهُ تَعالَى {نَعَمْ، فَقَتْلُ النَّفسِ المُؤمِنةِ أشَدُّ إثمًـا مِنَ الـذِّكرِ الجَمـاعِيِّ المُبتَـدَعِ}. انتهى باختصـار. وقـالَ مَوقِـعُ (الإسلامُ سؤالٌ وجَوابٌ) الذي يُشْرِفُ عليه الشيخُ محمـد صالح المنجد في هذا الرابط: البدع كلها ضلال وصاحبها متوعـد بالنـار... ثم قـالَ -أيْ مَوقِـعُ (الإسـلامُ سـؤالٌ وجَوابٌ)-: ولا يَشُكُّ مَن له عِلمٌ بِالشَّريعةِ وأحوالِ الفِرَقِ أنَّ بِدعةَ الرَّفْضِ المَحضِ أو التَّجَهُّمِ المَحضِ أو نَحوِ ذلك، هي شَرٌّ مِن جَرائمِ أصحابِ الذُّنوبِ كشُرْبِ الخَمْـرِ ونَحـوِ ذلـك؛ كَمـا لا يَشُـكُّ مَن لـه عَقـلٌ ودِينٌ أنَّ كَبـائرَ الإثمِ كـالزِّنَى والسَّـرِقةِ ونحـوِ ذلـك شَـرٌّ مِن كَثِـيرٍ مِن بِـدَعِ الأعمـالِ كالاحتِفـالِ بِالمَوْلِـدِ أو الـذِّكرِ الجَمـاعِيِّ ونَحـوِ ذلك. انتهى.

(4)وَرَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْـرَةَ أَنَّ رَسُـولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَى الْمَقْبُرَةَ، فَقَالَ {السَّـلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُـونَ، وَدِدْتُ أَنَّا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا}، قَـالُوا {أَوَ لَسْـنَا إِخْوَانَـكَ يَـا رَسُولَ اللَّهِ؟}، قَـالَ {أَنْتُمْ أَصْـحَابِي، وَإِخْوَانُنَـا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْـدُ}، فَقَـالُوا {كَيْـفَ تَعْـرِفُ مَنْ لَمْ يَـأْتِ بَعْـدُ مِنْ أُمَّتِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟}، فَقَالَ {أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلًا لَهُ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ بَيْنَ ظَهْـرَيْ خَيْـلٍ دُهْمٍ بُهْمٍ [أَيْ لَـهُ خَيْـلٌ في جِبَاهِها وقَوَائمِهـا بَيَـاضٌ، فِي وَسَـطِ خَيْـلٍ سُـودٍ سَـوَادًا كامِلًا لا بَيَاضَ في لَوْنِها]، أَلَا يَعْرِفُ خَيْلَهُ؟}، قَالُوا {بَلَى يَا رَسُـولَ اللَّهِ}، قَـالَ {فَـإِنَّهُمْ يَـأْتُونَ غُـرًّا مُحَجَّلِينَ مِنَ الْوُضُوءِ، وَأَنَـا فَـرَطُهُمْ [أَيْ أَتَقَـدَّمُهُمْ] عَلَى الْحَـوْضِ، أَلَا لَيُذَادَنَّ [أَيْ لَيُطْرَدَنَّ] رِجَالٌ عَنْ حَوْضِي كَمَا يُـذَادُ الْبَعِـيرُ الضَّالُّ، أُنَادِيهِمْ (أَلَا هَلُمَّ)، فَيُقَالُ (إِنَّهُمْ قَدْ بَدَّلُوا بَعْدَكَ)، فَـأَقُولُ (سُـحْقًا سُـحْقًا)}. انتهى. وَرَوَى الْبُخَـارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ قَـالَ {بَيْنَـا أَنَـا قَـائِمٌ إِذَا زُمْـرَةٌ [أَيْ جَمَاعَـةٌ] حَتَّى إِذَا عَـرَفْتُهُمْ خَـرَجَ رَجُـلٌ مِنْ بَيْنِي وَبَيْنِهِمْ فَقَـالَ (هَلُمَّ)، فَقُلْتُ (أَيْنَ)، قَالَ (إِلَى النَّارِ وَاللَّهِ)، قُلْتُ (وَمَا شَأْنُهُمْ)، قَالَ (إِنَّهُمُ اِرْتَدُّوا بَعْدَكَ عَلَى أَدْبَارِهِمُ الْقَهْقَـرَى)، ثُمَّ إِذَا زُمْـرَةٌ حَتَّى إِذَا عَـرَفْتُهُمْ خَـرَجَ رَجُـلٌ مِنْ بَيْنِي وَبَيْنِهِمْ فَقَـالَ (هَلُمَّ)، قُلْتُ (أَيْنَ)، قَـالَ (إِلَى النَّارِ وَاللَّهِ)، قُلْتُ (مَـا شَـأْنُهُمْ)، قَـالَ (إِنَّهُمُ اِرْتَـدُّوا بَعْـدَكَ عَلَى أَدْبَـارِهِمُ الْقَهْقَرَى)، فَلَا أُرَاهُ يَخْلُصُ مِنْهُمْ إِلَّا مِثْـلُ هَمَـلِ النَّعَمِ}. انتهى. وقَـالَ أبـو العبـاس القُرْطُـبي (ت656هـ) في (الْمُفْهِمُ لِمَـا أَشْـكَلَ مِنْ تَلْخِيصِ كِتَـابِ مُسْـلِمٍ): قَوْلِـهِ {كَمَا يُذَادُ الْبَعِيرُ الضَّالُّ}، وَجْهُ التَّشْبِيهِ أَنَّ أَصْحَابَ الإِبِلِ إِذَا وَرَدُوا الْمِيَـاهَ بِـإِبِلِهِمُ ازْدَحَمَتِ الإِبِـلُ عِنْـدَ الْـوُرُودِ، فَيَكُونُ فِيهَـا الضَّـالُّ وَالْغَـرِيبُ، وَكُـلُّ وَاحِـدٍ مِنْ أَصْـحَابِ الإِبِلِ يَدْفَعُهُ عَنْ إِبِلِهِ حَتَّى تَشْـرَبَ إِبِلُـهُ، فَيَكْثُـرُ ضَـارِبُوهُ

وَدَافِعُوهُ، حَتَّى لَقَدْ صَارَ هَذَا مَثَلًا شَائِعًا، قَالَ الْحَجَّاجُ لِأَهْلِ الْعِرَاقِ {وَلَأَضْرِبَنَّكُمْ ضَرْبَ غَرَائِبِ الإِبِلِ}. انتهى باختصار. وقَالَ ابْنُ حَجَرٍ فِي (فَتْحُ الباري): قَالَ النَّوَوِيُّ [في (شرح صحيح مسلم)] {قِيلَ (الْمُنَافِقُونَ وَالْمُرْتَدُّونَ، يَجُوزُ أَنْ يُحْشَرُوا بِالْغُرَّةِ وَالتَّحْجِيلِ لِكَوْنِهِمْ مِنْ جُمْلَةِ الأُمَّةِ [أَيْ أُمَّةِ الإجَابَةِ]، فَيُنَادِيهِمْ [أَيِ النبيُّ صلى الله عليه وسلم] مِنْ أَجْلِ السِّيمَا الَّتِي عَلَيْهِمْ، فَيُقَالُ "إِنَّهُمْ بَدَّلُوا بَعْدَكَ")}. انتهى باختصار. وقالَ ابنُ المُلَقِّن (ت804هـ) في (التوضيح لشرح الجامع الصحيح): الْغُرَّةُ بَيَاضٌ فِي جَبْهَةِ الْفَرَسِ، وَالتَّحْجِيلُ بَيَاضٌ فِي يَدَيْهَا وَرِجْلَيْهَا، فَسُمِّيَ النُّورُ الَّذِي يَكُونُ فِي مَوَاضِعَ الْوُضُوءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غَرًّا وَتَحْجِيلًا، تَشْبِيهًا بِذَلِكَ. انتهى. وقالَ الشَّاطِبِيُّ في (الاعتصام): وَالأَظْهَرُ أَنَّهُمْ [أَيِ الْمَطْرُودِينَ عَنِ الْحَوْضِ] مِنَ الدَّاخِلِينَ فِي غِمَارِ هَذِهِ الأُمَّةِ [أَيْ أُمَّةِ الإجَابَةِ]... ثم قالَ -أَيِ الشَّاطِبِيُّ-: قَوْلِهِ {قَدْ بَدَّلُوا بَعْدَكَ} أَقْرَبُ مَا يُحْمَلُ عَلَيْهِ تَبْدِيلُ السُّنَّةِ، وَهُوَ وَاقِعٌ عَلَى أَهْلِ الْبِدَعِ. انتهى باختصار. وقالَ بدرُ الدين العيني (ت855هـ) في (عمدة القاري شرح صحيح البخاري): قَالَ أَبُو عُمَرَ [في (الاستذكار)] {كُلُّ مَنْ أَحْدَثَ فِي الدِّينِ فَهُوَ مِنَ الْمَطْرُودِينَ عَنِ الْحَوْضِ، كَالْخَوَارِجِ وَالرَّوَافِضِ وَسَائِرِ أَصْحَابِ الأَهْوَاءِ، وَكَذَلِكَ الظَّلَمَةُ الْمُسْرِفُونَ فِي الْجَوْرِ وَطَمْسِ الْحَقِّ وَالْمُعْلِنُونَ بِالْكَبَائِرِ}... ثم قالَ -أَيِ العيني-: قَوْلُهُ {بَيْنَا أَنَا قَائِمٌ} الْمُرَادُ هُوَ قِيَامُهُ عَلَى الْحَوْضِ... ثم قالَ -أَيِ العيني-: قَوْلُهُ {فَلَا أُرَاهُ} أَيْ فَلَا أَظُنُّ أَمْرَهُمْ أَنَّهُ يَخْلُصُ مِنْهُمْ إِلَّا مِثْلُ هَمَلِ النَّعَمِ، وَهُوَ مَا يُتْرَكُ مُهْمَلًا لَا يُتَعَهَّدُ وَلَا يُرْعَى حَتَّى يَضِيعَ وَيَهْلَكَ، أَيْ لَا يَخْلُصُ مِنْهُمْ مِنَ النَّارِ إِلَّا قَلِيلٌ. انتهى باختصار. وقالَتْ حنان بنت علي اليماني في (إعلام الأنام بشرح كتاب فضل الإسلام، بتقريظ الشيخ صالح الفوزان): قالَ [أَيِ النبيُّ صلى

الله عليه وسلم] {فَلَا أُرَاهُ يَخْلُصُ مِنْهُمْ إِلَّا مِثْلُ هَمَلِ النَّعَمِ}، والمَعْنَى، فلا أظُنُّ أنْ يَرِدَ على الحَوضِ إلَّا مِثْلُ هَمَلِ النَّعَمِ، يَعْنِي أنَّهم عَدَدٌ قليلٌ، لأنَّ الإبِلَ المُهمَلةَ بالنِّسبةِ إلى الْمَرْعِيَّةِ قَلِيلةٌ جِدًّا. انتهى باختصار. وقَالَ النَّوَوِيُّ في (شرح صحيح مسلم): قِيلَ، هَؤُلَاءِ [أَيِ الْمَطْرُودون عَنِ الْحَوْضِ] صِنْفَانِ؛ أَحَدُهُمَا عُصَاةٌ مُرْتَدُّونَ عَنِ الاسْتِقَامَةِ لَا عَنِ الإِسْلَامِ (وَهَؤُلَاءِ مُبَدِّلُونَ لِلأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ بِالسَّيِّئَةِ)؛ وَالثَّانِي مُرْتَدُّونَ إِلَى الْكُفْرِ حَقِيقَةً نَاكِصُونَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ؛ وَاسْمُ التَّبْدِيلِ يَشْمَلُ الصِّنْفَيْنِ. انتهى. وقالَ الشيخُ ابنُ جبرين (عضو الإفتاء بالرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء) في (شرح العقيدة الطَّحَاوِيَّةِ): ولا شَكَّ أنَّ الذِين يَرِدُون عليه هُمْ أَهْلُ السُّنَّةِ والجماعةِ، أَهْلُ الاتِّباعِ لا أَهْلُ الابْتِداعِ، ولِأجْلِ ذلك يُرَدُّ المُبتَدِعةُ والمُرتَدُّون، الذِين أحدَثوا. انتهى باختصار. وقالَ الشيخُ ربيع المدخلي (رئيسُ قسمِ السُّنَّةِ بالدراسات العليا في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة) في مقالة بعنوان (وُجوب الاتِّباعِ والتَّحذِير مِن مظاهرِ الشِّركِ والابتِداعِ) على موقعه في هذا الرابط: إنَّ الفِرَقَ الضَّالَّةَ التي أَخْبَرَ عنها رسولُ اللهِ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ، وأنَّها كُلَّها في النَّارِ إلَّا ما كان عليه رسولُ اللهِ وأصْحابُه، هذه الفِرَقُ بَدَأَتْ مِن آواخرِ عَصْرِ الصَّحابةِ، ثم اِنْتَشَرَتْ وتَفَشَّتْ في المُجتَمَعاتِ الإسلامِيَّةِ، حتَّى صارَ أكثَرُ المسلِمين لا يَخرُجون عن هذه الفِرَقِ، وقَلَّ مَن هو على ما كان عليه رَسولُ اللهِ وأصحابُه وَهُمُ الطَّائفةُ النَّاجِيَةُ والمنصورةُ. انتهى. وقالَ الشيخُ إيهاب شاهين (عضو مجلس شورى الدعوة السلفية) في مقالة له بعنوان (شَعرةٌ بَيْضَاءُ في جَسَدِ ثَوْرٍ أَسْوَدَ) على هذا الرابط: عند التَّأَمُّلِ في الواقِعِ مِن حَوْلِنا، يَرَى الناظِرُ أنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ، مَثَلُهم كَالشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي جَسَدِ الثَّوْرِ الأَسْوَدِ، وإنْ كانتْ هذه

الشَّــعرةُ بالمُقارَنــةِ لِلْكَمِّ الهائــلِ مِن شَــعْرِ الثَّوْرِ هي شَعرةً واحِدةً، ولكنَّها شَعرةٌ بَيْضَاءُ وَحِيدةٌ مُضِـيئةٌ وَسَـطِ الظَّلامِ الحالِـكِ في جَسَـدِ الثَّوْرِ[قـالَ الشـيخُ محمـد بن عبــداللطيف بن عبــدالرحمن بن حســن بنِ محمــد بن عبـدالوهاب: ومَن تَأَمَّلَ القُـرآنَ والسُّـنَّةَ وكَلامَ مُحَقِّقِي سَلَفِ الأُمَّةِ، عَلِمَ يَقِينًا أنَّ أكثَرَ الخَلقِ إلَّا مَن شـاءَ اللـهُ، قَــدْ أعرَضــوا عن واضِــحِ الْمَحَجَّةِ [الْمَحَجَّةُ هي جَــادَّةُ الطَّرِيقِ (أَيْ وَسَطُهَا)، والمُرادُ بها الطَّرِيقُ المُسـتَقِيمُ]، وسَـلَكُوا طَرِيـقَ الباطِـلِ ونَهْجِه، وجَعَلـوا مُصـاحَبةَ عُبَّادِ القُبـورِ وأهـلِ البِـدَعِ والفُجـورِ دِينًـا يَـدِينُون بـه، وخُلُقًـا حَسَنًا يَتَخَلَّقُون به، ويَقولـون {فُلَانٌ لـه عَقْـلٌ مَعِيشِـيٌّ، يَعِيشُ به مع النـاسِ}، ومَن كـانَتْ لـه غَيْـرَةٌ -وَلَـوْ قَلَّتْ- فهو عندهم مَرْفوضٌ ومَنْبُوذٌ، فَما أَعْظَمَها مِن بَلِيَّةٍ! وما أَصْعَبَها مِن رَزِيَّةٍ!، وأَمَّا حَقِيقةُ دَعوةِ الرَّسولِ صلى الله عليه وسلم وما جاءَ به مِنَ الهُدَى والنُّورِ، فعَزِيزٌ -واللـهِ- مَن يَعْرِفُهـا أو يَـدْرِيها، والعـارِفُ لهـا مِنَ النـاسِ اليَـومَ كَالشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي الجِلْدِ الأَسْـوَدِ وكَـالْكِبْرِيتِ الأَحْمَـرِ [يَعْنِي أنَّه يَنْـدُرُ وُجُـودُ هـذا العـارِفِ اليَـومَ]، لم يَبْـقَ إلَّا رُسُومٌ [أَيْ آثارٌ] قَدْ دَرَسَتْ [أَيْ بَلِيَتْ]، وأعلامٌ قَـدْ عَفَتْ [أَيِ اِنْمَحَتْ] وسَفَتْ [أَيْ نَثَـرَتِ التُّرَابَ] عليهـا عَواصِـفُ الهَـوَى وطَمَسَـتْها مَحَبَّةُ الـدُّنْيَا والحُظـوظُ النَّفسـانِيَّةُ، فَمَن فَتَحَ اللهُ عَيْنَ بَصِيرَتِه وَرَزَقَه مَعرِفـةً لِلحَـقِّ وتَمَيُّزًا له فَلْيَنْجُ بِنَفسِه وَلْيَشُحَّ بِدِينِـه [أَيْ وَلْيَحْـرِصْ على دِينِـه] ويَتَباعَـدْ عَمَّن نَكَبَ عنِ الصِّـراطِ المُسـتَقِيمِ وآثَـرَ عليـه مُوالاةَ أهلِ الجَحِيمِ، نَسألُ اللهَ السَّلامةَ والعافِيَةَ. انتهى باختصار من (الدُّرَر السَّنِيَّة في الأجوبة النَّجْدِيَّة). وقــالَ الشيخُ حمـود التـويجري (الـذي تـولَّى القضـاءَ في بلـدة رحيمة بالمنطقة الشرقية، ثم في بلدة الـزلفي، وكـان الشــيخُ ابنُ بــاز مُحِبًّا لـه، قارئًا لكُتُبــه، وقَـدَّمَ لبعضِـها، وبَكَى عليه عندما تُـوُفِّيَ -عـامَ 1413هــ- وأَمَّ المُصَـلِّين

للصلاة عليه) في كتابه (غربة الإسلام): وأمَّا الغُرَباءُ فَهُمْ أهلُ السُّنَّةِ والجَماعةِ، وَهُمُ الطائفةُ المَنصورةُ، والفِرقةُ الناجِيَةُ مِن ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً كُلُّها تَنتَسِبُ إلى الإسلامِ... ثم قالَ -أيِ الشيخُ التويجري-: فالفِرقةُ الناجِيَةُ بين جَمِيعِ المُنتَسِبِين إلى الإسلامِ كَالشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي الجِلْدِ الأَسْوَدِ، فهم غُرَباءُ بين المُنتَسِبِين إلى الإسلامِ، فَضلًا عن أعداءِ الإسلامِ مِن سائرِ الأُمَمِ. انتهى]... ثم قالَ -أيِ الشيخُ إيهاب-: أَهْلُ السُّنَّةِ غُرَبَاءُ، كَالشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي جَسَدِ الثَّوْرِ الأَسْوَدِ. انتهى باختصار.

(5)وَرَوَى الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ {نَارُكُمْ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ}، قِيلَ {يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنْ كَانَتْ لَكَافِيَةً}، قَالَ {فُضِّلَتْ عَلَيْهِنَّ بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا كُلُّهُنَّ مِثْلُ حَرِّهَا}. انتهى. وَرَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ {إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا مَنْ لَهُ نَعْلَانِ وَشِرَاكَانِ [النَّعْلُ هُوَ الْحِذَاءُ، والشِّرَاكُ هُوَ السَّيْرُ الَّذِي يَكُونُ فِي النَّعْلِ عَلَى ظَهْرِ الْقَدَمِ] مِنْ نَارٍ، يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ كَمَا يَغْلِي الْمِرْجَلُ [وهو إنَاءٌ يُغْلَى فيه الماءُ]، مَا يَرَى أَنَّ أَحَدًا أَشَدُّ مِنْهُ عَذَابًا، وَإِنَّهُ لَأَهْوَنُهُمْ عَذَابًا}. انتهى. وقالَ الشيخُ حمود التويجري (الذي تَوَلَّى القَضاءَ في بَلدةِ رحيمة بالمِنطَقةِ الشَّرقِيَّةِ، ثم في بَلدةِ الزلفي، وكانَ الشيخُ ابنُ باز مُحِبًّا له، قارئًا لكُتُبه، وقَدَّمَ لِبَعضِها، وبَكَى عليه عندما تُوُفِّيَ -عامَ 1413هـ- وأَمَّ المُصَلِّين لِلصَّلاةِ عليه) في كِتَابِه (غُربةُ الإسلامِ، بِتَقدِيمِ الشَّيخِ عبدِالكريمِ بن حمود التويجري): وَفِي الصَّحِيحَيْنِ وَغَيْرِهِمَا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أنه قَالَ

{يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ...} فَذُكِرَ الحَـدِيثُ وفيـه {حَتَّى إِذَا فَـرَغَ اللَّهُ مِنَ الْقَضَـاءِ بَيْنَ الْعِبَـادِ، وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ بِرَحْمَتِـهِ مَنْ أَرَادَ مِنْ أَهْـلِ النَّارِ، أَمَـرَ الْمَلَائِكَـةَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا، مِمَّنْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَرْحَمَهُ مِمَّنْ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَيَعْرِفُونَهُمْ فِي النَّارِ بِـأَثَرِ السُّـجُودِ، تَأْكُـلُ النَّارُ اِبْنَ آدَمَ إِلَّا أَثَـرَ السُّـجُودِ، حَـرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُـلَ أَثَـرَ السُّـجُودِ، فَيُخْرَجُـونَ مِنَ النَّارِ قَـدِ امْتَحَشُـوا [قَـالَ ابْنُ حَجَـرٍ فِي (فَتْحُ الباري): {قَدِ اُمْتُحِشُوا}، وَفِي حَـدِيثٍ عِنْـدَ مُسْـلِمٍ أَنَّهُمْ {يَصِـيرُونَ فَحْمًا}، وَفِي حَـدِيثِ جَـابِرٍ {حِمَمًـا}، وَمَعَانِيهَـا مُتَقَارِبَـةٌ. انتهى باختصـار. وقـالَ بـدرُ الـدين العيـني (ت855هـ) في (عمـدة القـاري شـرح صـحيح البخاري): قَوْلُه {قَدِ اُمْتُحِشُوا} مَعْنَـاهُ (اِحتَرَقـوا)، وَفِي بَعضِ الرِّوَايَـاتِ {صَـارُوا حِمَمًـا}، وَقَـالَ الـدَّاوُدِيُّ {(اُمْتُحِشُـوا) اِنقَبَضـوا واسْـوَدُّوا}. انتهى باختصـار]، فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءُ الْحَيَاةِ فَيَنْبُتُونَ تَحْتَـهُ كَمَـا تَنْبُتُ الْحَبَّةُ فِي حَمِيـلِ السَّـيْلِ [قَـالَ السِّـنْدِيُّ (ت1138هـ) فِي حَاشِـيَتِهِ عَلَى سُـنَنِ ابْنِ مَاجَـهْ: أَيْ فِيمَـا يَحْمِلُـهُ السَّـيْلُ وَيَجِيءُ بِهِ مِنْ طِينٍ وَغَيْرِهِ. انتهى]...} الحَـدِيثَ. انتهى. وَرَوَى النَّسَـائِيُّ فِي السُّـنَنِ الْكُبْـرَى -وحَسَّـنَه مُقْبِـل الـوادِعي في (الجـامع الصـحيح ممـا ليس في الصحيحَين)- أَنَّ جَابِرَ بْنَ عَبْدِاللَّهِ قَـالَ قَـالَ رَسُـولُ اللَّهِ صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ {إِنَّ نَاسًـا مِنْ أُمَّتِي يُعَـذَّبُونَ بِذُنُوبِهِمْ، فَيَكُونُونَ فِي النَّارِ مَا شَـاءَ اللَّهُ أَنْ يَكُونُـوا، ثُمَّ يُعَيِّرُهُمْ أَهْـلُ الشِّـرْكِ فَيَقُولُـونَ لَهُمْ (مَـا نَـرَى مَـا كُنْتُمْ تُخَالِفُونَا فِيهِ مِنْ تَصْدِيقِكُمْ وَإِيْمَانِكُمْ نَفَعَكُمْ)، لِمَـا يُرِيـدُ اللَّهُ أَنْ يُرِيَ أَهْلَ الشِّرْكِ مِنَ الْحَسْرَةِ، فَمَـا يَبْقَى مُوَحِّـدٌ إِلَّا أَخْرَجَـهُ اللَّهُ}، ثُمَّ تَلَا رَسُـولُ اللَّهِ صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ هَـذِهِ الآيَـةَ {رُبَمَـا يَـوَدُّ الَّذِينَ كَفَـرُوا لَـوْ كَـانُوا مُسْلِمِينَ}. انتهى. وقـالَ مركـزُ الفتـوى بموقـع إسـلام

ويب التـــابع لإدارة الـــدعوة والإرشـــاد الـــديني بـــوزارة الأوقــاف والشــؤون الإســلامية بدولــة قطــر [في هــذا الرابط](): فَـاليَوْمُ في جَهَنَّمَ مِقْـدَارُهُ أَلْـفُ سَـنَةٍ مِن أَيَّامِ الدُّنْيَا. انتهى. قلتُ: والآنَ يا عبدَاللـهِ، بَعْـدَما عَـرَفْتَ أَنَّ اليَوْمَ في جَهَنَّمَ مِقْدَارُهُ أَلْـفُ سَـنَةٍ مِن أَيَّامِ الـدُّنْيَا؛ وأَنَّ مِن أُمَّةِ الإجَابَةِ مَن يُعَذَّبُونَ بِذُنُوبِهِمْ، فَيَكُونُـونَ فِي النَّارِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكُونُوا؛ وأَنَّ أُمَّةَ الإجَابَةِ لا يَنْجُـو منهـا إلَّا فِرْقةٌ واحـدةٌ مِن بَيْنِ ثَلَاثٍ وَسَـبْعِينَ فِرْقَـةً؛ وأَنَّ الـذِينَ يَـرِدُون عَلَى الْحَـوْضِ مِن أُمَّةِ الإجَابَـةِ عَـدَدٌ قليـلٌ جِـدًّا بالنِّسـبةِ إلى الْمَطْـرُودِينَ عَنِ الْحَـوْضِ؛ وأَنَّ الفِرْقَـةَ الناجِيَـةَ والـذِين يَـرِدُون عَلَى الْحَـوْضِ هُمْ أهـلُ السُّـنَّةِ والجَمَاعةِ؛ بَعْدَما عَرَفْتَ ذلك كُلَّه، فإنَّكَ تَكُونُ قد عَـرَفْتَ أنَّه يَتَوَجَّبُ عليك أَلَّا يكونَ أَكْبَرُ هَمِّكَ مُجَرَّدَ تحقيـقِ أَصْلِ الإيمانِ وتَجَنُّبِ الكبائرِ، بَـلْ لا بُـدَّ مـع ذلـك مِن تَحقِيقِـك عقيدةَ أهلِ السُّنَّةِ والجَمَاعةِ.

(6)وقالَ ابنُ القيم في (مدارج السـالكين): غُرْبَـةُ أَهْـلِ اللَّهِ وَأَهْلِ سُنَّةِ رَسُولِهِ بَيْنَ هَذَا الْخَلْقِ، هِيَ الْغُرْبَـةُ الَّتِي مَدَحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَهْلَهَا، وَأَخْبَرَ عَنِ الدِّينِ الَّذِي جَاءَ بِهِ أَنَّهُ بَدَأَ غَرِيبًا وَأَنَّهُ سَـيَعُودُ غَرِيبًـا كَمَـا بَدَأَ وَأَنَّ أَهْلَهُ يَصِيرُونَ غُرَبَـاءَ... ثم قـالَ -أيِ ابنُ القيمِ-: وَأَهْلُ هَذِهِ الْغُرْبَةِ هُمْ أَهْلُ اللَّهِ حَقًّا، فَإِنَّهُمْ لَمْ يَأْوُوا إِلَى غَيْرِ اللَّهِ، وَلَمْ يَنْتَسِبُوا إِلَى غَيْرِ رَسُـولِهِ صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ، وَلَمْ يَـدْعُوا إِلَى غَيْـرِ مَـا جَـاءَ بِـهِ، وَهُمُ الَّذِينَ فَـارَقُوا النَّاسَ أَحْـوَجَ مَـا كَـانُوا إِلَيْهِمْ، فَهَـذِهِ الْغُرْبَـةُ لَا وَحْشَةَ عَلَى صَاحِبِهَا، فَوَلِيُّهُ اللَّهُ وَرَسُـولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُـوا، وَإِنْ عَـادَاهُ أَكْثَـرُ النَّاسِ وَجَفَـوْهُ؛ وَمِنْ صِـفَاتِ هَـؤُلَاءِ الْغُرَبَاءِ التَّمَسُّكُ بِالسُّنَّةِ (إِذَا رَغِبَ عَنْهَا النَّاسُ)، وَتَرْكُ مَا أَحْدَثُوهُ (وَإِنْ كَانَ هُوَ الْمَعْرُوفُ عِنْدَهُمْ)، وَتَجْرِيدُ التَّوْحِيدِ (وَإِنْ أَنْكَرَ ذَلِكَ أَكْثَـرُ النَّاسِ)، وَتَـرْكُ الانْتِسَـابِ إِلَى أَحَـدٍ

غَيْـرِ اللَّهِ وَرَسُـولِهِ، لَا شَـيْخَ وَلَا طَرِيقَـةَ وَلَا مَـذْهَبَ وَلَا طَائِفَةَ، بَلْ هَؤُلَاءِ الْغُرَبَاءُ مُنْتَسِبُونَ إِلَى اللَّهِ بِالْعُبُودِيَّةِ لَهُ وَحْدَهُ، وَإِلَى رَسُولِهِ بِالاتِّبَاعِ لِمَـا جَـاءَ بِـهِ وَحْـدَهُ، وَهَـؤُلَاءِ هُمُ الْقَابِضُونَ عَلَى الْجَمْرِ حَقًّا، وَأَكْثَرُ النَّاسِ -بَـلْ كُلُّهُمْ- لَائِمٌ لَهُمْ؛ فَلِغُرْبَتِهِمْ بَيْنَ هَذَا الْخَلْقِ يَعُدُّونَهُمْ أَهْلَ شُذُوذٍ وَبِدْعَـةٍ وَمُفَارَقَـةٍ لِلسَّـوَادِ الأَعْظَمِ؛ وَمَعْنَى قَـوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ {هُمُ النُّزَّاعُ مِنَ الْقَبَائِلِ} أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ رَسُولَهُ وَأَهْـلُ الأَرْضِ عَلَى أَدْيَـانٍ مُخْتَلِفَـةٍ، فَهُمْ [أَيْ أَهْـلُ الأَرْضِ] بَيْنَ عُبَّادِ أَوْثَـانٍ وَنِـيرَانٍ، وَعُبَّادِ صُوَرٍ وَصُلْبَانٍ، وَيَهُودٍ وَصَابِئَةٍ وَفَلَاسِـفَةٍ، وَكَـانَ الإِسْـلَامُ فِي أَوَّلِ ظُهُورِهِ غَرِيبًا، وَكَانَ مَنْ أَسْلَمَ مِنْهُمْ وَاسْـتَجَابَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ غَرِيبًـا فِي حَيِّهِ وَقَبِيلَتِـهِ وَأَهْلِـهِ وَعَشِـيرَتِهِ، فَكَـانَ الْمُسْـتَجِيبُونَ لِـدَعْوَةِ الإِسْـلَامِ نُزَّاعًـا مِنَ الْقَبَائِلِ، تَغَرَّبُـوا عَنْ قَبَـائِلِهِمْ وَعَشَـائِرِهِمْ وَدَخَلُـوا فِي الإِسْـلَامِ فَكَـانُوا هُمُ الْغُرَبَـاءُ حَقًّا، حَتَّى ظَهَـرَ الإِسْـلَامُ وَانْتَشَـرَتْ دَعْوَتُـهُ وَدَخَـلَ النَّاسُ فِيـهِ أَفْوَاجًـا، فَـزَالَتْ تِلْـكَ الْغُرْبَـةُ عَنْهُمْ، ثُمَّ أَخَذَ [أَيِ الإِسْلَامُ] فِي الاغْتِرَابِ وَالتَّرَحُّلِ حَتَّى عَادَ غَرِيبًا كَمَـا بَـدَأَ، بَـلِ الإِسْـلَامُ الْحَـقُّ الَّذِي كَـانَ عَلَيْـهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ وَأَصْـحَابُهُ هُـوَ الْيَـوْمَ أَشَـدُّ غُرْبَـةً مِنْـهُ فِي أَوَّلِ ظُهُـورِهِ، وَإِنْ كَـانَتْ أَعْلَامُـهُ وَرُسُـومُهُ الظَّاهِرَةُ مَشْـهُورَةٌ مَعْرُوفَـةٌ، فَالإِسْـلَامُ الْحَقِيقِيُّ غَـرِيبٌ جِـدًّا، وَأَهْلُـهُ غُرَبَـاءُ أَشَـدُّ الْغُرْبَـةِ بَيْنَ النَّاسِ، وَكَيْفَ لَا تَكُونُ فِرْقَةٌ وَاحِدَةٌ قَلِيلَةٌ جِدًّا غَرِيبَةً بَيْنَ اثْنَتَيْنِ وَسَـبْعِينَ فِرْقَـةً ذَاتَ أَتْبَـاعٍ وَرِئَاسَـاتٍ وَمَنَاصِـبَ وَوِلَايَاتٍ؟، كَيْفَ لَا يَكُـونُ الْمُـؤْمِنُ السَّـائِرُ إِلَى اللَّهِ عَلَى طَرِيـقِ الْمُتَابَعَـةِ غَرِيبًـا بَيْنَ هَـؤُلَاءِ الَّذِينَ قَـدِ اتَّبَعُـوا أَهْوَاءَهُمْ وَأَطَاعُوا شُحَّهُمْ وَأَعْجِبَ كُلٌّ مِنْهُمْ بِرَأْيِهِ؟... ثم قالَ -أَيِ ابنُ القيمِ-: وَلِهَذَا جُعِـلَ لِلْمُسْـلِمِ الصَّـادِقِ فِي هَذَا الْوَقْتِ إِذَا تَمَسَّكَ بِدِينِهِ أَجْـرُ خَمْسِـينَ مِنَ الصَّـحَابَةِ، فَفِي سُـنَنِ أَبِي دَاوُدَ وَالتِّرْمِـذِيِّ مِنْ حَـدِيثِ أَبِي ثَعْلَبَـةَ

الْخُشَنِيِّ قَالَ {سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ هَذِهِ الآيَةِ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ، لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ)، فَقَالَ (بَلِ ائْتَمِرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنَاهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ، حَتَّى إِذَا رَأَيْتَ شُحًّا مُطَاعًا وَهَوًى مُتَّبَعًا وَدُنْيَا مُؤْثَرَةً وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ، فَعَلَيْكَ بِخَاصَّةِ نَفْسِكِ وَدَعْ عَنْكَ الْعَوَامَّ، فَإِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامَ الصَّبْرِ، الصَّبْرُ فِيهِنَّ مِثْلُ قَبْضٍ عَلَى الْجَمْرِ، لِلْعَامِلِ فِيهِنَّ أَجْرُ خَمْسِينَ رَجُلًا يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِهِ)، قُلْتُ (يَا رَسُولَ اللَّهِ أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْهُمْ؟)، قَالَ (أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ)}، وَهَذَا الأَجْرُ الْعَظِيمُ إِنَّمَا هُوَ **لِغُرْبَتِهِ بَيْنَ النَّاسِ، وَالتَّمَسُّكِ بِالسُّنَّةِ بَيْنَ ظُلُمَاتِ أَهْوَائِهِمْ وَآرَائِهِمْ**؛ فَإِذَا أَرَادَ الْمُؤْمِنُ الَّذِي قَدْ رَزَقَهُ اللَّهُ بَصِيرَةً فِي دِينِهِ، وَفِقْهًا فِي سُنَّةِ رَسُولِهِ، وَفَهْمًا فِي كِتَابِهِ، وَأَرَاهُ مَا النَّاسُ فِيهِ مِنَ الأَهْوَاءِ وَالْبِدَعِ وَالضَّلالَاتِ وَتَنَكُّبِهِمْ عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَسْلُكَ هَذَا الصِّرَاطَ **فَلْيُوَطِّنْ نَفْسَهُ عَلَى قَدْحِ الْجُهَّالِ وَأَهْلِ الْبِدَعِ فِيهِ، وَطَعْنِهِمْ عَلَيْهِ، وَإِزْرَائِهِمْ بِهِ، وَتَنْفِيرِ النَّاسِ عَنْهُ، وَتَحْذِيرِهِمْ مِنْهُ**، كَمَا كَانَ سَلَفُهُمْ مِنَ الْكُفَّارِ يَفْعَلُونَ مَعَ مَتْبُوعِهِ وَإِمَامِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَمَّا إِنْ دَعَاهُمْ إِلَى ذَلِكَ وَقَدَحَ فِيمَا هُمْ عَلَيْهِ، فَهُنَالِكَ تَقُومُ قِيَامَتُهُمْ وَيَبْغُونَ لَهُ الْغَوَائِلَ وَيَنْصِبُونَ لَهُ الْحَبَائِلَ وَيَجْلِبُونَ عَلَيْهِ بِخَيْلِ كَبِيرِهِمْ وَرَجِلِهِ، فَهُوَ غَرِيبٌ فِي دِينِهِ لِفَسَادِ أَدْيَانِهِمْ، غَرِيبٌ فِي تَمَسُّكِهِ بِالسُّنَّةِ لِتَمَسُّكِهِمْ بِالْبِدَعِ، غَرِيبٌ فِي اعْتِقَادِهِ لِفَسَادِ عَقَائِدِهِمْ، غَرِيبٌ فِي صِلَاتِهِ لِسُوءِ صِلَاتِهِمْ، غَرِيبٌ فِي طَرِيقِهِ لِضَلَالِ وَفَسَادِ طُرُقِهِمْ، غَرِيبٌ فِي نِسْبَتِهِ لِمُخَالَفَةِ نَسَبِهِمْ، غَرِيبٌ فِي مُعَاشَرَتِهِ لَهُمْ لِأَنَّهُ يُعَاشِرُهُمْ عَلَى مَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ، وَبِالْجُمْلَةِ **فَهُوَ غَرِيبٌ فِي أُمُورِ دُنْيَاهُ وَآخِرَتِهِ**، لَا يَجِدُ مِنَ الْعَامَّةِ مُسَاعِدًا وَلَا مُعِينًا، فَهُوَ عَالِمٌ بَيْنَ جُهَّالٍ، صَاحِبُ

سُنَّةٍ بَيْنَ أَهْلِ بِدَعٍ، دَاعٍ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ بَيْنَ دُعَاةٍ إِلَى الْأَهْوَاءِ وَالْبِدَعِ، آمِرٌ بِالْمَعْرُوفِ نَاهٍ عَنِ الْمُنْكَرِ بَيْنَ قَوْمٍ الْمَعْرُوفُ لَدَيْهِمْ مُنْكَرٌ وَالْمُنْكَرُ مَعْرُوفٌ. انتهى باختصار.

وقالَ الآجُرِّيُّ (ت360هـ) في كتابِه (الغرباء): مَن أَحَبَّ أنْ يَبلُغَ مَراتِبَ الغُرَباءِ فَلْيَصْبِرْ على جَفَاءِ أَبَوَيه وزَوجَتِه وإخوانِه وقَرابَتِه، فإنْ قالَ قائلٌ {فَلِمَ يَجْفُوني؟}، قِيلَ، لأنَّك خالَفْتَهم على ما هُمْ عليه مِن حُبِّهم الدُّنْيا وشِدَّةِ حِرصِهم عليها، ولِتَمَكُّنِ الشَّهَواتِ مِن قُلوبِهم ما يُبالُون ما نَقَصَ مِن دِينِك ودِينِهم إذا سَلِمَتْ لهم بك دُنْياهُمْ، فإنْ تابَعْتَهم على ذلك كُنتَ الحَبِيبَ القَرِيبِ، وإنْ خالَفْتَهم وسَلَكْتَ طريقَ أَهْلِ الآخرةِ باستعمالِك الحَقَّ جَفَا عليهم أَمْرُك، فالأَبَوانِ مُتَبَرِّمان بِفِعَالِك، والزَّوجةُ بك مُتَضَجِّرةٌ فهي تُحِبُّ فِرَاقَك، والإخوانُ والقَرَابةُ قد زَهِدوا في لِقائِك، فأنتَ بينهم مَكْرُوبٌ مَحزُونٌ، فحِينئذٍ نَظَرْتَ إلى نفسِك بعَينِ الغُرْبةِ فَأَنِسْتَ ما شاكَلَك مِنَ الغُرَباءِ واستَوحَشْتَ مِنَ الإخوانِ والأَقْرِباءِ، فَسَلَكْتَ الطَّرِيقَ إلى اللهِ الكريمِ وَحْدَكَ، فإنْ صَبَرْتَ على خُشونةِ الطَّرِيقِ أيَّامًا يَسِيرةً، واحتَمَلْتَ الذُّلَّ والمُدَاراةَ مُدَّةً قَصِيرةً، وزَهِدتَ في هذه الدارِ الحَقِيرةِ، أَعْقَبَك الصَّبْرُ أنْ وَرَدَ بك إلى دارِ العافِيَةِ، أرضُها طَيِّبةٌ ورِيَاضُها خَضِرَةٌ وأشجارُها مُثمِرةٌ وأنهارُها عَذْبةٌ، فِيهَا مَا تَشْتَهِي الأَنفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ وأَهْلُها فِيهَا مُخَلَّدُونَ، {يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ، خِتَامُهُ مِسْكٌ، وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ، وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ، عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ}، يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ {لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ، وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ، وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ، وَحُورٌ عِينٌ، كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ، جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}... ثم قالَ -أيِ الآجُرِّيُّ-: أَغْرَبُ الْغُرَبَاءِ فِي وَقْتِنَا هَذَا مَنْ أَخَذَ بِالسُّنَنِ وَصَبَرَ عَلَيْهَا، وَحَذِرَ الْبِدَعَ وَصَبَرَ عَنْهَا، وَاتَّبَعَ آثَارَ مَنْ

سَلَفَ مِنْ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَعَرَفَ زَمَانَـهُ وَشِـدَّةَ فَسَـادِهِ وَفَسَادَ أَهْلِـهِ، فَاشْـتَغَلَ بِإِصْـلَاحِ شَـأْنِ نَفْسِـهِ مِنْ حِفْـظِ جَوَارِحِهِ، وَتَرْكِ الْخَوْضِ فِيمَا لَا يَعْنِيهِ، وَعَمِـلَ فِي إِصْـلَاحِ كَسْـرَتِهِ، وَكَـانَ طَلَبُـهُ مِنَ الـدُّنْيَا مَـا فِيـهِ كِفَايَتُـهُ وَتَـرْكَ الْفَضْلِ الَّذِي يُطْغِيـهِ، وَدَارَى أَهْـلَ زَمَانِـهِ وَلَمْ يُـدَاهِنْهُمْ، وَصَبَرَ عَلَى ذَلِكَ، فَهَـذَا غَـرِيبٌ وَقَـلَّ مَنْ يَـأْنَسُ إِلَيْـهِ مِنَ الْعَشِـيرَةِ وَالإِخْـوَانِ، وَلَا يَضُـرَّهُ ذَلِـكَ، فَـإِنْ قَـالَ قَائِلٌ {افْرُقْ لَنَا بَيْنَ الْمُدَارَاةِ وَالْمُدَاهَنَةِ}، قِيـلَ لَـهُ، الْمُـدَارَاةُ يُثَابُ عَلَيْهَـا الْعَاقِـلُ، وَيَكُـونُ مَحْمُـودًا بِهَـا عِنْـدَ اللَّهِ عَـزَّ وَجَلَّ، وَعِنْدَ مَنْ عَقَلَ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ هُـوَ الَّذِي يُـدَارِي جَمِيـعَ النَّاسِ الَّذِينَ لَا بُـدَّ لَـهُ مِنْهُمْ وَمِنْ مُعَاشَـرَتِهِمْ، لَا يُبَالِي مَا نَقَصَ مِنْ دُنْيَاهُ وَمَا انْتُهِـكَ بِـهِ مِنْ عِرْضِـهِ، بَعْـدَ أَنْ سَلِمَ لَـهُ دِينُـهُ، فَهَـذَا رَجُـلٌ كَـرِيمٌ غَـرِيبٌ فِي زَمَانِـهِ؛ وَ[أَمَّا] الْمُدَاهَنَةُ فَهُوَ الَّذِي لَا يُبَالِي مَا نَقَصَ مِنْ دِينِـهِ إِذَا سَلِمَتْ لَهُ دُنْيَاهُ، قَدْ هَانَ عَلَيْهِ ذَهَابُ دِينِهِ، بَعْـدَ أَنْ تَسْـلَمَ لَهُ دُنْيَاهُ، فَهَذَا فِعْلُ مَغْرُورٍ، فَإِذَا عَارَضَـهُ الْعَاقِـلُ فَقَـالَ {هَـذَا لَا يَجُـوزُ لَـكَ فِعْلُـهُ}، قَـالَ {نُـدَارِي}، فَيُكْسِـبُوا الْمُدَاهَنَةَ الْمُحَرَّمَـةَ اسْـمَ (الْمُـدَارَاةِ)، وَهَـذَا غَلَـطٌ كَبِـيرٌ؛ وَقَـالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَنَفِيَّةِ رَضِـيَ اللَّهُ عَنْـهُ {لَيْسَ بِحَكِيمٍ مَنْ لَمْ يُعَاشِرْ بِالْمَعْرُوفِ لِمَنْ لَا يَجِـدُ مِنْ مُعَاشَـرَتِهِ بُـدًّا، حَتَّى يَجْعَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ مِنْـهُ فَرَجًـا وَمَخْرَجًـا}، فَمَنْ كَانَ هَكَذَا فَهُـوَ غَـرِيبٌ طُـوبَى لَـهُ ثُمَّ طُـوبَى لَـهُ. انتهى باختصار. وقـالَ أبـو بكـر الطرطوشـي (ت520هـ) في (سراج الملوك): فالْمُدَارَاةُ أنْ تُـدَارِيَ النـاسَ على وَجْـهٍ يَسْلَمُ لك [بـه] دِينُـك. انتهى. وقـالَ ابْنُ حَجَـرٍ فِي (فَتْحُ الباري): قَالَ ابْنُ بَطَّالٍ {الْمُدَارَاةُ مِنْ أَخْلَاقِ الْمُـؤْمِنِينَ، وَهِيَ خَفْضُ الْجَنَـاحِ لِلنَّاسِ وَلِينُ الْكَلِمَـةِ وَتَـرْكُ الإِغْلَاظِ لَهُمْ فِي الْقَوْلِ؛ وَظَنَّ بَعْضُهُمْ أَنَّ الْمُدَارَاةَ هِيَ الْمُدَاهَنَةُ فَغَلِـطَ، لِأَنَّ الْمُـدَارَةَ مَنْـدُوبٌ إِلَيْهَـا وَالْمُدَاهَنَـةُ مُحَرَّمَـةٌ؛ وَالْمُدَاهَنَةَ فَسَّرَهَا الْعُلَمَاءُ بِأَنَّهُ مُعَاشَرَةُ الْفَاسِقِ وَإِظْهَارُ

الرِّضَا بِمَا هُوَ فِيهِ مِنْ غَيْرِ إِنْكَارٍ عَلَيْهِ؛ وَالْمُدَارَاةُ هِيَ الرِّفْقُ بِالْجَاهِلِ فِي التَّعْلِيمِ، وَبِالْفَاسِقِ فِي النَّهْيِ عَنْ فِعْلِهِ، وَتَرْكُ الإِغْلَاظِ عَلَيْهِ حَيْثُ لَا يُظْهِرُ مَا هُوَ فِيهِ، وَالإِنْكَارُ عَلَيْهِ بِلُطْفِ الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ}. إنتهى باختصار. وقال البخاريُّ في صحيحِه: وَيُذْكَرُ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ {إِنَّا لَنَكْشِرُ [أَيْ لَنَتَبَسَّمُ] فِي وُجُوهِ أَقْوَامٍ، وَإِنَّ قُلُوبَنَا لَتَلْعَنُهُمْ}... ثم قالَ -أيِ البخاريُّ-: حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنِ اِبْنِ الْمُنْكَدِرِ حَدَّثَهُ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ أَنَّ عَائِشَةَ أَخْبَرَتْهُ أَنَّهُ اِسْتَأْذَنَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ، فَقَالَ [أَيِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ] {ائْذَنُوا لَهُ، فَبِئْسَ ابْنُ الْعَشِيرَةِ (أَوْ بِئْسَ أَخُو الْعَشِيرَةِ)}، فَلَمَّا دَخَلَ، أَلَانَ لَهُ الْكَلَامَ، فَقُلْتُ لَهُ [أَيْ بَعْدَ خُرُوجِ الرَّجُلِ] {يَا رَسُولَ اللَّهِ، قُلْتَ مَا قُلْتَ، ثُمَّ أَلَنْتَ لَهُ فِي الْقَوْلِ}، فَقَالَ {أَيْ عَائِشَةُ، إِنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنْزِلَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ تَرَكَهُ (أَوْ وَدَعَهُ) النَّاسُ اتِّقَاءَ فُحْشِهِ}. انتهى. وقالَ ابنُ المُلَقِّن (ت804هـ) في (التوضيح لشرح الجامع الصحيح): قَالَ الْعُلَمَاءُ {وَهِيَ [أَيِ الْمُدَاهَنَةُ] أَنْ يَلْقَى الْفَاسِقَ الْمُظْهِرَ لِفِسْقِهِ فَيُؤَالِفُهُ وَيُؤَاكِلُهُ وَيُشَارِبُهُ، وَيَرَى أَفْعَالَهُ الْمُنْكَرَةَ وَيُرِيهُ الرِّضَا بِهَا وَلَا يُنْكِرُهَا عَلَيْهِ وَلَوْ بِقَلْبِهِ، فَهَذِهِ الْمُدَاهَنَةُ الَّتِي بَرَّأَ اللَّهُ مِنْهَا نَبِيَّهُ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- بِقَوْلِهِ {وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ}؛ وَالْمُدَارَاةُ هِيَ الرِّفْقُ بِالْجَاهِلِ الَّذِي يَتَسَتَّرُ بِالْمَعَاصِي وَلَا يُجَاهِرُ بِالْكَبَائِرِ، وَالْمُعَاطَفَةُ فِي رَدِّ أَهْلِ الْبَاطِلِ إِلَى مُرَادِ اللَّهِ بِلِينٍ وَلُطْفٍ، حَتَّى يَرْجِعُوا عَمَّا هُمْ عَلَيْهِ. انتهى.

(7)وقالَ الشيخُ ناصرُ بنُ يحيى الحنيني (الأستاذ المساعد بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية أصول الدين، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة) في مقالة له على هذا الرابط: اِعلَمْ أنَّ الأصلَ في مُعَاداةِ

الكفارِ وبُغْضِهم أنْ تكونَ ظَاهِرَةً، لَا مَخْفِيَّةً مُسْتَتِرةً، حِفْظًا لدِينِ المسلِمِين، وإشعارًا لهم بالفَرْقِ بينهم وبين الكافِرِين، حتى يَقْوَى ويَتَماسَكَ المسلمون ويَضْعُفَ أعداءُ المِلَّةِ والدِّينِ، والدليلُ على هذا قولُه تعالى آمِرًا نَبِيَّه والأُمَّةَ كُلَّها بأنْ تَقْتَدِيَ بإِبْرَاهِيمَ عليه السلامُ إِمَامِ الحُنَفَاءِ وأنْ تَفْعَلَ فِعْلَه، حَيْثُ قالَ سُبْحَانَه {قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ}، وتَأَمَّلْ معي الفَوائدَ مِن هذه الآيَةِ العظِيمةِ الصَّرِيحةِ التي لم تَدَعْ حُجَّةً لمُحْتَجٍّ؛ (أ)أنَّه قَدَّمَ البَرَاءَ مِنَ الكافِرِين على البَرَاءَةِ مِن كُفرِهم، لِأهَمِّيَّةِ مُعاداةِ الكفارِ وبُغضِهم وأنَّهم أشَدُّ خَطَرًا مِن الكُفرِ نَفْسِه، وفيها إشارةٌ إلى أنَّ بعضَ الناسِ قد يَتَبَرَّأُ مِنَ الكُفرِ والشركِ، ولكنَّه لا يَتَبَرَّأُ مِنَ الكافرِين؛ (ب)أنَّه لَمَّا أرادَ أنْ يُبَيِّنَ وُجوبَ بُغضِهم عَبَّرَ بأقْوَى الألفاظِ وأغْلَظِها فقالَ {كَفَرْنَا بِكُمْ}، لخُطورةِ وعِظَمِ الوُقوعِ في هذا المُنْكَرِ؛ (ت)أنَّه قالَ {بَدَا}، والبُدُوُّ هو الظُّهورُ والوُضوحُ وليس الخَفاءَ والاسْتِتارَ، فتَأَمَّلْ هذا وقارِنْه بمَن يَنْعِقُ في زَمانِنا بأنَّه لا يَسُوغُ إظهارُ مِثْلِ هذه المُعتَقَداتِ في بِلادِ المسلِمِين حتى لا يَغْضَبَ علينا أعداءُ الدِّينِ، فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ؛ (ث)قولُه {أَبَدًا}، أيْ إلى قِيَامِ الساعةِ ولَو تَطَوَّرَ العُمْرانُ ورَكِبْنا الطائراتِ وعَمَرْنا الناطِحاتِ، فهذا أصلٌ أصِيلٌ لا يَزُولُ ولا يَتَغَيَّرُ بتَغَيُّرِ الزَّمانِ ولا المَكانِ... ثم قالَ -أيِ الشيخُ الحنيني-: اعلَمْ أنَّ هذه القَضِيَّةَ -أعنِي وُجوبَ مُعاداةِ الكافِرِين وبُغضِهم- أمْرٌ لا خِيَارَ لنا فيه، بل هو مِنَ العباداتِ التي افْتَرَضَها [اللهُ] على المُؤمِنِين كالصَّلاةِ وغيرِها مِن فَرائضِ الإسلامِ، فلا تَغْتَرَّ بمَن يَزْعُمُ أنَّ هذا دِينُ الوَهَّابِيَّةِ أو دِينُ فُلَانٍ أو فُلَانٍ، بل هذا دِينُ رَبِّ

العالَمِين، وهُدَي سَيِّدِ المُرْسَلِين... ثم قال -أَيِ الشيخُ الحنيني-: هذا الأَمْرُ [هو] مِنَ الشرائِعِ التي فُرِضَتْ على كُلِّ الأنبياءِ والرُّسُلِ -أَعْنِي مُعاداةَ أعداءِ اللهِ والبَراءةَ منهم-، فهذا نُوحٌ، يقولُ اللهُ له عن اِبْنِه الكافِرِ {إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ}، وهذا إبراهِيمُ يَتَبَرَّأُ هو ومَن معه مِنَ المُؤمِنِين، مِن أقوامِهم وأقْرَبِ الناسِ إليهم، بلْ تَبَرَّأَ مِن أَبِيه، فقالَ {وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ}، وأصحابُ الكَهْفِ اعْتَزَلوا قومَهم الذِين كَفَروا حِفاظًا على دِينِهم وتَوحِيدِهم، قالَ جَلَّ وعَلَا عنهم {وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إلا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا}... ثم قالَ -أَيِ الشيخُ الحنيني-: إنَّ قَضِيَّةَ الوَلَاءِ لِلمؤمنِين والبَراءةِ مِنَ الكافِرِين مُرْتَبِطةٌ بـ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) ارْتِباطًا وَثِيقًا، فإنَّ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) تَتَضَمَّنُ رُكْنَيْنِ؛ الأَوَّلُ، النَّفْيُ، وهو نَفْيُ العُبُودِيَّةِ عَمَّا سِوَى اللَّهِ، والكفرُ بكُلِّ ما يُعبَدُ مِن دُونِ اللهِ، وهو الذي سَمَّاه اللهُ عَزَّ وجَلَّ الكُفْرَ بالطَّاغُوتِ [وذلك في قولِه {فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ}]؛ والثانِي، الإثباتُ، وهو إفرادُ اللهِ بالعبادةِ؛ والدَّلِيلُ على هذيْنِ الرُّكْنَيْنِ قولُه تَعالَى {فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انفِصَامَ لَهَا، وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}، ومِنَ الكُفرِ بِالطَّاغُوتِ الكُفرُ بِأَهْلِه كما جاءَ في قولِه تَعالَى {كَفَرْنَا بِكُمْ}، وقولِه {إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ}، إذْ لا يُتَصَوَّرُ كُفْرٌ مِن غيرِ كافِرٍ، ولا شِرْكٌ مِن غيرِ مُشْرِكٍ، فوَجَبَ البَرَاءةُ مِنَ الفِعْلِ والفاعلِ حتى تَتَحَقَّقَ كَلِمةُ التَّوحِيدِ (كَلِمةُ "لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ")... ثم قالَ -أَيِ الشيخُ الحنيني-: هناك فَرْقٌ بين بُغضِ الكافرِ وعَدَاوَتِه وبين مُعامَلَتِه ودَعْوَتِه إلى الإسلامِ؛ فالكافرُ لَا يَخْلُو إِمَّا أَنْ يكونَ حَرْبِيًّا [قالَ الشيخُ محمد بن موسى الدالي على موقعِه في هذا الرابط: فَدَارُ الكُفْرِ، إذا أُطْلِقَ

عليها (دارُ الحَرْبِ) فَباعتِبارِ مَآلِهـا وتَوَقُّعِ الحَـرْبِ منهـا، حـتى ولـو لم يكنْ هنـاك حَـرْبٌ فِعلِيَّةٌ مـع دارِ الإسـلامِ. انتهى باختصار. وقالَ الشيخُ عبدُالله الغليفي في كتابِه (أحكام الديار وأنواعهـا وأحـوال سـاكنيها): الأصْـلُ في (دارِ الكُفْرِ) أنَّها (دارُ حَرْبٍ) ما لم تَرْتَبِطْ مع دارِ الإسلامِ بعُهودٍ ومَواثِيقَ، فَإنِ اِرتَبَطَتْ فتُصْبِحَ (دارَ كُفْرٍ مُعاهَدةً)، وهذه العُهـودُ والمَواثِيـقُ لا تُغَيِّرُ مِن حَقِيقـةِ دارِ الكُفْـرِ. انتهى باختصـار. وقـالَ الشـيخُ مشـهور فـوّاز محاجنـة (عضـــو الاتحـــاد العـــالمى لعلمـــاء المســـلمين) في (الاقتِــراض مِنَ البُنــوكِ الرِّبَوِيَّةِ القائمــةِ خــارِجَ دِيَــارِ الإسلامِ): ويُلاحَظُ أنَّ مُصطلَحَ (دارِ الحَرْبِ) يَتَـداخَلُ مـع مُصطلَحِ (دارِ الكُفْرِ) في اِستِعمالاتِ أكثَرِ الفُقَهـاءِ... ثم قـالَ -أيِ الشـيخُ محاجنـة-: كُـلُّ دارِ حَـرْبٍ هي دارُ كُفْـرٍ ولَيسَـتْ كُـلُّ دارِ كُفْـرٍ هي دارَ حَـرْبٍ. انتهى. وجـاءَ في الموسوعةِ الفقهيةِ الكُوَيْتِيَّةِ: أهْـلُ الحَـرْبِ أو الحَرْبِيُّون، هُمْ غيرُ المُسلِمِين، الذِين لم يَدْخُلوا في عَقْدِ الذِّمَّةِ، ولا يَتَمَتَّعـون بأمَـانِ المُسـلِمِين ولا عَهْـدِهم. انتهى. وقـالَ مركزُ الفتوى بموقـع إسـلام ويب التـابع لإدارة الـدعوة والإرشاد الديني بـوزارة الأوقـاف والشـؤون الإسـلامية بدولة قطر في هـذا الرابط: أمَّا مَعْنَى الكـافِرِ الحَـرْبِيِّ، فهو الذي ليس بَيْنَه وبين المُسـلِمِين عَهْـدٌ ولاَ أمَـانٌ ولا عَقْـدُ ذِمَّةٍ. انتهى. وقـالَ الشـيخُ حسـينُ بنُ محمـود في مَقالــةٍ لــه على هــذا الرابط: ولا عِبْـرةَ بقَـولِ بعضِــهم {هؤلاء مَدَنِيُّون}، فليس في شَرْعِنا شيءٌ اسْمُهُ (مَدَنِيٌّ وعَسْكَرِيٌّ)، وإنَّما هو (كافرٌ حَرْبِيٌّ ومُعاهَدٌ)، فكُـلُّ كـافِرٍ يُحارِبُنا، أو لم يَكُنْ بيننـا وبينـه عَهْـدٌ، فهـو حَـرْبِيٌّ حَلَالُ المـالِ والـدَّمِ والذُّرِّيَّةِ [قـالَ الْمَـاوَرْدِيُّ (ت450هـ) في (الحاوي الكبير في فقـه مـذهبِ الإمـام الشـافعي) في بَـــابِ (تَفْرِيـــقِ الْغَنِيمَـــةِ): فَأَمَّا الذُّرِّيَّةُ فَهُمُ النِّسَـــاءُ وَالصِّـبْيَانُ، يَصِـيرُونَ بِـالْقَهْرِ وَالْغَلَبَـةِ مَرْقُـوقِينَ. انتهى

باختصــــار]. انتهى. وقـــالَ الشـــيخُ محمـــدُ بنُ رزق الطرهوني (الباحث بمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، والمدرس الخاص للأمير عبدالله بن فيصل بن مســاعد بن ســعود بن عبــدالعزيز بن عبــدالرحمن بن فيصـل بن تـركي بن عبداللـه بن محمـد بن سـعود) في كتابِـه (هـلْ هنـاك كُفَّارٌ مَـدَنِيُّون؟ أو أَبْرِيَـاءُ؟): لا يُوجَـدُ شَرْعًا كافرٌ بَرِيءٌ، كما لا يُوجَدُ شَـرْعًا مُصْـطَلَحُ (مَـدَنِيّ) وليس له حَظٌّ في مُفْرَداتِ الفقهِ الإسلاميِّ... ثم قالَ - أي الشيخُ الطرهـوني-: الأصـلَ حِـلُّ دَمِ الكـافِرِ ومالِـه - وأَنَّه لا يُوجَدُ كافرٌ بَرِيءٌ ولا يُوجَـدُ شـيءٌ يُسَـمَّى (كـافِر مَـدَنِيّ)- إلَّا مـا اِسـتَثناه الشـارِعُ في شَـرِيعَتِنا. انتهى. وقالَ الْمَاوَرْدِيُّ (ت450هـ) في (الأحكـام السـلطانية): وَيَجُـوزُ لِلْمُسْـلِمِ أَنْ يَقْتُـلَ مَنْ ظَفِـرَ بِــهِ مِنْ مُقَاتِلَــةِ [المُقَاتِلَةُ هُمْ مَن كانوا أَهْلًا للمُقاتَلةِ أو لِتَدبِيرِها، سَـوَاءٌ كـانوا عَسْـكَرِيِّين أو مَـدَنِيِّين؛ وأمَّا غـيرُ المُقَاتِلـةِ فَهُمُ المـرأةُ، والطِّفْـلُ، وَالشَّـيْخُ الهَـرِمُ، وَالـزَّمِنُ (وهو الإنسـانُ المُبْتَلَى بعاهـةٍ أو آفـةٍ جَسَـدِيَّةٍ مُسـتمِرَّةٍ تُعْجِـــزُه عنِ القتـــالِ، كَـــالْمَعْتُوهُ وَالأَعْمَى والأَعْـــرَجُ والمَفْلُوجُ "وهو المُصـابُ بالشَّـلَلِ النِّصْـفِيِّ" والْمَجْـذُومُ "وهـو المُصـابُ بالْجُـذَام وهـو داءٌ تَتَسـاقَطُ أعضـاءُ مَن يُصـابُ بـه" والأَشَـلُّ ومـا شـابَهَ)، وَنَحْـوُهِمْ] الْمُشْـرِكِينَ مُحَارِبًـا وَغَيْـرَ مُحَـارِبٍ [أيْ سَـوَاءٌ قاتَـلَ أم لم يُقاتِـلْ]. انتهى. وقالَ الشيخُ يوسف العييري في (حقيقة الحرب الصليبية الجديدة): فالدُّوَلُ تَنقَسِمُ إلى قِسـمَين، قِسـمٌ حَـرْبِيٌّ (وهـذا الأصـلُ فيها)، وقِسـمٌ مُعاهَـدٌ؛ قـالَ ابنُ القيم في (زاد المعاد) واصِفًا حالَ الرسـولِ صـلى اللـه عليه وسلم بعدَ الهجرةِ، قالَ {ثُمَّ كَـانَ الْكُفَّارُ مَعَـهُ بَعْـدَ الأَمْـرِ بِالْجِهَـادِ ثَلَاثَـةَ أَقْسَـامٍ، أَهْـلُ صُـلْحٍ وَهُدْنَـةٍ، وَأَهْـلُ حَرْبٍ، وَأَهْلُ ذِمَّةٍ}، والدُّوَلُ لا تَكُونُ ذِمِّيَّةً، بَـلْ تكـونُ إمَّا حَرْبِيَّةً أو مُعاهَـدةً، والذِّمَّةُ هي في حَـقِّ الأفـرادِ في دارِ

الإسلامِ، وإذا لم يَكُنِ الكافرُ مُعاهَدًا ولا ذِمِّيًّا فإنَّ الأصلَ فيه أنَّه حَرْبِيٌّ حَلَالُ الدَمِ، والمالِ، والعِرْضِ [بِالسَّبْيِ]. انتهى] فهذا لَيْسَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ إِلَّا السَّيْفُ وإظهارُ العَدَاوةِ والبَغْضاءِ له؛ وإِمَّا أنْ يكونَ ليس بِمُحارِبٍ لنا ولا مُشارِكٍ للمُحارِبِين، فهذا إِمَّا أنْ يكونَ ذِمِّيًّا أو مُستَأْمَنًا أو بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ عَهْدٌ، فهذا يَجِبُ مُراعاة العَهْدِ الذي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ، فيُحْقَنُ دَمُه، ولا يَجُوزُ التَّعَدِّي عليه، وتُؤدَّى حُقوقُه إنْ كان جارًا، ويُزَارُ إنْ كان مريضًا، وتُجابُ دَعْوَتُه، بشرطِ دَعْوَتِه للإسلامِ في كُلِّ هذه الحالاتِ وعَدَمِ الحُضورِ معه في مكانٍ يُعصَى اللهُ فيه، وبِغَيْرِ هذَيْنِ الشَّرطَيْنِ لا يَجُوزُ مُخالَطَتُه والأُنْسُ معه، فصِيَانَةُ الدِّينِ والقَلْبِ أَوْلَى وأَحْرَى، بلْ أُمِرْنا عند دَعْوَتِهم بمُجادَلَتِهم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ، كما قالَ جَلَّ وعَلَا {وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}، وقال عمَّن لم يُقاتِلْنا {لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} [سُئِلَ في هذا الرابط مَرْكَزُ الفتوى بموقع إسلام ويب التابعُ لإدارةِ الدعوةِ والإرشادِ الدينيِّ بوزارةِ الأوقافِ والشؤونِ الإسلاميةِ بدولةِ قطر: وَدِدْتُ أنْ أطْرحَ سؤالًا حَوْلَ هذه الآيَةِ الكَرِيمةِ {لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ}، السُّؤَالُ هُوَ، مَن هي هذه الفِئَةُ -المَذكورةُ في الآيَةِ- التي نُبِرُّها ونُقْسِطُ إليها؟. فأجابَ مَرْكَزُ الفتوى: للعُلَماءِ كلَامٌ طويلٌ حولَ هذه الآيَةِ؛ فذَهَبَتْ طائفةٌ منهم إلى أنَّها مَنسوخةٌ بآيَةِ السَّيْفِ التي في سُورَةِ التَّوبةِ {فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ}؛ وذَهَبَتْ طائفةٌ أُخْرَى إلى أنَّها مُحْكَمةٌ، أَيْ غيرُ مَنسوخةٍ، وأنَّ المُرادَ بها الْكُفَّارُ الْمُعَاهَدُونَ أَوِ الذِّمِّيُّون، الذِين لم يُحارِبوا المُسلِمِين ولم يُعِينُوا على

حَرْبِهم، ومَعْنَى {تُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ} تُعْطُـوهم قِسْـطًا مِن أمــوالِكم على وَجْـهِ الصِّــلَةِ [أَيِ البِــرِّ والإِحْسَــانِ]، أَمَّا تَهْنِئَتُهم بأَعْيَــادِهم وصُـحْبَتُهم ومَحَبَّتُهم فهـذه لا تَجُـوزُ بحالٍ، فالكافِرُ بطَبِيعَتِه مُحـارِبٌ لِرَبِّه، ولا تَجْتَمِـعُ مَوَدَّتُـه في القَلْبِ مع الإيمانِ باللهِ جَلَّ وعَلَا، يقولُ [تَعالَى] {لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُـونَ بِاللَّهِ وَالْيَـوْمِ الْآخِـرِ يُـوَادُّونَ مَنْ حَـادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْـوَانَهُمْ أَوْ عَشِــيرَتَهُمْ}، ولِأَنَّ في تَهْنِئَتِهم بأَعْيَــادِهم إِقــرارًا لهم على ما هُمْ عليه مِن باطلٍ، بلْ والرِّضَا بـذلك، ولا يَشُـكُّ مُسلِمٌ في أنَّ الرِّضَا بالكُفرِ كُفرٌ. انتهى باختصار. وقالَ الشيخُ سليمانُ بنُ عبدالله بن محمد بن عبـدالوهاب في (أوثــق عــرى الإيمــان، بتحقيــق الشــيخ الوليــد بن عبدالرحمن آل فريان): أَمَّا قَولُه تَعالَى {لا يَنْهَـاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ...} الآيَةَ، فإنَّ معناهــا أنَّ اللــهَ لا يَنْهَى المُـؤْمِنِين عن بِـرِّ مَن لم يُقـاتِلْهم مِنَ الضُّعَفاءِ والمَساكِينِ -كالنِّساءِ والصِّبْيَانِ- في أَمْرِ الدُّنْيَا، كإعطــائِهم إذا سَــأَلُوك ونحــوِ ذلــك، وأَمَّا مُــوَالَاتُهم ومَحَبَّتُهم وإكرامُهم فَلَمْ يُرَخِّصِ اللهُ تعالى في ذلك، بلْ شَــدَّدَ في [النَّهْيِ عن] مُــوَالَاةِ الكفــارِ مِنَ اليَهُــودِ والنَّصَارَى ولو كـانوا أهـلَ ذِمَّةٍ، حـتى نَهَى النـبيُّ صـلى اللهِ عليه وسلم عن بَدَاءَتِهم بالسلامِ والتَّوْسِعةِ لهم في الطَّرِيقِ، وقـالَ {لَا تَبْـدَءُوا الْيَهُـودَ وَالنَّصَـارَى بِالسَّلَامِ، وَإِذَا لَقِيتُمُـوهُمْ فِي طَرِيـقٍ فَاضْـطَرُّوهُمْ إِلَى أَضْـيَقِهِ}، وهكذا حالُ المُعاهَدِ، فأَمَّا الكافرُ الحَرْبِيُّ والمُرْتَـدُّ فـأَيْنَ الرُّخْصَـةُ في شـيءٍ مِن ذلـك؟!، وقـد نَصَّ على أنَّ هـذه الآيَــةَ [أَيْ قَولَــه تَعــالَى {لا يَنْهَـاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ...} الآيَةَ] في النِّسـاءِ ونحـوِهم ابنُ كثيرٍ. انتهى. وقالَ الشـيخُ ناصـرُ بنُ محمـد الأحمـد في خُطْبَةٍ له بعنوان (مسـائل في الـولاء والـبراء) موجـودة على هذا الرابط: ويَقَعُ الخَلْطُ واللَّبْسُ أحيانًا بين حُسْــنِ

المُعامَلةِ مع الكُفَّارِ غيرِ الحَـربِيِّين [الكـافِرُ الحَـرْبِيُّ هـو الذي لا عَهْدَ له ولا ذِمَّةَ ولا أمانَ، سَوَاءٌ كـانَ عَسْـكَرِيًّا أو مَـدَنِيًّا] وبُغْضِ الكفـارِ والبَـراءةِ منهم، ويَتَعَيَّنُ مَعْرِفـةُ الفَـرْقِ بينهما، فحُسِـنُ التعامُـلِ معهم أَمْـرٌ جـائزٌ، وأمَّا بُغْضُهم وعداوتُهم فأَمْرٌ آخَرُ، فاللهُ جَلَّ وتعالى مَنَـعَ مِنَ التَّوَدُّدِ لأهلِ الذِّمَّةِ بقولِه {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُـوا لَا تَتَّخِـذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَـدْ كَفَـرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ}، فمَنَعَ المُوَالاةَ والتَّوَدُّدَ، وقالَ في الآيَةِ الأُخرَى {لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الـــدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُـــوكُمْ مِنْ دِيَـــارِكُمْ أَنْ تَبَـــرُّوهُمْ}، فَالإِحْسَانُ لِأَهْـلِ الذِّمَّةِ مَطْلُـوبٌ بينمـا التَّوَدُّدُ وَالْمُـوَالاةُ مَنْهِيٌّ عَنْهُمَا، فيَجُوزُ أَنْ نَبَرَّهُمْ بِكُلِّ أَمْرٍ لَا يَكُونُ ظَـاهِرُهُ يَـدُلُّ عَلَى مَـوَدَّاتِ الْقُلُـوبِ، وَلَا تَعْظِيمِ شَـعَائِرِ الْكُفْـرِ، فَمَتَى أَدَّى إلَى أَحَدِ هَذَيْنِ امْتَنَعَ وَصَارَ مِنْ قِبَـلِ مَـا نُهِيَ عَنْهُ، فيجوز الرِّفْقُ بِضَعِيفِهِمْ، وَإِطْعَامُ جَائِعِهِمْ، وَإِكْسَـاءُ عَـارِيهِمْ، وَيَنْبَغِي لَنَـا أَنْ نَسْتَحْضِـرَ فِي قُلُوبِنَا مَـا جُبِلُـوا عَلَيْهِ مِنْ بُغْضِـنَا وَتَكْـذِيبِ نَبِيِّنَـا صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ، وَأَنَّهُمْ لَوْ قَدَرُوا عَلَيْنَا لَاسْتَأْصَلُوا شَأْفَتَنَا وَاسْـتَوْلَوْا عَلَى دِمَائِنَا وَأَمْوَالِنَا، وَأَنَّهُمْ مِنْ أَشَدِّ الْعُصَاةِ لِرَبِّنَا وَمَالِكِنَا عَـزَّ وَجَلَّ. انتهى باختصار]... ثم قالَ -أيِ الشـيخُ الحنيـني-: اِعلَمْ أنَّه يَجُـوزُ في بعضِ الحـالاتِ أنْ تُظْهِـرَ بلِسَـانِك المَـوَدَّةَ، إذا كُنْتَ مُكرَهًـا وتَخْشَـى على نفسِـك، وهـذا فَقَطْ في الظاهِرِ لا في الباطِنِ، بمَعْنَى أنَّك عند الإكراهِ تُظْهِرُ له بلِسَانِك المَوَدَّةَ لا بقَلْبِـك، فـإنَّ قَلْبَـك لا بُـدَّ أنْ يَنْطَوِيَ على بُغضِه وعَدَاوَتِه، كما قالَ جَلَّ وعَلَا {لَّا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُـونَ الْكَـافِرِينَ أَوْلِيَـاءَ مِن دُونِ الْمُـؤْمِنِينَ، وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَـيْءٍ إِلَّا أَن تَتَّقُـوا مِنْهُمْ تُقَـاةً، وَيُحَـذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَـهُ، وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِـيرُ}، قـالَ اِبنُ كثيرٍ رَحِمَه اللهُ [في تَفسِيرِه] {(إِلَّا أَنْ تَتَّقُـوا مِنْهُمْ تُقَاةً) أَيْ إِلَّا مَنْ خَافَ فِي بَعْضِ الْبُلْـدَانِ أَوِ الأَوْقَـاتِ مِنْ

شَرِّهِمْ، فَلَـهُ أَنْ يَتَّقِيَهُمْ بِظَـاهِرِهِ لَا بِبَاطِنِـهِ وَنِيَّتِـهِ، كَمَـا حَكَاهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي الـدَّرْدَاءِ أَنَّهُ قَـالَ (إِنَّا لَنَكْشِـرُ [أَيْ لَنَتَبَسَّــمُ] فِي وُجُــوهِ أَقْــوَامٍ وَقُلُوبُنَــا تَلْعَنُهُمْ)، وَقَــالَ الثَّوْرِيُّ (قَــالَ ابْنُ عَبَّاسٍ "لَيْسَ التَّقِيَّةُ بِالْعَمَــلِ، إِنَّمَــا التَّقِيَّةُ بِاللِّسَانِ")}، وعليه فإنَّه لا يَجُوزُ بحالٍ -حتى في حالِ الإكراهِ- عَمَلُ ما يُوجِبُ الكُفـرَ، كإعانـةِ الكُفَّارِ على المُسـلِمِين ونُصْــرَتِهم عليهم وإفشــاءِ أســرارِهم [أَيْ أسرارِ المُسلِمِين] ونحوِ ذلك، قَالَ اِبْنُ جَرِيرٍ [في (جامع البيانِ في تأويل القرآن)] عِند تَفسِيرِ قولِه [تعالى] (إِلَّا أَنْ تَتَّقُــوا مِنْهُمْ تُقَـاةً) {إِلَّا أَنْ تَكُونُــوا فِي سُــلْطَانِهِمْ فَتَخَــافُوهُمْ عَلَى أَنْفُسِــكُمْ، فَتُظْهِــرُوا لَهُمُ الْوِلَايَـــةَ بِأَلْسِنَتِكُمْ، وَتُضْمِرُوا لَهُمُ الْعَدَاوَةَ، وَلَا تُشَايِعُوهُمْ عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْـرِ، وَلَا تُعِينُـوهُمْ عَلَى مُسْـلِمٍ بِفِعْـلٍ}. انتهى باختصار.

(8)وقــالَ الشــيخُ ســيد قطب في كِتابِــه (مَعــالِمُ في الطريــق): لا بُــدَّ لنــا مِنَ التَّخَلُّصِ مِن ضَــغْطِ المُجتَمَــعِ الجــاهِلِيِّ والتَّصَـــوُّراتِ الجاهِلِيَّةِ والتقاليـــدِ الجاهِلِيَّةِ والقِيَادةِ الجاهِلِيَّةِ، في خاصَّةِ نُفُوسِنا؛ ليستْ مُهِمَّتُنا أَنْ نَصْطَلِحَ [أَيْ نَتَوَافَقَ ولا نَتَخَاصَمَ] مع واقِعِ هذا المجتمَـعِ الجاهلِيِّ، فهو بهذه الصِّفةِ (صِفَةِ الجاهلِيَّةِ)، غَيْـرُ قابِـلٍ لِأَنْ نَصْـطَلِحَ معه، إنَّ مُهِمَّتَنــا أنْ نُغَيِّرَ مِن أَنْفُسِــنا أَوَّلًا لِنُغَيِّرَ هذا المجتمـعَ أخـيرًا، إنَّ مُهِمَّتَنـا الأولى هي تغيـيرُ واقِـعِ هـذا المجتمـع، مُهِمَّتُنـا هي تغيـيرُ هـذا الواقـع الجاهلي مِن أساسِه، هذا الواقعُ الذي يَصطدمُ اصطدامًا أساسِيًّا بالمنهجِ الإسلاميِّ وبالتَّصَـوُّرِ الإسـلامِيِّ، والـذي يَحْرِمُنا بالقَهْرِ والضَّـغْطِ أنْ نَعِيشَ كمـا يريـدُ لنـا المنهجُ الإلَهِيُّ أنْ نَعِيشَ؛ إنَّ أُولَى الخطـواتِ إلى طريقنــا هي أن نَسْــتَعْلِيَ على هـــذا المجتمَــعِ الجــاهليِّ وقِيَمِــه وتَصُوُّراتِه، وأَلَّا نُعَدِّلَ في قِيَمِنا وتَصَوُّراتِنا قليلًا أو كثيرًا

لِنَلْتَقِيَ معه في مُنْتَصَفِ الطريقِ، كَلَّا، إنَّنا وإيَّاه على مَفْرِقِ الطريقِ، وحين نُسايِرُه خطوةً واحدةً فإننا نَفْقِدُ المنهجَ كلَّه ونَفْقِدُ الطريقَ [قالَ ابنُ تيميةَ في (بيان تلبيس الجهمية): إنَّ دُعاةَ الباطلِ المُخالِفِين لِمَا جاءَتْ به الرُّسُلُ يَتَدَرَّجون مِنَ الأسهلِ والأقْرَبِ إلى مُوَافَقةِ الناسِ إلى أنْ يَنْتَهُوا إلى هَدْمِ الدِّينِ. انتهى]؛ وسَنَلْقَى في [سَبِيلِ] هذا عَنَتًا ومَشَقَّةً، وستُفْرَضُ علينا تَضْحِيَاتٌ باهِظةٌ، ولكننا لَسْنَا مُخَيَّرِين إذا نحن شِئْنَا أنْ نَسْلُكَ طريقَ الجِيلِ الأوَّلَ [أيْ جِيلِ الصحابةِ] الذي أقَرَّ اللهُ به منهجَه الإلهيَّ ونَصَرَه على منهجِ الجاهليةِ... ثم قالَ -أيِ الشيخُ سيد قطب-: إنَّ نِظَامَ اللهِ خَيْرٌ في ذاتِه، لأنه مِن شَرْعِ اللهِ، ولن يكونَ شَرْعُ العبيدِ يومًا كشَرْعِ اللهِ، ولكنْ هذه ليستْ قاعِدةَ الدعوةِ، إنَّ قاعدةَ الدعوةِ أنَّ قَبُولَ شَرْعِ اللهِ وحده -أيًّا كانَ- هو ذاتُه الإسلامُ، وليس للإسلامِ مَدْلُولٌ سِوَاهُ، فمن رَغِبَ في الإسلامِ ابتداءً فقد فَصَلَ في القَضِيَّةِ، ولم يَعُدْ بحاجَةٍ إلى تَرغِيبِه بجمالِ النظامِ وأفْضَلِيَّتِه، فهذه إحدى بَدِيهِيَّاتِ الإيمانِ... ثم قالَ -أيِ الشيخُ سيد قطب-: الإسلامُ لم يَكُنْ يَمْلُكُ أنْ يَتَمَثَّلَ في (نَظَرِيَّةٍ) مُجَرَّدةٍ، يَعْتَنِقُها مَن (يَعْتَنِقُها اعتقادًا ويُزَاوِلُها عِبَادةً)، ثم يَبْقَى مُعتنِقوها على هذا النحوِ أفرادًا ضِمْنَ الكيانِ العُضْوِيِّ للتَّجَمُّعِ الحَرَكِيِّ الجاهليِّ القائمِ (فِعْلًا)، فإنَّ وُجُودَهم على هذا النحوِ -مَهْمَا كَثُرَ عَدَدُهم- لا يُمْكِنُ أن يُؤَدِّيَ إلى وُجُودٍ (فِعْلِيٍّ) للإسلامِ، لِأنَّ الأفرادَ (المسلِمين نَظَرِيًّا) الدَّاخِلِين في التركيبِ العُضْوِيِّ للمجتمَعِ الجاهليِّ سَيَظَلُّون مُضْطَرُّون حَتْمًا للاستجابةِ لِمَطَالِبِ هذا المُجتمَعِ العُضْوِيِّ، سيَتَحَرَّكون -طَوْعًا أوْ كَرْهًا، بِوَعْيٍ أو بغير وَعْيٍ- لِقَضاءِ الحاجاتِ الأساسيَّةِ لِحَيَاةِ هذا المُجتمَعِ الضروريَّةِ لِوُجودِه، وسيُدافِعون عن كِيَانِه، وسَيَدْفَعُون [أيْ سيُنَحُّون ويُبْعِدون ويَرُدُّون] العَوَامِلَ

التي تُهَدِّدُ وُجودَه وكِيَانِـه، لِأنَّ الكـائنَ العُضْـوِيَّ [للتَّجَمُّعِ الحَرَكِيِّ الجـاهِلِيِّ] يَقُـومُ بهـذه الوظـائفِ بكُـلِّ أعضـائه سَـوَاءٌ أرادوا أَمْ لم يُرِيـدوا، أَيْ أنَّ الأفـرادَ (المسـلِمِين نظريًّا) سَـيَظَلُّون يَقُومـون بتَقْوِيَـةِ المجتمَـعِ الجاهِلِيِّ الذي يَعْمَلون (نظريًّا) لإزالَتِه، وسَيَظَلُّون خَلَايَـا حَيَّةً في كِيَانِـه تُمِـدُّه بعناصِـرِ البَقَـاءِ والامتـدادِ!، وسَـيُعْطُونه كِفايَـاتِهم [أَيْ كَفَـاءَاتِهم] وخِبْـراتِهم ونشاطَهم لِيَحْيَا بها ويَقْـوَى!، وذلـك بَـدَلًا مِن أنْ تكـونَ حَرَكَـاتُهم في اتِّجَـاهِ تَقْـوِيضِ هـذا المجتمَـعِ الجـاهلِيِّ لإقامةِ المجتمَعِ الإسلاميِّ؛ ومِن ثَمَّ لم يَكُنْ بُدٌّ أنْ تَتَمَثَّلَ القاعـدةُ النظريَّةُ للإسـلامِ (أيِ العقيـدةُ) في تَجَمُّعٍ عُضْوِيٍّ حركيٍّ منذ اللحظـة الأولى [قـالَ الشـيخُ حسـين بن محمود في كتابِه (مراحِل التطوُّر الفِكْـريّ في حيـاة سيِّد قُطْب): لقد ذَكَـرَ سَـيِّد قطب رحمـه اللـهُ مُصْـطَلَحَ (الإسـلام الحَـرَكِيّ) في مَوَاضِـعَ كثـيرةٍ مِن كُتُبِـه، وهـو يَقصِدُ بهذا المصطلحِ عَدَمَ الاكتفاءِ بالنَّظَرِ في النُّصوصِ دُونَ العَمَـلِ بهـا، وقـال في مُقَدِّمـة كتابـه (مُقَوِّمَـات التصوُّر الإسلامي) {إن طبيعة هذا الدِّين تَرْفُضُ اختزالَ المعـارف البـاردة في ثلاجـات الأذهـان الجامـدة، إن المعرفـة في هـذا الـدِّين تتحـوَّلُ لِتَوِّهَـا إلى حَرَكَـةٍ وإلا فهي ليسـت مِن جنس هـذا الـدِّين، وحين كـان القـرآنُ يَتَنَزَّلُ، لم يَتَنَزَّل بتَوْجِيهٍ أو حُكْمٍ إلا لتنفيذه لِسـاعَتِه، أي ليكون عنصرًا حَرَكِيًّا في المجتمعِ الحَيِّ}؛ لقد كان سَـيِّدٌ يُنْتَقَدُ كثيرا مِنَ الصُّوفِيَّةِ وأهلِ الإرجاءِ، الذِين لم يكونوا يُحَرِّكُون ساكِنًا لِنُصرةِ الدِّينِ، فكان سَيِّدٌ رحمه الله يُجَدِّدُ فيهم رُوحَ الدِّينِ بِدَفْعِهم للعَمَلِ بالكتـاب والسُّـنَّة، وهـو بذلك يقول ما قَالَ السلفُ بأن {الإيمانَ قـولٌ وعمـلٌ}، ولكِنَّه كان يقولُه بتَعبِيرِه هو، فالتعاليم الشرعية ليسـت سَلْبِيَّةً، ولم يَبْعَثِ اللـهُ سـبحانه وتعـالى نبيَّه صـلى اللـه عليـه وسـلم لِيُعَلِّم النـاسَ القُعـودَ والاكتفـاءَ بـالعلومِ

النظريَّةِ دُونَ التطبيقِ العملِيِّ، وهذا هو (الإسلامُ الحركِيُّ) الذي يَقْصِدُه سَيِّدٌ رحمه الله... ثم قالَ -أي الشيخُ حسين بن محمود-: بَعْدَ أنْ نَخَرَ في الأُمَّةِ رُوحُ الإرجاءِ والتَّصَوُّفِ السلبيِّ أَتَى سَيِّدٌ رحمه الله لِيُحَطِّمَ هذا الجانبَ السلبيَّ في المسلِمِين ويَنْشُرَ فيهم قولَ الله تعالى {الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ}، ويقولَ لهم بأن الإيمانَ مقرونٌ بالعمل الصالح، ولا إيمانَ بلا عملٍ، ومِنَ العملِ ما يَنقُضُ الإيمانَ، كالشِّرْكِ بالله، ومِن أعظمِ الشِّركِ شِركُ الحاكمِيَّةِ الذي هو دليلٌ واضحٌ على عَدَمِ رِضَا المخلوقِ بما حَكَمَ الخالِقُ، فهذه الدساتيرُ وهذه القوانينُ والمحاكمُ وهؤلاء القضاةُ وهذه المؤسساتُ وتلك الأموالُ التي تُنْفَقُ على التَّحَاكُمِ لغيرِ شرعِ اللهِ هي في حقيقتِها تَحَدٍّ صارِخٌ لأُلُوهِيَّةِ اللهِ؛ ودَعْوةُ (الحَرَكةِ) التي دَعَا إليها سَيِّدٌ رحمَه اللهُ هي دعوةٌ إلى إحياءِ الدِّينِ في قُلوبِ الناسِ وعقولِهم وفي حياتِهم، عَمَلًا بقولِ اللهِ تعالى {قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}، فلا يَكتفِي الإنسانُ بالصلاة والزكاة والصوم والحج، بل يجبُ أنْ تكونَ حياتُه كلُّها لله رب العالمين، بل حتى مَمَاته لله، فيَحْيَا حياةً شرعيةً كاملةً، ويموتُ في سبيل إعزاز دِين الله. انتهى باختصار]، لم يَكُنْ بُدٌّ أنْ يَنْشَأَ تجمُّعٌ عُضْوِيٌّ حَرَكِيٌّ آخَرُ غيرُ التجمُّعِ الجاهليِّ، مُنْفَصِلٌ ومُستَقِلٌّ عَنِ التجمُّعِ العضويِّ الحركيِّ الجاهليِّ الذي يَستهدفُ الإسلامُ إلغاءَه؛ وأن يكون مِحْوَرُ التجمُّعِ الجديدِ هو القِيَادةُ الجديدة المتمثلة في رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومِن بَعْدِه في كلِّ قِيَادةٍ إسلاميةٍ تَستهدفُ رَدَّ الناسِ إلى أُلُوهِيَّةِ اللهِ وحده ورُبُوبِيَّتِه وقِوَامَتِه وحاكِمِيَّتِه وسُلطانِه وشَرِيعتِه؛ وأنْ يَخْلَعَ كُلُّ مَن يَشْهَدُ أنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وأنَّ محمدا رسولُ اللهِ وَلَاءَه مِنَ التجمُّعِ الحركيِّ الجاهليِّ (أي التجمُّعِ الذي جاء منه)،

ومِن قِيَادةِ ذلك التجمُّعِ (في أيَّةِ صُورةٍ كانت، سَوَاءٌ كانَتْ في صُورةِ قِيَادةٍ دينيَّةٍ مِنَ الكهنةِ والسَّدَنةِ والسَّحَرةِ والعَرَّافِين ومَن إليهم، أو في صُورةِ قِيَادةٍ سياسيَّةٍ واجتماعيَّةٍ واقتصاديَّةٍ كالتي كانت لقُرَيشٍ)، وأنْ يَحْصُرَ وَلَاءَه في التجمع العضوي الحركي الإسلامي الجديد، وفي قِيَادتِه المسلمةِ؛ ولم يَكُنْ بُدٌّ أنْ يَتحقَّقَ هذا منذ اللحظة الأولى لِدُخولِ المسلمِ في الإسلامِ، ولِنُطْقِه بشهادةِ أنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وأنَّ محمدا رسولُ اللهِ، لِأنَّ وُجُودَ المجتمَعِ المسلمِ لا يَتَحَقَّقُ إلَّا بهذا، لا يَتَحَقَّقُ بمجردِ قيامِ القاعدةِ النظريَّةِ في قُلوبِ أفرادٍ - مَهْمَا تَبْلُغُ كَثْرَتُهم- لا يَتَمَثَّلون في تجمُّعٍ عضويٍّ مُتَناسِقٍ مُتَعَاوِنٍ له وُجُودٌ ذاتِيٌّ مُسْتَقِلٌّ يَعْمَلُ أعضاؤه عَمَلًا عُضْوِيًّا (كأعضاءِ الكائنِ الحَيِّ) على تأصيلِ وُجودِه وتعميقِه وتوسيعِه، وفي الدِّفاعِ عن كِيَانِه ضدَّ العواملِ التي تُهاجِمُ وُجودَه وكِيَانَه، ويعملون هذا تحت قيادةٍ مستقلةٍ عن قيادةِ المجتمَعِ الجاهليِّ تُنَظِّمُ حَرَكَتَهم وتُنَسِّقُها وتُوَجِّهُهم لتأصيلِ وتعميقِ وتوسيعِ وُجُودِهم الإسلاميِّ ولِمُكافَحةِ ومُقاوَمةِ وإزالةِ الوُجودِ الآخرِ الجاهليِّ؛ وهكذا وُجِدَ الإسلامُ، هكذا وُجِدَ مُتَمثِّلًا في قاعدةٍ نظريَّةٍ يَقُومُ عليها في نَفْسِ اللحظةِ تجمُّعٌ عضويٌّ حركيٌّ، مُستقِلٌّ مُنفصِلٌ عنِ المجتمَعِ الجاهليِّ ومُوَاجِهٌ لهذا المجتمَعِ، ولم يُوجَدْ قط في صورةٍ (نظريَّةٍ) مجردةٍ عن هذا الوُجُودِ (الفِعْلِيِّ)، وهكذا يُمْكِنُ أن يُوجدَ الإسلامُ مَرَّةً أخرَى، ولا سبيلَ لإعادة إنشائه في المجتمَعِ الجاهليِّ في أيِّ زمانٍ وفي أيِّ مَكانٍ بغيرِ الفِقْهِ الضروريِّ لِطَبِيعةِ نَشْأتِه العضويَّةِ الحركيَّةِ... ثم قالَ -أيِ الشيخُ سيد قطب-: الشأنُ الدائمُ أنْ لا يَتَعايَشَ الحقُّ والباطلُ في هذه الأرضِ، وأنه متى قام الإسلامُ بإعلانِه العامِّ لإقامةِ رُبُوبِيَّةِ اللهِ للعالَمِين، وتَحرِيرِ الإنسانِ مِنَ العبوديَّةِ للعِبَادِ، رَمَاه المغتصِبون لِسُلطانِ

اللهِ في الأرضِ ولم يُسالِموه قَطُّ، وانْطَلَقَ هو كذلك يُدَمِّرُ عليهم لِيُخرِجَ الناسَ مِن سُلطانِهم ويَدْفَعُ عن الإنسانِ في الأرضِ ذلك السلطانَ الغاصِبَ، حالةٌ دائمةٌ لا يَقِفُ معها الانطلاقُ الجِهاديُّ التحريريُّ حتى يكونَ الدِّينُ كُلُّه للهِ... ثم قالَ -أي الشيخُ سيد قطب-: وحين تكونُ آصِرةُ [أَيْ رابِطةُ] التجمُّعِ الأساسِيَّةُ في مجتمَعٍ هي العقيدةَ والتَّصَوُّرَ والفكرةَ ومنهجَ الحياةِ، ويكونُ هذا كلُّه صادرًا مِن إلهٍ واحدٍ تَتَمَثَّلُ فيه السِّيَادةُ العُلْيَا للبشرِ، وليس صادرًا مِن أَرْبَابٍ أرْضِيَّةٍ تَتَمَثَّلُ فيها عُبُودِيَّةُ البشرِ للبشرِ، يكونُ ذلك التجمعُ مُمَثِّلًا لِأعْلَى ما في الإنسانِ مِن خصائصَ، خصائصِ الرُّوحِ والفكرِ؛ فأمَّا حين تكونُ آصِرةُ التجمع في مجتمعٍ هي الجنسَ واللونَ والقَومَ والأرضَ، وما إلى ذلك مِنَ الروابطِ، فظاهِرٌ أنَّ الجنسَ واللونَ والقَومَ والأرضَ لا تُمَثِّلُ الخصائصَ العُلْيَا للإنسان، فالإنسان يَبْقَى إنسانًا بعدَ الجنسِ واللونِ والقَومِ والأرضِ، ولكنَّه لا يَبْقَى إنسانًا بعدَ الرُّوحِ والفكرِ، ثم هو يَمْلُكُ -بِمَحْضِ إِرَادَتِهِ الحُرَّةِ- أنْ يُغَيِّرَ عقيدتَه وتَصَوُّرَه وفِكْرَه ومنهجَ حياتِه، ولكنه لا يَمْلُكُ أنْ يُغَيِّرَ لونَه ولا جنسَه، كما إنَّه لا يَمْلُكُ أنْ يُحَدِّدَ مَوْلِدَه في قَوْمٍ ولا في أرضٍ؛ فالمجتمَعُ الذي يَتَجَمَّعُ فيه الناسُ على أمرٍ يَتعلَّقُ بإرادتهم الحُرَّةِ واختيارِهم الذاتِيِّ هو المجتمَعُ المُتَحَضِّرُ، أمَّا المجتمَعُ الذي يَتَجَمَّعُ فيه الناسُ على أمرٍ خارِجٍ عن إرادتِهم الإنسانيَّةِ فهو المجتمَعُ المُتَخَلِّفُ، أو بالمصطلحِ الإسلاميِّ هو المجتمعُ الجاهليُّ؛ والمجتمَعُ الإسلامِيُّ وحده هو المجتمَعُ الذي تُمَثِّلُ فيه العقيدةُ رابِطةَ التجمُّعِ الأساسيةِ، والذي تُعْتَبَرُ فيه العقيدةُ هي الجنسيَّةُ التي تَجْمَعُ بين الأسودِ والأبيضِ والأحمرِ والأصفرِ والعربيِّ والروميِّ والفارسيِّ والحبشيِّ وسائرِ أجناسِ الأرضِ، في أُمَّةٍ واحدةٍ، رَبُّها اللهُ، وعُبُودِيَّتُها له وحده، والأكرمُ فيها هو

الأَتْقَى... ثم قـالَ -أَيِ الشـيخُ سـيد قطب-: ليسـتْ وظيفةُ الإسلام أنْ يَصْطَلِحَ [أَيْ يَتَوَافَقَ ولا يَتَخاصَمَ] مع التصـورات الجاهليـة السـائدة في الأرض، ولا الأوضـاعِ الجاهليةِ القائمةِ في كـلِّ مكـانٍ، لم تكن هـذه وظيفتَـه يـومَ جـاءَ، ولن تكـون هـذه وظيفتَـه اليـومَ ولا في المستقبَلِ؛ فالجاهليةُ هي الجاهليـةُ، هي الانحـرافُ عن العبوديـة للـه وحـده وعنِ المنهجِ الإلهيِّ في الحيـاةِ، واسـتنباطُ النُّظُمِ والشـرائعِ والقـوانينِ والعـاداتِ والتقاليدِ والقِيَمِ والموازينِ مِن مَصْدَرٍ آخر غيرِ المصـدرِ الإلهيِّ؛ [وَ]الإسـلامُ هـو الإسـلامُ، ووظيفتُـه هي نَقْـلُ الناسِ مِنَ الجاهليةِ إلى الإسـلامِ؛ الجاهليـةُ هي عبوديـةُ الناسِ للناسِ، بتشريعِ بعضِ الناسِ للناسِ ما لم يَأْذَنْ به اللهُ، كائنةً ما كانَتِ الصُّورةُ التي يَتِمُّ بها هـذا التشـريعُ؛ والإسـلامُ هـو عبوديـةُ النـاسِ للـهِ وحـده (بتَلَقِّيهم منـه وحـده تَصَـوُّراتِهم وعقائـدَهم وشـرائعَهم وقـوانينَهم وقِيَمَهم وموازينَهم)، والتَّحَرُّرُ مِن عبوديـةِ العبيـدِ؛ هـذه الحقيقةُ المنبثقةُ مِن طبيعةِ الإسلام وطبيعـةِ دَوْرِه في الأرضِ هي التي يجبُ أنْ نُقَدِّمَ بها الإسلامَ للناس الذِين يؤمنـون بـه والـذِين لا يؤمنـون بـه على السَّـوَاءِ، إنَّ الإسـلامَ لا يَقْبَـلُ أنصـافَ الحُلـولِ مـع الجاهليـةِ، لا مِن ناحِيَةِ التصور، ولا مِن ناحِيَةِ الأوضـاعِ المنبثقـةِ مِن هـذا التصـورِ، فإمَّا إسـلامٌ وإمَّا جاهليـةٌ، وليس هنالـك وَضْـعٌ آخَرُ نِصْفُه إسلامٌ ونِصْفُه جاهليةٌ يَقْبَلُه الإسلامُ ويَرْضَاه، فنَظْرةُ الإسلامِ واضحةٌ في أنَّ الحقَّ واحدٌ لا يَتَعَدَّدُ، وأنَّ ما عَدَا هذا الحَقَّ فهو الضلالُ، وَهُمَا غيرُ قـابِلَين للتَّلَبُّسِ والاِمْتِـزاجِ، وأنَّه إمَّا حُكْمُ اللـهِ وإمَّا حُكْمُ الجاهليـةِ، وإمَّا شـريعةُ اللـه وإمَّا الهَـوَى، والآيـاتُ القرآنيـةُ في هـذا المعنَى كثـيرةٌ... ثم قـالَ -أَيِ الشـيخُ سـيد قطب-: لم يَجِئِ الإسـلامُ لِيُـرَبِّتَ على شَـهَوَاتِ النـاسِ المُمَثَّلـةِ في تَصَوُّراتِهم وأَنْظِمَتِهم وأوضاعِهم وعاداتِهم وتقاليـدِهم،

سَوَاءٌ مِنْهَا مَا عاصَرَ مَجِيءَ الإسلامِ، أو ما تَخُوضُ البشريةُ فيه الآنَ، في الشرقِ أو في الغربِ سَوَاء [المراد بالشرق هو ما يُعْرَفُ بـ (الكتلة الشرقية أو الكتلة الشيوعية أو الكتلة الاشتراكية أو الكتلة السوفييتية أو العالم الشيوعي أو العالم الثاني أو المعسكر الشيوعي أو المعسكر الشرقي أو الجبهة الشرقية)، وهي مجموعة الدول الشيوعية (الاتحاد السوفياتي والصين وأورُوبَّا الشرقية)، أو هي مجموعة الدول التي كانت تدور في فلك الاتحاد السوفياتي؛ وأما المراد بالغرب فهو ما يُعْرَفُ بـ (الكتلة الغربية أو العالم الغربي أو العالم الأول أو العالم الحر أو المعسكر الرأسمالي أو المعسكر الغربي أو الجبهة الغربية أو الدول المتقدمة)، وهي مجموعة الدول الرأسمالية (أَمْرِيكا الشَّمالية وأُورُوبَّا الغربية وأُسْتُرالْيَا واليابان)، أو هي مجموعة الدول التي كانت تدور في فلك الولايات المتحدة الأَمْرِيكِيَّةِ]؛ إنَّما جاءَ لِيُلْغِيَ هذا كلَّه إلغاءً، ويَنْسَخَه نَسْخًا، ويُقِيمَ الحياةَ البشريةَ على أُسُسِه الخاصةِ، جاءَ لِيُنْشِئَ الحَيَاةَ إنشاءً، لِيُنْشِئَ حَيَاةً تَنْبَثِقُ منه انبثاقًا، وتَرْتَبِطُ بِمِحْوَرِه ارتباطًا؛ وقد تُشابِهُ جزئياتٌ منه جزئياتٍ في الحياة التي يَعِيشُها الناسُ في الجاهليةِ، ولكنَّها ليستْ هي وليستْ منها، إنَّما هي مُجَرَّدُ مُصادَفةِ التَّشابُهِ الظاهِريِّ الجانبيِّ في الفُروعِ، أمَّا أَصْلُ الشجرةِ فهو مُخْتَلِفٌ تمامًا، تلك شجرةٌ تُطْلِعُها حِكْمةُ اللهِ، وهذه شجرةٌ تُطْلِعُها أهواءُ البَشَرِ... ثم قالَ -أيِ الشيخُ سيد قطب-: وليس في إسلامِنا ما نَخْجَلُ منه وما نَضْطَرُّ للدفاعِ عنه، وليس فيه ما نَتَدَسَّسُ [التَدَسُّسُ هنا بمعنَى إِخْفَاءِ شيءٍ داخِلَ شيءٍ آخَر] به للناس تَدَسُّسًا أو ما نَتَلَعْثَمُ في الجَهْرِ به على حقيقتِه؛ إنَّ الهزيمةَ الرُّوحِيَّةَ أمامَ الغربِ وأمامَ الشرقِ وأمامَ أوضاعِ الجاهلية هنا وهناك هي التي تَجعَلُ بعضَ الناس

(المسلمِين) يَتَلَمَّسُ للإسلامِ مُوافَقاتٍ جُزئِيَّةً مِنَ النُّظُمِ البشريَّةِ، أو يَتَلَمَّسُ مِن أعمالِ (الحَضَارةِ الجاهليةِ) ما يَسْنُدُ به أعمالَ (الإسلامِ) وقَضَاءَه في بعضِ الأُمُورِ... ثم قالَ -أَيِ الشيخُ سيد قطب-: إنَّه إذا كان هناك مَن يحتاجُ للدفاعِ والتبريرِ والاعتذارِ، فليس هو الذي يُقَدِّمُ الإسلامَ للناسِ، وإنَّما هو ذاك الذي يَحْيَا في هذه الجاهليةِ المُهَلْهَلةِ المَلِيئَةِ بالمُتَناقِضاتِ وبالنَّقائصِ والعُيوبِ، ويُرِيدُ أنْ يَتَلَمَّسَ المُبَرِّراتَ للجاهليةِ، وهؤلاء هُمُ الذِين يُهاجِمون الإسلامَ ويُلْجِئُون بعضَ مُحِبِّيه الذِين يَجْهَلون حَقِيقَتَه إلى الدفاعِ عنه، كأنَّه مُتَّهَمٌ مُضْطَرٌّ للدفاعِ عن نَفْسِه في قَفَصِ الاتِّهامِ!؛ بعضُ هؤلاء كانوا يُواجِهوننا -نحن القَلائِلَ المُنْتَسِبِين إلى الإسلامِ- في أمْرِيكا في السنواتِ التي قَضَيْتُها هناك، وكان بعضُنا يَتَّخِذُ مَوقِفَ الدفاعِ والتبريرِ، وكنتُ على العكسِ أَتَّخِذُ مَوقِفَ المُهاجِمِ للجاهليةِ الغربيةِ، سَوَاءً في معتقداتِها الدينيَّةِ المُهَلْهَلةِ، أو في أوضاعِها الاجتماعيةِ والاقتصاديةِ والأخلاقيةِ المُؤْذِيَةِ... ثم قالَ -أَيِ الشيخُ سيد قطب-: إننا نحن (الذِين نُقَدِّمُ الإسلامَ للناس) ليس لنا أنْ نُجارِيَ الجاهليةَ في شيء مِن تَصَوُّراتِها، ولا في شيء مِن أوضاعِها، ولا في شيء مِن تقاليدِها، مَهْمَا يَشْتَدُّ ضَغْطُها علينا؛ إنَّ وظيفتَنا الأولى هي إحلالُ التَّصوُّراتِ الإسلاميةِ والتقاليدِ الإسلاميةِ في مكانِ هذه الجاهليةِ، ولن يتحققَ هذا بِمُجاراةِ الجاهليةِ والسَّيْرِ معها خطواتٍ في أوَّلِ الطريقِ، كما قد يُخَيَّلُ إلى البعضِ منا، إنَّ هذا معناه إعلانُ الهزيمةِ منذ أوَّلِ الطريقِ؛ إنَّ ضَغْطَ التَّصوُّراتِ الاجتماعيةِ السائدةِ والتقاليدِ الاجتماعيةِ الشائعةِ ضَغْطٌ ساحِقٌ عَنِيفٌ، ولكنْ لا بُدَّ مما ليس منه بُدٌّ، لا بُدَّ أنْ نَثْبُتَ أوَّلًا، ولا بُدَّ أنْ نَسْتَعْلِيَ ثانيًا، ولا بُدَّ أنْ نُرِيَ الجاهليةَ حقيقةَ الدَّرَكِ الذي هي فيه بالقِيَاسِ إلى الآفاقِ العُلْيَا المُشْرِقةِ

للحياةِ الإسلاميةِ التي نُرِيدُها... ثم قالَ -أيِ الشيخُ سيد قطب-: [قالَ تَعالَى] {وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ}، أَوَّلُ ما يَتَبادَرُ إلى الذِّهْنِ مِن هذا التَّوجِيهِ [الذي في الآيَةِ] أنه يَنْصَبُّ على حالة الجهاد المُمَثَّلَةِ في القتالِ، ولكنَّ حقيقةَ هذا التَّوجِيهِ ومَدَاه أكبرُ وأبعَدُ مِن هذه الحالة المُفْرَدةِ بكُلِّ مُلَابَساتِها الكثيرةِ؛ إنَّه يُمَثِّلُ الحالةَ الدائمةَ التي يَنْبَغِي أنْ يكونَ عليها شُعُورُ المُؤْمِنِ وتَصَوُّرُه وتقديرُه للأشياءِ والأحداثِ والقِيَمِ والأشخاصِ سَوَاءً، إنه يُمَثِّلُ حالةَ الاستعلاءِ التي يَجِبُ أن تَستَقِرَّ عليها نَفْسُ المُؤْمِنِ إزاءَ كُلِّ شيءٍ وكُلِّ وَضْعٍ وكُلِّ قِيمةٍ وكُلِّ أَحَدٍ، الاستعلاء بالإيمان وقِيَمِه على جميع القِيَمِ المنبثقة مِن أصلٍ غيرِ أصلِ الإيمان، الاستعلاء على قُوَى الأرضِ الحائدة عن منهج الإيمان، وعلى قِيَمِ الأرضِ التي لَم تَنبَثِقْ مِن أصلِ الإيمانِ، وعلى تقاليد الأرض التي لم يَصُغْها الإيمانُ، وعلى قوانينِ الأرضِ التي لم يُشَرِّعْها الإيمانُ، وعلى أوضاعِ الأرضِ التي لم يُنْشِئْها الإيمانُ، الاستعلاء، مع ضَعْفِ القُوَّةِ وقِلَّةِ العَدَدِ وفَقْرِ المالِ، كالاستعلاء مع القُوَّةِ والكَثْرةِ والغِنَى على السَّوَاءِ، الاستعلاء الذي لا يَتَهاوَى أَمَامَ قُوَّةٍ باغِيَةٍ، ولا عُرْفٍ اجتماعيٍّ، ولا تشريعٍ باطلٍ، ولا وَضْعٍ مقبولٍ عند الناس لا سَنَدَ له مِنَ الإيمانِ؛ وليست حالةُ التَّماسُكِ والثَّباتِ في الجهادِ إلَّا حالةً واحدةً مِن حالاتِ الاستعلاءِ التي يَشمَلُها هذا التَّوْجِيهُ الإلهيُّ العظيمُ... ثم قالَ -أيِ الشيخُ سيد قطب-: إنَّ للمجتمع مَنْطِقَه السائدَ وعُرْفَه العامَّ وضَغْطَه الساحقَ ووَزْنَه الثَّقِيلَ، على مَن ليس يَحْتَمِي منه برُكْنٍ رَكِينٍ، وعلى مَن يُواجِهُه بلا سَنَدٍ مَتِينٍ؛ وللتَّصَوُّراتِ السائدةِ والأفكارِ الشائعةِ إيحاؤهما الذي يَصْعُبُ التَّخَلُّصُ منه بغيرِ الاستقرارِ على حقيقةٍ تَصْغُرُ في ظِلِّها تلك التَّصَوُّراتُ والأفكارُ، و[بغيرِ] الاستمدادِ

مِن مَصدَرٍ أَعْلَى وأَكبَرَ وأَقْوَى؛ والذي يَقِفُ في وَجْهِ المجتمَعِ، ومَنْطِقِه السائدِ، وعُرْفِه العامِّ، وقِيَمِه واعتباراتِه، وأفكارِه وتصوراتِه، وانحرافاتِه ونَزَواتِه، يَشْعُرُ بالغُرْبةِ، كما يَشْعُرُ بالوَهَنِ، ما لم يَكُنْ يَستَنِدُ إلى سَنَدٍ أَقْوَى مِنَ الناسِ، وأَثْبَتَ مِنَ الأرضِ، وأَكْرَمَ مِنَ الحياةِ؛ واللهُ لا يَتْرُكُ المؤمنَ وحيدا يُواجِهُ الضَّغْطَ ويَنُوءُ بـه الثِّقَلُ ويَهُدُّه الوَهَنُ والحُزْنُ، ومِن ثَمَّ يَجِيءُ هذا التَّوجِيهُ {وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ}، يَجِيءُ هذا التَّوجِيهُ لِيُواجِهَ الوَهَنَ، كما يُواجِهُ الحُزْنَ، وهما الشُّعوران المُباشِران اللذان يُساوِران النَّفْسَ في هذا المَقَامِ، يُواجِهُهما بالاستعلاءِ لا بِمُجَرَّدِ الصبرِ والثَّباتِ، الاستعلاء الذي يَنْظُرُ مِن عَلٍ إلى القُوَّةِ الطاغِيَةِ، والقِيَمِ السائدةِ، والتَّصَوُّراتِ الشائعةِ، والاعتباراتِ والأوضاعِ والتقاليدِ والعاداتِ، والجماهيرِ المُتَجَمِّعةِ على الضلالِ؛ إنَّ المُؤْمِنَ هو الأعلَى، الأَعْلَى سَنَدًا ومَصْدَرًا، فما تكونُ الأرضُ كُلُّها؟ وما يكونُ الناسُ؟ وما تكونُ القِيَمُ السائدةُ في الأرضِ؟ والاعتباراتُ الشائعةُ عند الناسِ؟ وهو مِن اللهِ يَتَلَقَّى وإلى اللهِ يَرْجِعُ وعلى مَنْهَجِه يَسِيرُ؟، وهو الأعلى تَصَوُّرًا للقِيَمِ والمَوازِين التي تُوزَنُ بها الحياةُ والأحداثُ والأشياءُ والأشخاصُ، وهو الأعلى ضميرا وشعورا وخُلُقًا وسُلوكا، وهو الأعلى شريعةً ونِظَامًا؛ وحين يُراجِعُ المؤمنُ كُلَّ ما عَرَفَتْه البشريةُ قديمًا وحديثًا ويَقِيسُه إلى شريعتِه ونِظَامِه، فسيراه كُلَّه أَشْبَهَ شيءٍ بمحاولاتِ الأطفالِ وخَبْطِ العُمْيَانِ إلى جانبِ [أَيْ بالنِّسْبةِ إلَى] الشريعةِ الناضجةِ والنِّظَامِ الكامِلِ، وسينظرُ إلى البشرية الضالَّةِ مِن عَلٍ في عَطْفٍ وإشفاقٍ على بُؤْسِها وشِقْوَتِها، ولا يَجِدُ في نَفْسِه إلَّا الاستعلاءَ على الشِّقْوَةِ والضلالِ... ثم قالَ -أَيِ الشيخُ سيد قطب-: و[عندما] يَقِفُ المسلمُ مَوقِفَ المغلوبِ المُجَرَّدِ مِنَ القُوَّةِ

الماديَّةِ، فلا يُفارِقُــه شُــعورُه بأنَّه الأَعْلَى، ويَنْظُــرُ إلى غالِبِــه [أيِ المُتَغَلِّبِ عليــه] مِن عَــلٍ مــا دامَ مُؤْمِنًــا، ويَستَيقِنُ أنَّها فَتْرةٌ وتَمْضِــي وأنَّ للإيمـان كَـرَّةً لا مَفَـرَّ منها، وَهَبْها [أيْ وَاحْسُبْها] كانَتِ القاضِــيَةَ فإنَّه لا يُحْنِي لها رَأْسًا، إنَّ النـاسَ كُلَّهم يَمُوتـون أَمَّا هـو فيَسْتَشْـهِدُ، وهو يُغادِرُ هذه الأرضَ إلى الجَنَّةِ، وغالِبُــه [أيْ وَالمُتَغَلِّبُ عليه] يغادِرُها إلى النارِ، وَشَتَّانَ شَتَّانَ، وهو يسمعُ نِــداءَ رَبِّه الكــــريمِ {لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَــرُوا فِي الْبِلَادِ، مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَـأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ، وَبِئْسَ الْمِهَـادُ، لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَـا الأَنْهَـارُ خَالِـدِينَ فِيهَـا نُـزُلًا مِّنْ عِنـدِ اللَّهِ، وَمَـا عِنـدَ اللَّهِ خَيْـرٌ لِّلأَبْـرَارِ}، وتَسُودُ المجتمـعَ عقائـدُ وتصـوراتٌ وقِيَمٌ وأوضـاعٌ كُلُّهـا مُغـايِرٌ لعقيدتِـه وتَصَـوُّرِه وقِيَمِـه ومَوازِينِـه، فلا يُفارِقُـه شُــعورُه بأنَّه الأعلَى، وبــأنَّ هــؤلاء كُلَّهم في المَوْقِــفِ الدُّونِ، ويَنْظُرُ إليهم مِن عَـلٍ في كَرَامـةٍ واعـتزازٍ، وفي رَحْمـةٍ كـذلك وعَطْـفٍ، ورَغْبـةٍ في هِـدَايَتِهم إلى الخَيْـرِ الذي معه، ورَفْعِهم إلى الأُفُقِ الـذي يعيشُ فيـه؛ ويَضِـجُّ الباطلُ ويَصْخَبُ، ويَرْفَعُ صَوْتَه ويَنْفُشُ رِيشَه، وتُحِيطُ به الهالاتُ المُصْطَنَعةُ التي تَغْشَـي على الأبصـارِ والبَصـائرِ فلا تَرَى ما وراءَ الهالات مِن قُبْحٍ شائهٍ [أيْ قَبِيحٍ] دَمِيمٍ، وفَجْرٍ كالِحٍ [أيْ باهِتٍ] لَئِيمٍ، ويَنْظُرُ المؤمنُ مِن عَلٍ إلى الباطلِ المُنْتَفِشِ، وإلى الجُموعِ المَخدوعـةِ، فلا يَهِنُ ولا يَحْزَنُ، ولا يَنْقُصُ إصرارُه على الحَقِّ الـذي معـه، وثَبَاتُـه على المنهجِ الـذي يَتَّبِعُه، ولا تَضْـعُفُ رَغْبَتُـه كـذلك في هِدايَــةِ الضــالِّين والمخــدوعِين؛ ويَغْـرَقُ المجتمَــعُ في شهواته الهابطة، ويَمْضِي مـع نَزَواتِـه الخَلِيعـةِ، ويَلْصَـقُ بالوَحْلِ والطِّينِ، حاسِبًا أنَّه يَستَمتِعُ ويَنطَلِقُ مِنَ الأغلالِ والقُيودِ، وتَعِزُّ في مِثْـلِ هـذا المجتمَـعِ كُـلُّ مُتْعـةٍ بَرِيئـةٍ وكُـلُّ طَيِّبــةٍ حَلَالٍ، ولا يَبْقَى إلَّا المشــروعُ الآسِــنُ [أيِ النَّتِنُ]، وإلَّا الوَحْلُ والطِّينُ، ويَنْظُرُ المُؤْمِنُ مِن عَلٍ إلى

الغـارِقِين في الوَحْـلِ اللاصِـقِين بـالطِّينِ، وهـو مُفْـرَدٌ وَحِيـدٌ، فلا يَهِنُ ولا يَحْـزَنُ، ولا تُـراوِدُه نَفْسُـه أنْ يَخْلَـعَ رِداءَه النَّظِيفَ الطَّاهرَ ويَنْغَمِسَ في الحَمْأةِ [الحَمْأةُ هي الطِّينُ الأسْوَدُ الْمُنْتِنُ]، وهو الأعلَى بِمُتْعةِ الإيمانِ وَلَـذَّةِ اليَقِينِ... ثم قــالَ -أيِ الشــيخُ ســيد قطب-: ويَقِــفُ المُـؤْمِنُ قابِضًـا على دِينِـه كالقـابضِ على الجَمْـرِ في المجتمعِ الشارِدِ عن الـدِّينِ، وعنِ الفَضِـيلةِ، وعنِ القِيَمِ العُلْيَّا، وعنِ الاهتماماتِ النَّبِيلةِ، وعن كُلِّ مـا هـو طـاهرٌ نظيفٌ جميلٌ، ويَقِفُ الآخَرون هازِئِين بوَقْفَتِه، سـاخِرِين مِن تَصَوُّراتِه، ضاحِكِين مِن قِيَمِه، فما يَهِنُ المُؤْمِنُ وهـو يَنْظُـرُ مِن عَـلٍ إلى السـاخِرِين والهـازِئِين والضـاحِكِين، وهو يقـولُ -كمـا قـالَ واحـدٌ مِنَ الرَّهْـطِ الكِـرَامِ الـذِين سَــبَقُوه في مَــوْكِبِ الإيمــانِ العَرِيــقِ الوَضِــيءِ [أيِ المُشْرِقِ]، في الطَّرِيقِ اللَّاحِبِ [أيِ الواضـحِ المسـتقيمِ] الطَّوِيلِ، [وهو] نُوحٌ عليه السلامُ- {إِن تَسْـخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْـخَرُونَ}، وهـو يَـرَى نِهَايَـةَ المَـوْكِبِ الوَضِيءِ، ونِهَايَةَ القافِلةِ البائسةِ، في قولِـه تعـالى {إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ، وَإِذَا مَـرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ، وَإِذَا انقَلَبُـوا إِلَى أَهْلِهِمُ انقَلَبُـوا فَكِهِينَ، وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ، وَمَـا أُرْسِـلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ، فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ، عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُونَ، هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَـا كَـانُوا يَفْعَلُـونَ}... ثم قالَ -أيِ الشـيخُ سـيد قطب-: إنَّ المُـؤْمِنَ لا يَسـتَمِدُّ قِيَمَه وتَصَوُّراتِه وموازِينَـه مِنَ النـاس حـتى يَأسَـى على تَقْدِيرِ الناسِ، إنما يَستَمِدُّها مِن رَبِّ النـاسِ وهـو حَسْـبُه وكافِيه؛ إنه لا يَستَمِدُّها مِن شَهَواتِ الخَلْقِ حتى يَتَـأَرْجَحَ مـع شَـهَواتِ الخَلْـقِ، وإنَّمـا يَسـتَمِدُّها مِن مِـيزانِ الحـقِّ الثابتِ الذي لا يَتَأَرْجَحُ ولا يَمِيـلُ، فـأَنَّى يَجِـدُ في نَفْسِـه وَهَنًا أو يَجِدُ في قَلْبِـه حُزْنًـا وهـو موصـولٌ بـرَبِّ النـاسِ ومِـيزانِ الحـقِّ؟، إنَّه على الحـقِّ، فمـاذا بعـدَ الحـقِّ إلَّا

الضـــلالُ؟، وَلْيَكُنْ للضـــلالِ سُـــلْطانُه، وَلْيَكُنْ لـــه هَيْلُـــه وهَيْلَمَانُـــه [المُـــرادُ بالهَيْـــلِ والهَيْلَمـــانِ المـــالُ الكثـــيرُ]، وَلْتَكُنْ معه جُمُوعُه وجَماهِيرُه، إنَّ هـذا لا يُغَيِّرُ مِنَ الحـقِّ شيئًا، إنَّه [أَيِ المُـؤمِنَ] على الحـقِّ وليس بعـدَ الحـقِّ إلَّا الضـلالُ، ولن يَخْتـارَ مُـؤمِنٌ الضـلالَ على الحـقِّ -وهـو مُـؤمِنٌ- ولن يَعْـدِلَ بـالحقِّ الضـلالَ كائنـةً مـا كـانَتِ المُلابَساتُ والأحوالُ... ثم قالَ -أيِ الشيخُ سـيد قطب-: إنَّ قِصَّةَ أصحابِ الأُخْدُودِ -كما وَرَدَتْ في سُورَةِ البُـرُوجِ- حَقِيقَةٌ بأنْ يَتَأَمَّلَها المؤمنون الداعُّون إلى اللهِ في كُـلِّ أرضٍ وفي كُـلِّ جِيـلٍ، إنَّهـا قِصَّـةُ فِئَةٍ آمَنَتْ برَبِّهـا، وَاسْتَعْلَتْ حَقِيقةَ إيمانِها، ثم تَعَرَّضَتْ للفِتنـةِ مِن أعـداءٍ جَبَّارِين بَطَّاشِين، وقد اِرتَفَعَ الإيمانُ بهذه القُلـوبِ على الفِتنةِ، وانْتَصَرَتْ فيها العقيدةُ على الحَيَـاةِ، فَلَمْ تَرْضَـخْ لِتَهدِيـدِ الجَبَّارِين الطُّغـاةِ، ولم تُفْتَنْ عن دِينِهـا وهي تُحْرَقُ بالنَّارِ حتى تَمُوتَ؛ لقـدْ تَحَـرَّرَتْ هـذه القُلـوبُ مِن عُبُودِيَّتِها للحيـاةِ، فَلَمْ يَسْـتَذِلَّهَا حُبُّ البَقَـاءِ وهي تُعـايِنُ المَـوتَ بهـذه الطَّرِيقـةِ البَشِـعةِ، وانطلقتْ مِن قُيـودِ الأرضِ وجَوَاذِبِهـا جميعًـا وارتَفَعَتْ على ذَوَاتِهـا بانتصـارِ العقيدةِ على الحياةِ فيها [أَيْ في الأرضِ]؛ وفي مُقابِـلِ هـذه القُلـوبِ المُؤمِنـةِ الخَيِّرةِ الرَّفِيعـةِ الكريمـةِ هنـاك جِبِلَّاتٌ جاحِدةٌ شِرِّيرةٌ مُجرِمةٌ لَئِيمةٌ، وجَلَسَ أَصْحابُ هـذه الجِبِلَّاتِ على النَّارِ يَشْـهَدون كيـفَ يَتَعَـذَّبُ المؤمنـون ويَتَأَلَّمون، جلسـوا يَتَلَهَّوْنَ بمَنْظَـرِ الحيـاةِ تَأْكُلُهـا النـارُ، والأَنَاسِيُّ الكِـرامُ يَتَحَوَّلـون وَقُـودًا وتُرَابًـا، وكُلَّمـا أُلْقِيَ فَتًى أو فَتَـاةٌ، صَـبِيَّةٌ أو عَجُـوزٌ، طِفْـلٌ أو شَـيْخٌ، مِنَ المـؤمِنِين الخَيِّرِين الكِـرَامِ في النَّارِ، اِرْتَفَعَتِ النَّشْـوةُ الخَسِيسةُ في نُفُوسِ الطُّغاةِ؛ هذا حادِثٌ بَشِـعٌ انْتَكَسَـتْ فيه جِبِلَّاتُ الطُّغاةِ، فَرَاحَتْ تَلْتَذُّ مَشْهَدَ التَّعْـذِيبِ المُـرَوِّعَ العَنِيفَ بهذه الخَسَاسةِ التي لم يَرْتَكِسْ فيها وَحْشٌ قَطُّ، فالوَحْشُ يَفْتَرِسُ لِيَقْتَاتَ، لا لِيَلْتَذَّ آلَامَ الفَرِيسةِ في لُؤْمٍ

وخِسَّـــةٍ، وهـــو حـــادِثٌ ارتفعتْ فيـــهِ أَرْواحُ المـــؤمِنِين وتَحَـرَّرَتْ وانطلقتْ إلى ذلـك الأَوْجِ [أَيْ أعلَى المَـراتِبِ] السَّـامِي الرَّفِيـعِ، الـذي تَشْـرُفُ بِـه البشـريَّةُ في جميـعِ الأَجْيَالِ والعُصُورِ؛ في حِسَـابِ الأَرْضِ يَبْـدُو أنَّ الطُّغْيَـانَ قـد انتصـرَ على الإيمـانِ، وإنَّ هـذا الإيمـانَ الـذي بَلَـغَ الذُّرْوَةَ العالِيَةَ في نُفُـوسِ الفِئَةِ الخَيِّرةِ الكريمـةِ الثابتـةِ المُسْـتَعْلِيةِ، لم يَكُنْ لــه وَزْنٌ ولا حِسَــابٌ في المعركــةِ الـتي دارتْ بين الإيمـانِ والطُّغْيَـانِ؛ ولا تَـذْكُرُ الرِّوَايَـاتُ الــتي وَرَدَتْ في هــذا الحــادِثِ، كمــا لا تَــذْكُرُ النُّصُــوصُ القُرآنِيَّةُ، أنَّ اللــهَ قــد أَخَــذَ أولئــك الطُّغَــاةَ في الأرضِ بجَرِيمَتِهم البَشِعةِ، كما أَخَذَ قَوْمَ نُوحٍ وَقَـوْمَ هُـودٍ وَقَـوْمَ صـالِحٍ وَقَـوْمَ شُـعَيْبٍ وَقَـوْمَ لُـوطٍ، أو كمـا أَخَـذَ فِرْعَـونَ وجُنودَه أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ، ففي حِسَابِ الأَرْضِ تَبْدُو هـذه الخاتِمةُ أَسِيفةً [أَيْ حَزِينَةً] أَلِيمةً، أَفَهَكَذَا يَنْتَهِي الأَمْـرُ؟، وتَذهَبُ الفِئَةُ المؤمِنةُ الـتي ارتفعتْ إلى ذُرْوَةِ الإيمـانِ، تَذهَبُ مـع آلَامِهـا الفاجِعـةِ في الأُخْـدُودِ؟، بينمـا تَـذهَبُ الفئةُ الباغِيَـةُ ناجِيَـةً؟؛ حِسَـابُ الأَرْضِ يَحِيـكُ في الصَّـدْرِ شَـيْئًا أمـامَ هـذه الخاتِمـةِ الأَسِـيفةِ، ولكِنَّ القـرآنَ يُعَلِّمُ المؤمِنِين شـيئًا آخَـرَ، ويَكْشِـفُ لهم عن حقيقـةٍ أُخْـرَى، ويُبَصِّــرُهم بطبيعــةِ القِيَمِ الــتي يَزِنُــون بهــا، وبِمَجَــالِ المَعرَكةِ التي يَخُوضُونها، إنَّ الحياةَ وسـائرَ مـا يُلَابِسُـها مِن لَذائـذَ وآلامٍ، ومِن مَتَـاعٍ [أَيْ تَمَتُّعٍ] وحِرْمـانٍ، ليسـت هي القيمةَ الكُـبرَى في المِـيزانِ، وليسـت هي السِّـلْعةَ الــتي تُقَـرِّرَ حِسَــابَ الــرِّبْحِ والخَسَــارةِ، والنَّصْــرُ ليس مقصورًا على الغَلَبةِ الظاهرةِ، فهـذه صُـورةٌ واحـدةٌ مِن صُوَرِ النَّصرِ الكثيرةِ، إنَّ القِيمةَ الكُـبرَى في مِـيزانِ اللـهِ هي قِيمةُ العقيدةِ، وإنَّ السِّلْعةَ الرائجـةَ في سُـوقِ اللـهِ هي سِـلْعةُ الإيمــانِ، وإنَّ النَّصــرَ في أرفَـعِ صُـوَرِه هـو انتصارُ الرُّوحِ على المادَّةِ، وانتصـارُ العقيـدةِ على الأَلَمِ، وانتصارُ الإيمانِ على الفِتنةِ، وفي هذا الحادِثِ انتصــرتْ

أرواحُ المــؤمِنِين على الخَــوفِ والأَلَمِ، وانتصــرتْ على جَوَاذِبِ الأرضِ والحياةِ، وانتصـرتْ على الفِتنـةِ، انتصـارًا يُشَرِّفُ الجِنْسَ البشرِيَّ كلَّه في جَمِيعِ الأعصارِ، وهذا هو الانتصارُ، إنَّ الناسَ جميعًـا يَمُوتـون، وتَخْتَلِـفُ الأسـبابُ، ولكنَّ النــاسَ جميعًــا لا يَنتصِــرون هــذا الانتصــارَ، ولا يَرتَفِعون هـذا الارتفـاعَ، ولا يَتَحَـرَّرون هـذا التَّحَـرُّرَ، ولا يَنطلِقون هذا الانطلاقَ إلى هذه الآفاقِ، إنما هو اختيــارُ اللهِ وتكريمُه لِفِئَةٍ كريمةٍ مِن عبادِه لِتُشـارِكَ النـاسَ في المَوتِ، وتَنْفَرِدُ دُونَ الناسِ في المَجْـدِ، المَجْـدِ في المَلأِ الأعلَى، وفي دُنْيَــا النــاسِ أيضًــا، إذا نحن وَضَــعْنا في الحِسَــابِ نَظْـرةَ الأجيـالِ بعـدَ الأجيـالِ، لقـد كـان في اســتطاعةِ المــؤمِنِين أن يَنْجُــوا بحَيــاتِهم في مُقابِــلِ الهزيمــةِ [يعــني الهَزيمــةَ (الظــاهرةَ) إذا تَرَخَّصُــوا] لإيمانِهم، ولكنْ كَمْ كانوا يَخْسَـرون هُمْ أنفسُـهم؟، وكَمْ كـانتِ البشـرِيَّةُ كُلُّهـا تَخْسَـرُ؟، كَمْ كـانوا يَخْسَـرون وَهُمْ يَقْتُلـون هـذا المعنَى الكبـيرَ، مَعْنَى زَهَـادَةِ الحيـاةِ [أَيِ الزُّهْــــدِ في الحيــــاةِ] بِلَا عقيــــدةٍ، وبَشــــاعَتِها [أَيْ وَاسْتِبشاعِها] بِلَا حُرِّيَّةٍ، وانحطاطِها حِين يُسَيْطِر الطُّغاةُ على الأرواحِ بعـد سـيطرتِهم على الأجْسـادِ؟، إنـه مَعْنًى كريمٌ جدًّا ومَعْنًى كبيرٌ جـدًّا هـذا الـذي رَبِحُـوه وَهُمْ بَعْـدُ في الأرضِ، رَبِحُــوه وَهُمْ يَجِــدُون مَسَّ النــارِ، فتَحْتَــرِقُ أجسـادُهم الفانِيَـةُ، ويَنتصِـرُ هـذا المعنَى الكـريمُ الـذي تُزَكِّيــه النــارُ، ثُمَّ إنَّ مجــالَ المعركــةِ ليس هــو الأرضَ وحدها، وليس هو الحياةَ الدنيا وحدها، وشُهُودُ المعركــةِ ليسوا هُمُ الناسَ في جِيلٍ مِنَ الأجيـالِ، إنَّ المَلَأَ الأعلَى يُشــارِكُ في أحــداثِ الأرضِ ويَشْــهَدُها ويَشْــهَدُ عليهــا، ويَزِنُها بمِـيزانٍ غـيرِ مِـيزانِ الأرضِ، والمَلأُ الأعلَى يَضُـمُّ مِنَ الأرواحِ الكريمةِ أَضْعافَ أَضْعافِ ما تَضُــمُّ الأرضُ مِنَ الناسِ، وما مِنْ شَكٍّ أنَّ ثَنَاءَ المَلأِ الأعلَى وتكريمَـه أكـبرُ وأرجحُ في أَيِّ مِـيزانٍ مِن رَأْيِ أهـلِ الأرضِ وتقـديرِهم

على الإطلاق، وبعد ذلك كلِّه هناك الآخِرَةُ، وهي المَجَـالُ الأصيلُ الذي يَلْحَقُ به مَجَالُ الأرضِ، ولا يَنفَصِـلُ عنـه، لا في الحقيقــةِ الواقعــةِ، ولا في حِسِّ المُــؤمِنِ بهــذه الحقيقةِ، فالمعركةُ إِذَنْ لم تَنْتَهِ، وخاتمتُهـا الحقيقيَّةُ لم تَجِئْ بَعْدُ، والحُكْمُ عليها بـالجُزْءِ الـذي عُـرِضَ منهـا على الأرضِ حُكْمٌ غــيرُ صــحيحٍ، لأنَّه حُكْمٌ على الشَّــطْرِ [أَيِ الجُزْءِ] الصغيرِ منها والشَّطْرِ الزَّهِيدِ. انتهى باختصار.

(9)وقالَ الشيخُ أبو محمد المقدسي في (مِلَّة إبراهيمَ): يَقــولُ تَعــالَى عن مِلَّةِ إبــراهِيمَ {وَمَن يَــرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ}، ويَقولُ أيضًـا مُخاطِبًـا نَبِيَّه محمدًا صلى الله عليه وسـلم {ثُمَّ أَوْحَيْنَـا إِلَيْـكَ أَنِ اتَّبِـعْ مِلَّةَ إِبْـرَاهِيمَ حَنِيفًـا، وَمَـا كَـانَ مِنَ الْمُشْـرِكِينَ}، بهـذه النَّصـاعةِ وبهـذا الوُضـوحِ بَيَّنَ اللـهُ تَعـالَى لنـا المِنْهـاجَ والطَّرِيقَ، فالطَّرِيقُ الصَّحِيحُ والمِنْهـاجُ القَـوِيمُ هـو مِلَّةُ إبراهِيمَ، لا غُموضَ في ذلك ولا الْتِباسَ، ومَن يَرْغَبْ عن هذه الطَّرِيقِ بحُجَّةِ مَصْـلَحةِ الـدَّعوةِ أو أنَّ سُـلُوكَها يَجُـرَّ فِتَنًا ووَيْلَاتٍ على المُسـلِمِين أو غـيرَ ذلـك مِنَ المَـزاعِمِ الجَوْفاءِ [التي يَدَّعِيها أَدْعِيَـاءُ السَّـلَفِيَّةِ (الـذِين يَحمِلُـون فِكْــرَ المُرْجِئَةِ) وجَمَاعــةُ الإخــوانِ المُســلِمِين (الــذِين يَحمِلُون فِكْرَ المَدْرَسَةِ العَقْلِيَّةِ الاعْتِزالِيَّةِ)] التي يُلقِيهــا الشَّيطانُ في نُفوسِ ضُعَفاءِ الإيمانِ، فهو سَفِيهٌ مَغْرُورٌ يَظُنُّ نَفْسَــه أَعْلَمَ بأُســلوبِ الـدَّعْوَةِ مِن إبــراهِيمَ عليــه الصَّــلاةُ والسَّــلامُ الــذي زكَّاه اللــهُ فقــالَ {وَلَقَـدْ آتَيْنَـا إِبْـرَاهِيمَ رُشْـدَهُ}، وقـال {وَلَقَـدِ اصْـطَفَيْنَاهُ فِي الـدُّنْيَا، وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ}، وزَكَّى دَعْوَتَه لنا وأَمَـرَ خـاتَمَ الأنبِيـاءِ والمُرسَـلِين بِاتِّباعِهـا، وَجَعَـلَ السَّـفَاهةَ وَصْفًا لِكُلِّ مَن رَغِبَ عن طَرِيقِه ومَنهَجِه؛ ومِلَّةُ إبــراهِيمَ هي إخلاصُ العِبــادةِ لِلَّهِ وَحْـدَهُ (بِكُـلِّ مـا تَحْوِيــه كَلِمــةُ العِبادةِ مِن مَعانٍ)، والبَراءةُ مِنَ الشِّركِ وأهْلِه، وهذا هـو

التَّوحِيـدُ الـذي دَعـا إليـه الرُّسُـلُ صَـلَواتُ اللـهِ وسَـلامُه عليهم أجْمَعِين، وهـــو مَعْنَى (لَا إِلَـــهَ إِلَّا اللَّهُ)، إخلاصٌ، وتَوحِيدٌ وإفرادٌ للهِ عَزَّ وجَـلَّ في العِبـادةِ، والـوَلاءُ لِدِينِـه ولأولِيائه، وكُفرٌ وبَـرَاءَةٌ مِنْ كُـلِّ مَعْبُـودٍ سِـوَاهُ ومُعـاداةُ أعدائـه، فهـو تَوحِيـدٌ اعتِقـادِيٌّ وعَمَلِيٌّ في آنٍ واحِـدٍ، فسُورةُ (الإخلاصِ) دَلِيـلٌ على الاعتِقـادِيِّ منـه، وسُـورةُ (الكافرون) دَلِيلٌ على العَمَلِيِّ، وكانَ النبيُّ صَلَواتُ اللـهِ وسَلامُه عليه يُكثِرُ مِنَ القِراءةِ بِهاتَين السُّورَتَين ويُداوِمُ عليهما -في سُنَّةِ الفَجْرِ وغَيرِها- لأهَمِّيَّتِهما البالغةِ... ثم قـالَ -أيِ الشـيخُ المقدسـي-: وقـد يَظُنُّ ظـانٌّ أنَّ مِلَّةَ إبـراهِيمَ هـذه تَتَحَقَّقُ في زَمانِنـا هـذا بدِراسـةِ التَّوحِيـدِ ومَعرِفةِ أقسامِه وأنْوَاعِهِ الثَّلَاثَةِ مَعرِفةً نَظَرِيَّةً وَحَسْـــبُ، مـع السُّـكوتِ عن أهـلِ الباطِـلِ وعَـدَمِ إعلانِ وإظهـارِ البَـراءةِ مِن بـاطِلِهم، فَلِمِثْـلِ هـؤلاء نَقـولُ، لَـو أنَّ مِلَّةَ إبراهِيمَ كانَتْ هَكَذَا لَمَا ألقاه قَومُه مِن أجلِها في النـارِ، بَـلْ رُبَّمـا لـو أنَّه داهَنَهم وسَـكَتَ عن بَعضِ بـاطِلِهم ولم يُسَـــفِّهْ آلِهَتَهم ولا أعلَنَ العَـــداوةَ لهم واكْتَفَى بتَوحِيـــدٍ نَظَرِيٍّ يَتَدارَسُه مع أتْباعُـه تَدارُسًـا لا يَخْـرُجُ إلى الواقـعِ العَمَلِيِّ مُتَمَثِّلًا بالوَلاءِ والبَراءِ والحُبِّ والبُغضِ والمُعـاداةِ والهِجْرانِ في اللـهِ، رُبَّمـا لـو أنَّه فَعَـلَ ذلـك لَفَتَحُـوا لـه جَمِيعَ الأبوابِ، بَلْ رُبَّما أسَّسوا له مَدارِسَ ومَعاهِـدَ -كمـا في زَمانِنا- يُدَرَّسُ فيهـا هـذا التَّوحِيـدُ النَّظَـرِيُّ، ولَرُبَّمـا وَضَعُوا عليها لافِتاتٍ ضَخْمةً وسَمَّوْهَا (مَدرَسةَ -أو مَعهَدَ- التَّوحِيـدِ، وكُلِّيَّةَ الـدَّعوةِ وأصـولِ الـدِّينِ) ومـا إلى ذلـك، فهذا كُلُّه لا يَضُرُّهم ولا يُـؤَثِّرُ فيهم مـا دامَ لا يَخْـرُجُ إلى الواقِـعِ والتَّطْبِيـقِ، ولـو خَـرَّجَتْ لهم هـذه الجامِعـاتُ والمَـــدارِسُ والكُلِّيَّاتُ آلَافَ الأُطْرُوحـــاتِ ورَســـائلِ الماجِستيرِ والدُّكْتُورَاةِ في الإخلاصِ والتَّوحِيـدِ والـدَّعوةِ، لَمَا أنكَـروا ذلـك عليهـا، بَـلْ لَبارَكُوهـا ومَنَحُـوا أصحابَها جَـوَائزَ وشَـهَاداتٍ وألْقابًـا ضَـخْمةً مـا دامَتْ لا تَتَعَـرَّضُ

لباطِلِهم وحالِهم وواقِعِهم، وما دامَتْ على ذلك الحالِ المَمْسُوخِ، يقولُ الشيخُ عبدُاللطيف بنُ عبدالرحمن [بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب] في (الدرر السنية) {لا يُتَصَوَّرُ أنَّ -أحَدًا- يَعرِفُ التَّوحِيدَ ويَعمَلُ به ولا يُعادِي المُشرِكِين، ومَن لم يُعادِهم لا يُقالُ له (عَرَفَ التَّوحِيدَ وعَمِلَ به)}... ثم قالَ -أي الشيخُ المقدسي-: وَكَذَلِكَ رسولُ الله صلى اللهِ عليه وسلم، لو أنَّه سَكَتَ في بادِئِ الأمْرِ عن تَسفِيهِ أحْلامِ قُرَيْشٍ، والتَّعَرُّضِ لآلِهَتِهم وعَيْبِها، ولو أنَّه -حَاشَاهُ- كَتَمَ الآيَاتِ التي فيها تَسفِيهٌ لِمَعبوداتِهم كاللَّاتِ والعُزَّى ومَنَاةَ الثالِثَةِ الأُخرَى، والآيَاتِ التي تَتَعَرَّضُ لأبِي لَهَبٍ والْوَلِيدِ [هو الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ، أبو خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ رَضِيَ اللهُ عنه، وَعَمُّ أبي جَهْلٍ (عَمْرِو بْنِ هِشَامِ بْنِ الْمُغِيرَةِ)، وقد نَزَلَ فِيهِ قَوْلُهُ تَعَالَى {سَأُصْلِيهِ سَقَرَ}] وغيرِهما، وَكَذَا آيَاتِ البَراءةِ منهم ومِن دِينِهم ومَعبوداتِهم -وما أكثَرَها- كَسُورةِ (الكافِرون) وغيرِها، لو فَعَلَ ذلك، وحَاشَاهُ مِن ذلك، لَجالَسُوه ولَأكْرَمُوه وقَرَّبُوه، ولَمَا وَضَعوا على رَأْسِه سَلَى [قَالَ النَّوَوِيُّ في (شرح صحيح مسلم): (السَّلَى اللِّفَافَةُ الَّتِي يَكُونُ فِيهَا الْوَلَدُ فِي بَطْنِ النَّاقَةِ وَسَائِرِ الْحَيَوَانِ، وَهِيَ مِنَ الآدَمِيَّةِ (الْمَشِيمَةُ)). انتهى باختصار] الْجَزُورِ وهو ساجِدٌ، ولَمَا حَصَلَ له ما حَصَلَ مِن أذاهُمْ مِمَّا هو مَبسُوطٌ ومَذكورٌ في الثابِتِ مِنَ السِّيرَةِ، ولَمَا اِحتاجَ إلى هِجرةٍ وتَعَبٍ ونَصَبٍ وعَناءٍ، ولَجَلَسَ هو وأصحابُه في دِيارِهم وأوطانِهم آمِنِين [قالَ الشيخُ المهتدي بالله الإبراهيمي في (توفيق اللطيف المنان): شَقَّ عَلَى أبِي طَالِبٍ الدُّخولُ في الإسلامِ، لِأنَّه كانَ يَعلَمُ أنَّ الدُّخولَ في الإسلامِ ليس تَوحِيدُ اللهِ والتَّصدِيقُ بِنَبِيِّه فَقَطْ، بَل كان يَعلَمُ أنَّ الدُّخولَ في الإسلامِ هو مُفارَقةُ دِينِ عَبْدِالْمُطَّلِبِ [أبِيه] وكُلِّ دِينٍ سِوَى الإسلام والحُكمُ عَلَى عَبْدِالْمُطَّلِبِ [أبِيه] بِالكُفرِ والشِّركِ وكَذا

على كُلِّ مَن لم يُحَقِّقْ هذا الـدِّينَ؛ قـالَ الإمـامُ اِبنُ قَيِّم الجوزية [في كِتابِه (مفتاح دار السعادة)] {الذي مَنَعَ أبا طالِبٍ وأمثالَه عن الإسلامِ، اِستَعظَموا آباءَهم وأجدادَهم أنْ يَشهَدوا عليهم بِـالكُفرِ والضَّـلالِ وأنْ يَختـاروا خِلافَ ما اِختارَ أولئك لِأنفُسِهم، ورَأَوا أنَّهم إنْ أسلَموا سَفَّهوا أحلامَ أولئك وضَـلَّلوا عُقـولَهم ورَمَـوْهُمْ بِـأقبَحِ القَبـائحِ وهو الكُفرُ والشِّركُ، ولِهذا قالَ أعـداءُ اللـهِ لِأبِي طـالِبٍ عند المَوتِ (أتَرغَبُ عن مِلَّةِ عَبْدِالْمُطَّلِبِ؟)، فَكانَ آخِرُ ما كَلَّمَهم به (هو على ملّة عَبْـدِالْمُطَّلِبِ)، فَلَمْ يَدْعُـه أعـداءُ اللهِ إلّا مِن هذا البابِ لِعِلمِهم بِتَعظِيمِه أباه عَبْدِالْمُطَّلِبِ، وأنَّه إنما حازَ الفَخرَ والشَّرَفَ بـه، فَكَيـفَ يَـأتِي [أَيْ أبـو طالِبٍ] أمرًا يَلزَمُ منـه غايَـةُ تَنقِيصِـه وذَمِّه، ولِهـذا قـالَ [أَيْ أبو طالِبٍ لِابنِ أخِيه صلى الله عليه وسلم] (لَوْلَا أنْ تَكُونَ سُبَّةً على بَنِي عَبْدِالْمُطَّلِبِ لَأقْرَرْتُ بِهَـا عَيْنَـكَ) أو كَما قالَ}؛ ولِـذَلِكَ أيضًـا شَـقَّ على هِرَقْـلَ الـدُّخولُ في الإسلامِ وكـانَ يَعلَمُ صِـدقَ النَّبِيِّ صـلى اللـهُ عليـه وآلـه وسلم ولَكِنْ لم يُتابِعْه، لِأنَّه إنْ تابَعَه سَـيُحَتِّمُ ذلـك عليـه التَّبَرُّؤَ مِن دِينِ النَّصارَى وبِالتَّالِي مِنَ النَّصارَى أنفُسِـهم وبِـذَلِكَ يَخسَـرُ مُلكَـه فَـآثَرَ مُلكَـه على دُخـولِ الإسـلامِ. انتهى باختصار]؛ فَقَضِيَّةُ مُوالاةِ دِينِ اللهِ وأهلِه ومُعاداةِ الباطِلِ وأهلِه فُرِضَتْ على المُسلِمِين في فَجرِ دَعـوَتِهم قَبْلَ فَرضِ الصَّلاةِ والزَّكاةِ والصَّومِ والْحَجِّ، ومِن أجلِها لا لِغَيرِهـا حَصَـلَ العَـذابُ والأذَى والابتِلاءُ... ثم قـالَ -أَيِ الشيخُ المقدسي-: وَهَكَذَا فإنَّ الطَّواغِيتَ في كُلِّ زَمـانٍ ومَكـانٍ لا يُظهِـرون الرِّضَـا عنِ الإسـلامِ أو يُهادِنونـه ويُقِيمون له المُؤْتَمَراتِ ويَنشُـرونه في الكُتُبِ والمَجَلَّاتِ ويُؤَسِّسون له المَعاهِدَ والجامِعاتِ، إلّا إذا كانَ دِينًا أَعْـوَرَ أَعْرَجَ مَقْصوصَ الجَنَاحَينِ بَعِيدًا عن واقِعِهم وعن مُـوَالَاةِ المُؤْمِنِين والبَرَاءةِ مِن أعداءِ الدِّينِ وإظهارِ العَـداوةِ لهم ولِمَعبوداتِهم ومَناهِجِهم الباطِلةِ [قالَ الشيخُ إسحاقُ بنُ

عبـــدالرحمن بن حســـن بن محمـــد بن عبـــدالوهاب (ت 1319هـ): قَالَ أبو الوفاءِ ابْنُ عَقِيلٍ [في مـا نَقَـلَ عنـه شـمسُ الـدين بنُ مفلحٍ في كتـاب (الآداب الشـرعية)] رَحِمَـه اللـهُ {إذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْلَمَ مَحَـلَّ الإِسْـلَامِ مِنْ أَهْـلِ الزَّمَانِ فَلَا تَنْظُرْ إلَى اِزْدِحَامِهِمْ فِي أَبْوَابِ الْمَسَاجِدِ، وَلَا إلى ضَجِيجِهِمْ [فِي الْمَوْقِفِ] بِـ (لَبَّيْكَ)، وَلَكِنِ اُنْظُـرْ إلَى مُوَاطَـأَتِهِمْ لأَعْـدَاءِ الشَّـرِيعَةِ}، فاللَّجَـا اللَّجَـا إلى حِصْـنِ الدِّينِ والاعتِصامِ بِحَبْلِ اللهِ المَتِينِ والانحِيازِ إلى أَوْلِيائِه المُؤْمِنِين، وَالْحَذَرَ الْحَذَرَ مِن أعدائِه المُخالِفِين، فأفضَـلُ القُـرَبِ إلى اللـهِ تَعـالَى مَقْتُ مَن حَـادَّ اللـهَ ورَسـولَه، وجِهادُه باليَدِ وَاللِّسَانِ وَالْجَنَانِ بقَدْرِ الإمكانِ. انتهى من (الدُّرَرِ السَّنِيَّة في الأجوبة النَّجْدِيَّة)]؛ وإنَّنا لَنُشـاهِدُ هـذا واضِـحًا في الدَّولـةِ المُسَـمَّاةِ (السُّـعُودِيَّة)، فإنَّهـا تَغُـرُّ الناسَ بتَشجِيعِها لِلتَّوحِيدِ وكُتُبِ التَّوحِيدِ، وبسَـمَاحِها بَـلْ وحَثِّها لِلعُلَمـاءِ على مُحارَبـةِ القُبـورِ والصُّـوفِيَّةِ وشِـرْكِ التَّمائمِ والتِّوَلةِ [قـالَ الشـيخُ محمـد بنُ عبـدالوهاب في (كتاب التوحيد): والتِّوَلـةُ هي شَـيءٌ يَصـنَعونه، يَزعُمـون أنَّه يُحَبِّبُ المَـــرأةَ إلى زَوجِهـــا، والرَّجُـــلَ إلى اِمْرَأَتِـــه. انتهى. وقـــالَ الشـــيخُ ابنُ بـــاز في (مجمـــوع فتـــاوى ومقـالات ابن بـاز): والتِّوَلـةُ نَـوعٌ مِنَ السِّـحرِ. انتهى] والأشجارِ والأحجارِ، وغيرِ ذلك مِمَّا لا تَخشاه ولا يَضُـــرُّها أو يُؤَثِّرُ في سِيَاساتِها الخارِجِيَّةِ والداخِلِيَّةِ، وما دامَ هــذا التَّوحِيدُ المُجَزَّأُ الناقِصُ بَعِيدًا عنِ السَّلاطِينِ وعُرُوشِـــهم الكافِرةِ فإنَّه يَتَلَقَّى منهم الدَّعْمَ والمُسانَدةَ والتَّشـــجِيعَ، وإلَّا فأَيْنَ كِتَاباتُ جُهَيْمـانَ -وأمثالِـه- رَحِمَـه اللـهُ تَعـالَى الـــتي تَمْتَلِئُ وتَزْخَـرُ بِالتَّوحِيـــدِ؟ [قـــالَ الشـــيخُ مُقْبِـــلٌ الوادِعِيُّ في (المَخْـرَج مِن الفِتنـة) عنِ الشـيخِ جُهَيْمـانَ وجَمَاعَتِه: الإذاعاتُ والصَّحافةُ بَلْ وعُلَماءُ السُّوءِ نَزَّلُوهم مَنْزِلةَ الشَّياطِينِ، إنَّ رَسائلَهم [التي صَدَرَتْ عنهم] تَدُلُّ على أنَّهم طَلَبَةُ عِلْمٍ أخيارٌ أفَاضِلُ، قَدِ اِنتَشَرَتْ بِسَـبَبِهم

سُنَنٌ كانَتْ قد أُمِيتَتْ، وما خَسِرَتْهم أَرْضُ الحَرَمَينِ فَحَسْبُ بَلْ خَسِرَهُمُ المُجتَمَعُ المُسْلِمُ، جَزاهُمُ اللهُ عنِ الإسلامِ خَيرًا... ثم قالَ -أَيِ الشيخُ الوادِعِيُّ-: فَمُعامَلةُ الحُكومةِ [السُّعُودِيَّةِ] لهم غيرُ شَرعِيَّةٍ بَلْ دُوَلِيَّةٌ [أَيْ غيرُ دِينِيَّةٍ بَلْ سِيَاسِيَّةٌ]، وسَيُحاكِمون الحُكومةَ بين يَدَيِ اللَّه... ثم قالَ -أَيِ الشيخُ الوادِعِيُّ-: فَهؤلاء لم يُحارِبوا اللهَ ورَسولَه ولم يَسعَوْا في الأرضِ فَسادًا. انتهى باختصار. وفي رِسالةٍ للشيخِ أبي محمد المقدسي بعنوان (زَلَّ حِمَارُ العِلْمِ في الطِّين) قالَ: لقد صَدَّقْتُم يا عُلَماءَ السُّوءِ مِن قَبْلُ على قَتْلِ جُهَيْمانَ وطائفةٍ مِن إخوانِه، وهَا هِيَ فَتَاوِيكم التي قُتِلُوا بها إلى اليَومِ مَحفوظةٌ شاهِدةٌ على جَرِيمَتِكم. انتهى. وفي فتوى للشيخِ أبي محمد المقدسي على هذا الرابط قالَ: كِتَابَاتُ جُهَيْمانَ كانَتْ جَمِيعُها يَقرَؤُها طَلَبةُ عِلْمٍ مِن أَتْباعِ جُهَيْمانَ -قَبْلَ طِباعَتِها- على الشيخِ اِبْنِ باز [قُلْتُ: وهذا يَعْنِي أنَّ كِتَابَاتِ الشيخِ جُهَيْمانَ كانَتْ مَوْضِعَ تَقدِيرٍ واحتِرامٍ مِنَ الشَّيخِ اِبْنِ بازٍ]. انتهى باختصار]، لِماذا لم تَدْعَمْها الحُكومةُ وتُشَجِّعْها، رَغْمَ أنَّه لم يَكُنْ يُكَفِّرُها في تلك الكِتَاباتِ؟، أَمْ أنَّه [أَيِ التَّوحِيدَ الذي تَمْتَلِئُ وتَزْخَرُ به كِتَاباتُ الشيخِ جُهَيْمانَ] تَوحِيدٌ يُخالِفُ أَمْزِجَةَ الطُّغاةِ وأهواءَهم ويَتَكَلَّمُ بالسِّيَاسةِ ويَتَعَرَّضُ لِلوَلاءِ والبَراءِ والبَيْعةِ والإمارةِ؟ [قالَ الشيخُ مُقْبِلٌ الوادِعِيُّ في (قمع المعاند): إنَّ السُّعُودِيَّةَ عَمِيلةٌ لِأمْرِيكا. انتهى باختصار. وقالَ الشيخُ مُقْبِلٌ الوادِعِيُّ أيضًا في (المُصارَعة): إنَّها [أَيِ السُّعُودِيَّةَ] قد أصبَحَتْ مُستَعبَدةً لِأمْرِيكا. انتهى. وقالَ الشيخُ مُقْبِلٌ الوادِعِيُّ أيضًا في (المَخْرَج مِن الفِتنة): الحُكومةُ [السُّعُودِيَّةُ] لا يَهُمُّها الدِّينُ، لا يَهُمُّها إلَّا الحِفاظُ على الكُرْسِيِّ. انتهى باختصار. ونَقَلَ الشيخُ أحمد بن يحيى النجمي (المُحاضِرُ بكلية الشريعة وأصول الدين، بفرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

بأبهـا) في كِتابِـه (نَسْـفُ الـدَّعاوِي) عن الشـيخ محمـد سـرور زين العابـدين (مُؤَسِّـسِ تَيَّارِ الصَّـحْوَةِ "أكْبَـرِ التَّيَّاراتِ الدِّينِيَّةِ في السُّـعُودِيَّةِ") أنَّه قـالَ: إنَّ السُّـلطةَ في السُّعُودِيَّةِ تَتَكَوَّنُ مِن شَكْلٍ هَرَمِيٍّ يَتَرَبَّعُ على رَأسِها الأعلَى رَئيسُ أمْرِيكا... ثم قـالَ -أيِ الشـيخُ النجمي-: وهذا مَعْنَى ما قَرَّرَه المغراوي [أسـتاذ الدراسـات العليـا بجامعة القرويين، والـذي يُوصَـفُ بِأنَّه (شَـيْخُ السَّـلَفِيين بِـالمَغْرِبِ)] هُنَـا، أنَّ وُلاةَ المُسـلِمِين في السُّـعُودِيَّةِ -أو غَيرِها- لا يَتَصَـرَّفون بِـإراداتِهم، ولا يُقَـرِّرون قَـرارًا مِن تِلقاءِ أنفُسِهم، وإنَّما يَتَصَرَّفُ فيهم غَيرُهم، ويُقَـرِّرُ لهم غَيرُهم، والمَسئولون فيها مُجَـرَّدُ كمـبيوتراتٍ. انتهى]... ثم قالَ -أيِ الشيخُ المقدسي-: وَهَا هُنَا شُـبهةٌ يَطرَحُهـا كَثِـيرٌ مِنَ المُتَسَـرِّعِين، وهي قَـولُهم {إنَّ مِلَّةَ إبـراهِيمَ هذه إنَّما هي مَرحَلةٌ أخِيرةٌ مِن مَراحِلِ الـدَّعوةِ، يَسـبِقُها البَلاغُ بالحِكمـةِ والجِـدالُ بـالتي هي أحسَـنُ، ولا يَلجَـأ الداعِيَةُ إلى مِلَّةِ إبراهِيمَ هذه، مِنَ البَراءةِ مِن أعداءِ اللهِ ومَعبوداتِهم والكُفرِ بها وإظهارِ العَـداوةِ والبَغضـاءِ لهم، إلَّا بَعْدَ اِستِنفاذِ جَمِيعِ أسالِيبِ اللِّينِ والحِكمـةِ}؛ فَنَقـولُ وباللهِ التوفيقُ، إنَّ هذا الإشكالَ إنَّما حَصَلَ بِسَـبَبِ عَـدَمِ وُضوحِ مِلَّةِ إبراهِيمَ لَدَى هـؤلاء النـاسِ، وبِسَـبَبِ الخَلْـطِ بَيْنَ طَرِيقةِ الـدعوةِ للكُفَّارِ اِبْتِـدَاءً و[بَيْنَ] طَرِيقَتِهـا مـع المُعانِدِين منهم، وأيضًا [بِسَـبَبِ عَـدَمِ] الفَـرْقِ بَيْنَ ذلـك كُلِّه وبَيْنَ مَوقِفِ المُسلِمِ مِن مَعبُوداتِ ومَناهِجِ وشَـرائعِ الكُفَّارِ الباطِلـةِ نَفْسِـها؛ فَمِلَّةُ إبـراهِيمَ مِن حيث أنَّهـا إخلاصٌ لِلعِبادةِ للهِ وَحْدَه وكُفْرٌ بِكُلِّ مَعبودٍ سِوَاهُ، لا يَصِحُّ أنْ تُؤَخَّرَ أو تُؤَجَّلَ، بَلْ يَنبَغِي أنْ لا يُبْدَأَ إلَّا بِهـا، لِأنَّ ذلـك هـو تَمَامًـا مـا تَحوِيـه كَلِمـةُ (لَا إلَـهَ إلَّا اللَّهُ) مِنَ النَّفيِ والإثبـاتِ، وهـو أصـلُ الـدِّينِ وقُطْبَ الـرَّحَى في دَعـوةِ الأنبِياءِ والمُرسَلِين، وَلِأجْـلِ أنْ يَـزولَ عنـك كُلُّ إشـكالٍ فَهَـا هُنَـا قَضِـيَّتان؛ (أ)القَضِـيَّةُ الأولَى، وهي الكُفـرُ

بِـالطَّواغِيتِ الـتي تُعبَـدُ مِن دُونِ اللـهِ عَـزَّ وَجَـلَّ، سَـوَاءٌ أكَـانَتْ هـذه الطَّواغِيتُ أصـنامًا مِن حَجَـرٍ، أو شَمسًـا أو قَمَرًا، أو قَبرًا أو شَجَرًا، أو تَشرِيعاتٍ وقَوانِينَ مِن وَضْـعِ البَشَرِ، فَمِلَّةُ إبراهِيمَ ودَعوةُ الأنبِياءِ والمُرسَلِين تَستَلزِمُ إظهـارَ الكُفـرِ بهـذه المَعبـوداتِ كُلِّهـا وإبـداءَ العَـداوةِ والبَغضاءِ لها، وَتَسفِيهَ قَدرِها والحَطَّ مِن قِيمَتِها وشَأنِها وإظهـارَ زَيفِهـا ونَقائصِهـا وعُيوبِهـا مُنْـذُ أوَّلِ الطَّرِيـقِ، وَهَكَـذَا كـانَ حـالُ الأنبِيـاءِ حين كـانوا يَبـدَأُون دَعـوَتَهم لِأقـوامِهم بِقَـولِهم {اعْبُـدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُـوا الطَّاغُوتَ}، ومِن هـذا قَـولُ اللـهِ تَعـالَى عنِ الحَنِيـفِ إبـراهِيمَ عليـه السَّـلامُ {قَـالَ أَفَـرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُـدُونَ، أَنتُمْ وَآبَـاؤُكُمُ الأَقْـدَمُونَ، فَـإِنَّهُمْ عَـدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَـالَمِينَ}، وَقَولُـه {قَـالَ يَـا قَـوْمِ إِنِّي بَـرِيءٌ مِّمَّا تُشْـرِكُونَ}، وَقَولُـه {وَإِذْ قَـالَ إِبْـرَاهِيمُ لِأَبِيـهِ وَقَوْمِـهِ إِنَّنِي بَـرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُـدُونَ، إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَـيَهْدِينِ}، وَكَـذَا قَولُـه سُـبْحانَهُ عن قَـومِ إبــراهِيمَ {قَـالُوا مَن فَعَـلَ هَـذَا بِآلِهَتِنَـا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ، قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْـرَاهِيمُ} قالَ المُفَسِّرون {(يَـذْكُرُهُمْ) أيْ يَعِيبُهم وَيَسـتَهزِئُ بهم وَيَتَنَقَّصُهم}، والكِتابُ والسُّنَّةُ يَمتَلِئان بالأدِلَّةِ على ذلك، ويَكفِينا مِن ذلك هَدْيُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسـلم بِمَكَّةَ وكَيـفَ كـانَ يُسَـفِّهُ آلِهـةَ قُـرَيشٍ ويُظهِـرُ البَـراءةَ منهـا والكُفرَ بها حتى كانوا يُلَقِّبونه بالصـابِئِ [وهـو مَن ارتـدَّ عن دِينِه واعتَنَقَ دِينًا آخَرَ]، وإنْ شِـئتَ أنْ تَتَأكَّدَ مِن ذلـك وتَتَيَقَّنَـه فـارجِعْ وتَـدَبَّرِ القُـرآنَ المَكِّيَّ [الْمَكِّيُّ مَـا نَـزَلَ قَبْلَ الْهِجْرَةِ وَإِنْ كَـانَ بِالْمَدِينَـةِ، وَالْمَـدَنِيُّ مَـا نَـزَلَ بَعْدَ الْهِجْرَةِ وَإِنْ كَانَ بِمَكَّةَ] الذي ما كانَتْ تَتَنَـزَّلُ على النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم منه بِضـعُ آيَـاتٍ حـتى تُضْـرَبَ بِهـا أكْبَـادُ الْمَطِيِّ شَـرقًا وغَربًـا وشَـمالًا وجَنوبًـا وتَتَناقَلَهـا الألْسِنةُ في الأسواقِ والمَجالسِ والنَّوادِي، وكـانَتْ هـذه الآيـاتُ تُخـاطِبُ العَـرَبَ بِلُغَتِهم العَرَبِيَّةِ المَفهومـةِ بِكُـلِّ

وُضوحٍ وجَلاءٍ، تُسَفِّهُ آلِهَتَهم وعلى رَأسِها اللَّاتُ والعُـزَّى ومَنَاةُ الثالِثَةِ الأُخرَى -أعظَمُ الآلِهةِ عند القَـومِ في ذلـك الزَّمـانِ- وتُعلِنُ البَـراءةَ منهـا وعَـدَمَ الالتِقـاءِ معهـا أوِ الرِّضَا بها، وما كانَ النَّبِيُّ صلى اللـه عليـه وسـلم لِيَكْتُمَ شَيئًا مِن ذلك إنْ هو إلَّا نَذِيرٌ، فالذِين يُصَدِّرون أنْفُسَــهم للدَّعوةِ في هذا الزَّمانِ بِحاجةٍ إلى تَدَبُّرِ هـذا الأمـرِ جَيِّدًا ومُحاسَبةِ أنْفُسِهم عليه كَثِيرًا، لِأنَّ دَعوةً تَسْـعَى لِنُصْـرةِ دِينِ اللـهِ ثم تُلْقِي بهـذا الأَصْـلِ الأَصِـيلِ [وهـو إظهـارُ الكُفرِ بهذه المَعبوداتِ كُلِّها وإبداءُ العَداوةِ والبَغضاءِ لها، وَتَسـفِيهُ قَـدرِها والحَـطُّ مِن قِيمَتِهـا وشَـأنِها وإظهـارُ زَيفِهـا ونَقائصِـها وعُيوبِهـا] وَرَاءَهـا ظِهْرِيًّا لا يُمْكِنُ أنْ تَكونَ على مَنهَجِ الأنبِياءِ والمُرسَـلِين، وهـا نحن نُعـايِشُ في هذا الزَّمـانِ اِنتِشـارَ (شِـركِ التَّحـاكُمِ إلى الدَّسـاتِيرِ والقَوانِينِ الوَضعِيَّةِ) بين ظَهْرَانَيْنا، فَيَلزَمَ هذه الـدَّعَواتِ -ولا بُدَّ- التَّأسِّي بِنَبِيِّها في اِتِّبـاعِ مِلَّةِ إبـراهِيمَ، بِتَسـفِيهِ قَـدْرِ هـذه الدَّسـاتِيرِ وتلـك القَـوانِينِ، وذِكْـرِ نَقائصِـها لِلنَّاسِ، وإبداءِ الكُفرِ بهـا، وإظهـارِ وإعلانِ العَـداوةِ لهـا، ودَعوةِ الناسِ إلى ذلك، وبَيَانِ تَلبِيسِ الحُكومـاتِ [لِلْحَـقِّ بِالْبَاطِـــلِ] وضِـــحْكِها على النـــاسِ، وإلَّا فَمَتَى يَظْهَــرُ الحَـقُّ؟!، وكَيــفَ يَعـرِفُ النـاسُ دِينَهم حَـقَّ المَعرِفـةِ، ويُمَيِّزُون الحَـقَّ مِنَ الباطِـلِ والعَـدُوَّ مِنَ الـوَلِيِّ؟، ولَعَـلَّ الغالِبِيَّةَ [مِمَّن يُصَـدِّرون أنْفُسَــهم للـدَّعوةِ] يَتَعَــذَّرون بِمَصلَحةِ الـدَّعوةِ وبِالفِتْنـةِ، وأَيُّ فِتْنـةٍ أَعْظَمُ مِن كِتْمـانِ التَّوحِيــدِ و[مِنَ] التَّلْبِيسِ على النــاسِ في دِينِهم؟، وَأَيُّ مَصلَحةٍ أَعْظَمُ مِن إقامةِ مِلَّةِ إبـراهِيمَ وإظهـارِ المُـوالاةِ لِدِينِ اللهِ والمُعاداةِ للطَّواغِيتِ التي تُعبَدُ ويُدانُ لهــا مِن دُونِ اللهِ؟، وإذا لم يُبْتَلَ المُسـلِمون لِأجْـلِ ذلـك وإذا لم تُقَـدَّمِ التَضْــحِيَاتُ في سَــبِيلِه فَلِأيِّ شَــيءٍ إذَنْ يَكــونُ البَلاءُ؟، فالكُفرُ بالطَّواغِيتِ كُلِّها واجِبٌ على كُـلِّ مُسـلِمٍ بِشَطرِ شَهَادَةِ الإسـلامِ، وإعلانُ ذلـك وإبـداؤه وإظهـارُه

واجِبٌ عَظِيمٌ أيضًا لا بُدَّ وأنْ تَصْدَعَ به جَماعاتُ المُسلِمِين أو طائفةٌ مِن كُلِّ جَماعةٍ منهم على الأقَلِّ، حتى يَشتَهِرَ ويَنتَشِرَ ويَكونَ هو الشِّعارَ والصِّفةَ المُمَيِّزةَ لهذه الدَّعواتِ كما كانَ حالُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ليس في زَمَنِ التَّمكِينِ وَحَسْبُ، بَلْ وفي زَمَنِ الاستِضعافِ حيث كانَ يُشارُ إليه [صلى الله عليه وسلم] بالأصابِعِ ويُحَذَّرُ منه ويُوصفُ بِعَداوةِ الآلِهةِ، وإنَّنا لَنَعْجَبُ! أَيُّ دَعوةٍ هذه التي يَتَباكَى أولئك الدُّعاةُ على مَصلَحتِها؟ وَأَيُّ دِينٍ هذا الذي يُرِيدون إقامتَه وإظهارَه؟ وأكثرُهم يَلهَجُ بِمَدحِ القانونِ الوَضعِيِّ -ويَا لَلْمُصِيبَةِ- وبَعضُهم يُثْنِي عليه ويَشهَدُ بِنَزاهَتِه وكَثِيرٌ منهم يُقسِمُ على اِحتِرامِه والاِلْتِزامِ بِبُنُودِه وَحُدودِه، عَكْسًا لِلقَضِيَّةِ والطَّرِيقِ، فبَدَلًا مِن إظهارِ وإبداءِ العَداوةِ له والكُفرِ به يُظهِرون الوَلاءَ له والرِّضا عنه، فهَلْ مِثْلُ هؤلاء يَنشُرون تَوحِيدًا أو يُقِيمون دِينًا؟! إلى اللهِ المُشتَكَى، وإبداءُ هذا الأمرِ [وهو الكُفرُ بِالدَّساتِيرِ والقَوانِينِ الوَضعِيَّةِ] وإظهارُه ليس له عَلَاقةٌ بِتَكفِيرِ الحاكِمِ أو إصرارِه على الحُكْمِ بِغَيرِ شَرِيعةِ الرَّحمَنِ، [بَلْ] إنَّه مُتَعَلِّقٌ بالدُّستُورِ أوِ التَّشرِيعِ أو القانونِ القائمِ المُحتَرَمِ المُطَبَّقِ المُبَجَّلِ المُحَكَّمِ بَيْنَ الناسِ؛ (ب)القَضِيَّةُ الثانِيَةُ، وهي البَراءةُ مِنَ المُشرِكِين والكُفرُ بهم وإظهارُ العَداوةِ والبَغضاءِ لَهُمْ هُمْ أنْفُسِهم، يَقولُ العَلَّامةُ اِبْنُ القيم رَحِمَه اللهُ تَعالَى [في (مَدارِجُ السالِكِين)] {وَمَا نَجَا مِنْ شَرَكِ هَذَا الشِّرْكِ الأَكْبَرِ [أَيْ مِصيَدةِ] إِلَّا مَنْ جَرَّدَ تَوْحِيدَهُ لِلَّهِ، وَعَادَى الْمُشْرِكِينَ فِي اللَّهِ، وَتَقَرَّبَ بِمَقْتِهِمْ إِلَى اللَّهِ}، وهذه القَضِيَّةُ (أَيِ البَراءةُ مِنَ المُشرِكِين) أهَمُّ مِنَ الأُولَى (أعنِي البَراءةَ مِن مَعبوداتِهم)، يقولُ الشيخُ حَمَدُ بنُ عَتِيقٍ [ت1301هـ] رَحِمَه اللهُ تَعالَى في (سبيل النجاة والفكاك) عِند قَولِه تَعالَى (إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ) {وهَا

هُنَا نُكتةٌ بَدِيعةٌ، وهي أنَّ اللهَ تَعالَى قَدَّمَ البَراءةَ مِنَ المُشرِكِين العابِدِين غيرَ اللهِ، على البرَاءةِ مِنَ الأوثانِ المَعبودةِ مِن دُونِ اللهِ، لِأنَّ الأوَّلَ أهَمُّ مِنَ الثانِي، فإنَّه إنْ تَبَرَّأ مِنَ الأوثانِ ولم يَتَبَرَّأ مِمَّن عَبَدَها لا يَكونُ آتِيًا بالواجِبِ عليه، وأمَّا إذا تَبَرَّأ مِنَ المُشرِكِين فإنَّ هذا يَستَلزِمُ البَراءةَ مِنَ مَعبوداتِهم، وَكَذَا قَولُه (وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ...) الآيَةَ، فَقَدَّمَ اِعتِزالَهم على اِعتِزالِ ما يَدعون مِن دُونِ اللهِ، وَكَذَا قَولُه (فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ)، وقَولُه (وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلا اللَّهَ)، فَعَلَيكَ بهذه النُّكتةِ فإنَّها تَفتَحُ لك بابًا إلى عَداوةِ أعداءِ اللهِ، فَكَمْ مِن إنسانٍ لا يَقَعُ منه الشِّركُ ولَكِنَّه لا يُعادِي أهلَه [أَيْ أهلَ الشِّركِ]، فلا يكونُ مُسلِمًا بذلك إذْ تَرَكَ دِينَ جَمِيعِ المُرسَلِين}، وسُئِلَ الشيخُ حسين والشيخُ عبدالله، اِبْنا الشيخِ محمد بنِ عبدالوهاب [كما في (الدُّرَرُ السَّنِيَّةُ في الأَجْوِبةِ النَّجْدِيَّةِ)] عن رَجُلٍ دَخَلَ هذا الدِّينَ وأحَبَّه وأحَبَّ أهْلَه، ولكنْ لا يُعادِي المُشرِكِين، أو عاداهم ولم يُكَفِّرْهم؟، فكانَ مِمَّا أجابا به {مَن قالَ لا أعادِي المُشرِكِين، أو عاداهم ولم يُكَفِّرْهم، فهو غَيرُ مُسلِمٍ، وهو مِمَّن قالَ اللهُ تَعالَى فيهم (وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا، أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا، وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا)}... ثم قالَ -أيِ الشيخُ المقدسي-: المُتَجَبِّرون والظالِمون يُدعَون إلى طاعةِ اللهِ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ اِبْتِدَاءً، فإنِ اِستَجابوا فَهُمْ إخوانُنا نُحِبُّهم بِقَدرِ طاعَتِهم وَلَهم ما لَنا وعليهم ما عَلَينا، وإنْ أَبَوْا -مع وُضوحِ الحُجَّةِ- واستَكبَروا وأصَرُّوا على ما هُمْ عليه مِنَ الباطِلِ والشِّركِ وَوَقَفوا في الصَّفِّ المُعادِي لِدِينِ اللهِ فلا مُجامَلةَ معهم ولا مُداهَنةَ، بَلْ يَجِبُ إظهارُ وإبداءُ البَراءةِ منهم عند ذلك؛ ويَنبَغِي هنا التَّفرِيقُ بين الحِرصِ على

هِدَايَةِ المُشـرِكِين والكُفَّارِ وكَسـبِ أنصـارٍ لِلـدِّينِ واللِّينِ في البَلاغِ وَالْحِكْمَـةِ وَالْمَوْعِظَـةِ الْحَسَـنَةِ وبين قَضِـيَّةِ الحُبِّ والبُغضِ والمُـوالاةِ والمُعـاداةِ في دِينِ اللـهِ، لِأَنَّ كَثِيرًا مِنَ الناسِ يَخْلِطُ في ذلك فَتَستَشـكِلُ عليهم كَثِـيرٌ مِنَ النُّصوصِ مِثْلِ {اللَّهُمَّ اِهْدِ قَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُـونَ} وما إلى ذلك، وقد تَبَـرَّأَ إبـراهِيمُ مِن أقـرَبِ النـاسِ إليـه لَمَّا تَبَيَّنَ له أنَّه مُصِرٌّ على شِركِه وكُفرِه، قالَ تَعالَى عنه {فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ} ذلـك بَعْـدَ أنْ دَعـاه بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ، فَتَجِدُه يُخاطِبُـه بِقَولِـه {يَـا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَـاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ}، {يَـا أَبَتِ إِنِّي أَخَـافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ}، وَهَكَذَا مُوسَـى مـع فِرعَـونَ بَعْدَ أنْ أرسَلَه اللهُ إليه وقالَ {فَقُولَا لَـهُ قَـوْلًا لَّيِّنًـا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى}، فقد بَدَأَ معـه بِـالقَولِ اللَّيِّنِ اِسـتِجابةً لأمـرِ اللـهِ فَقـالَ {هَـل لَّكَ إِلَى أَن تَـزَكَّى، وَأَهْـدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَـى} وَأراه الآيَـاتِ والبَيِّنـاتِ، فَلَمَّا أظهَـرَ فِرعَونُ التَّكذِيبَ والعِنادَ والإصرارَ على الباطِلِ قـالَ لـه مُوسَى كَما أخبَرَ تَعالَى {لَقَـدْ عَلِمْتَ مَـا أَنـزَلَ هَـؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّـمَاوَاتِ وَالأَرْضِ بَصَـائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَـا فِرْعَـوْنُ مَثْبُورًا}، بَلْ ويَدعُو عليهم قائلًا {رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَـوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَـةً وَأَمْـوَالًا فِي الْحَيَـاةِ الـدُّنْيَا رَبَّنَـا لِيُضِـلُّوا عَن سَبِيلِكَ، رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْـدُدْ عَلَى قُلُـوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَـرَوُا الْعَـذَابَ الأَلِيمَ}، فالـذِين يُدَنـدِنون على نُصـوصِ الرِّفـقِ واللِّينِ والتَّيسِـيرِ على إطلاقِهـا وَيَحْمِلُونَهَـا عَلَى غَيْـرِ مَحْمَلِهـا ويَضَـعونها في غَـيرِ مَوضِعِها، يَنبَغِي لهم أنْ يَقِفوا عند هـذه القَضِـيَّةِ طَـوِيلًا ويَتَدَبَّروها ويَفهَموها فَهمًا جَيِّدًا إنْ كانوا مُخلِصِين... ثم قـالَ -أيِ الشـيخُ المقدسـي-: وَاعْلَمْ أنْ لَا تَنَـافِيَ بين القِيامِ بِمِلَّة إبراهِيمَ [يَعْنِي مِن جِهـةِ إظهـارِ البَـراءةِ مِنَ المُشـرِكِين ومَعبـوداتِهم الباطِلَـةِ، وإعلانِ الكُفـرِ بِهم وبِآلِهَتِهم ومَنـاهِجِهم وقَـوانِينِهم وشَـرائعِهم الشِّـركِيَّةِ،

وإبـداءِ العَـداوةِ والبَغضـاءِ لهم وَلِأوضـاعِهم وَلِأحـوالِهم الكُفرِيَّةِ] والأخذِ بأسـبابِ السِّرِّيَّةِ والكِتمـانِ في العَمَـلِ الجادِّ لِنُصْرةِ الدِّينِ، إنَّ هذه السِّـرِّيَّةَ يَجِبُ أنْ تُوضَـعَ في مَكانِهـا الحَقِيقِيِّ، وهي سِـرِّيَّةُ التَّخطِيـطِ والإعـدادِ، أمَّا مِلَّةُ إبـراهِيمَ والكُفـرُ بـالطَّواغيتِ ومَنـاهِجِهم وآلِهَتِهم الباطِلةِ فهذه لا تَدخُلُ في السِّرِّيَّةِ، بَـلْ [هي] مِن عَلَنِيَّةِ الـدَّعوةِ فَيَنبَغِي إعلانُهـا مُنْـذُ أوَّلِ الطَّرِيـقِ، أمَّا إخفاؤها [أيْ مِلَّةُ إبراهِيمَ] وَكَتْمُها مُداهَنةً لِلطَّواغِيتِ وتَغَلْغُلًا في صُفوفِهم وارتِقـاءً في مَناصِـبِهم فليس مِن هَـدْيِ نَبِيِّنـا محمدٍ صلى الله عليه وسـلم، بَـلْ هـو مِن هَـدْيِ وسِـرِّيَّةِ أصـحابِ التَّنظِيمـاتِ الأرضِـيَّةِ الـذِين يَجِبُ أنْ يُقـالَ لهم أيضًا {لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ}، وَخُلاصةُ الأمرِ أنَّها [أيْ مِلَّةَ إبراهِيمَ] سِرِّيَّةٌ في الإعدادِ والتَّخطِيطِ عَلَنِيَّةٌ في الدَّعوةِ والتَّبلِيغِ؛ وإنَّما قُلنا ذلك لِأنَّ كَثِيرًا مِنَ النـاسِ سَـوَاءٌ مِنَ المُرجِفِين أو مِمَّن لم يَفهَموا دَعوةَ الأنبِياءِ حَـقَّ الفَهمِ، يَقولون عن جَهلٍ منهم {إنَّ هذه الطَّرِيـقَ الـتي تَـدعون إليها تَكشِفُنا وَتَفضَـحُ تَخطِيطاتِنـا وتُعَجِّلُ بالقَضـاءِ على الـدَّعوةِ وثَمَراتِهـا} [قـالَ الشـيخُ سـيد قطب في كِتابِـه (في ظلال القرآن): وَمَا حَدَثَ قَـطُّ فِي تَـارِيخِ الْبَشَـرِيَّةِ أَنِ اِسْـتَقَامَتْ جَمَاعَـةٌ عَلَى هُـدَى اللَّهِ إِلَّا مَنَحَهَـا الْقُـوَّةَ وَالْمَنَعَةَ وَالسِّيَادَةَ فِي نِهَايَةِ الْمَطَافِ، بَعْدَ إِعْدَادِهَا لِحَمْلِ هَذِهِ الْأَمَانَةِ (أَمَانَةِ الْخِلَافَةِ فِي الْأَرْضِ وَتَصْرِيفِ الْحَيَاةِ)؛ وَإِنَّ الْكَثِيرِينَ لَيُشْفِقُونَ [أَيْ لَيَخَافُونَ] مِنِ اِتِّبَاعِ شَرِيعَةِ اللَّهِ وَالسَّيْرِ عَلَى هُدَاهُ، يُشْفِقُونَ مِنْ عَـدَاوَةِ أَعْـدَاءِ اللَّهِ وَمَكْـرِهِمْ، وَيُشْـفِقُونَ مِنْ تَـأَلُّبِ [أَيْ تَجَمُّعِ واحْتِشَـادِ] الْخُصُومِ عَلَيْهِمْ، وَيُشْفِقُونَ مِنَ الْمُضَـايَقَاتِ الاقْتِصَـادِيَّةِ وَغَيْرِ الاقْتِصَادِيَّةِ، وَإِنْ هِيَ إِلَّا أَوْهَامٌ كَأَوْهَامِ قُرَيْشٍ يَوْمَ قَـالَتْ لِرَسُـولِ اللَّهِ صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ {إِن نَّتَّبِـعِ الْهُدَى مَعَـكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِـنَا} فَلَمَّا اِتَّبَعَتْ هُـدَى اللَّهِ سَيْطَرَتْ عَلَى مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا فِي رُبْعِ قَـرْنٍ أَوْ

أَقَلَّ مِنَ الزَّمَانِ. انتهى]، فَيُقالُ لهم، إنَّ هـذه الثَّمَـراتِ المَزعومةَ لن تَينَعَ ولن يَبدُو صَلاحُها حتى يَكونَ الغِراسُ على مِنهاجِ النُّبُوَّةِ، وَواقِعُ هذه الـدَّعواتِ العَصـرِيَّةِ أكبَـرُ دَلِيلٍ وشاهِدٍ على ذلـك -بَعْـدَ الأدِلَّةِ الشَّـرعِيَّةِ المُتَقَدِّمـةِ مِن مِلَّةِ إبراهِيمَ ودَعوةِ الأنبِياءِ والمُرسَلِين صَلَواتُ اللـهِ وسَـلامُه عليهم أجْمَعِين- حيث إنَّ مـا نُعانِيـه اليَـومَ مِن جَهـلِ أبنـاءِ المُسـلِمِين والتِبـاسِ الحَـقِّ عليهم بِالباطِـلِ وعَدَمِ وُضوحِ مَواقِفِ الوَلاءِ والبَراءِ، إنَّما هو مِن سُـكُوتِ وكِتمانِ العُلَماءِ والـدُّعاةِ لِهـذا الحَـقِّ، ولـو أنَّهم صَـرَّحوا وصَدَعوا به وأُبْتُلُوا كما هو حالُ الأنبِياءِ لَظَهَرَ [أيِ الحَقُّ] وبانَ لِلنَّاسِ جَمِيعًا، ولَتَمَحَّصَ وتَمَيَّزَ بذلك أهلُ الحَـقِّ مِن أهـلِ الباطِـلِ، ولَبُلِّغَتْ رِسـالاتُ اللـهِ، وَلَـزالَ التَّلبِيسُ الحاصِلُ على الناسِ خاصَّةً في الأمُورِ المُهِمَّةِ والخَطِيرةِ في هــذا الزَّمــانِ، وكمــا قِيــلَ {إذَا تَكَلَّمَ الْعَــالِمُ تَقِيَّةً وَالْجَاهِلُ بِجَهْلِه، فَمَتَى يَظهَرُ الْحَقُّ}، وإذا لم يَظهَرْ دِينُ اللهِ وتَوحِيدُه العَمَلِيُّ والاعتِقادِيُّ لِلنَّاسِ فَأَيُّ ثِمَـارٍ تلـك التي يَنتظرُهـا ويَرجُوهـا هـؤلاء الـدُّعاةُ؟!، أهِيَ [إقامـةُ] الدَّولةِ الإسـلامِيَّةِ؟، إنَّ إظهـارَ تَوحِيـدِ اللـهِ الحَـقِّ لِلنَّاسِ وإخـراجَهم مِن ظُلُمـاتِ الشِّـركِ إلى أنـوارِ التَّوحِيـدِ هي الغايَةُ العُظمَى والمَقصودُ الأهَمُّ وإنِ ابْتُلِيَ الدُّعاةُ، وهَلْ يَظهَرُ الدِّينُ إلَّا بِالمُدافَعةِ والبَلاءِ {وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ}، فَبِذلك يَكـونُ إعلاءُ دِينِ اللـهِ وإنقـاذُ النـاسِ وإخـراجُهم مِنَ الشِّـركِ بِـاختِلافِ صُـوَرِه، وهـذه هي الغايَـةُ الـتي يَكـونُ مِن أجلِهـا البَلاءُ وتُنحَـرُ على عَتَباتِهـا التَّضْـحِيَاتُ، ومـا [إقامـةُ] الدَّولـةِ الإسـلامِيَّةِ أصـلًا إلَّا وَسِـيلةٌ مِن وَسـائلِ هـذه الغايَـةِ العُظمَى، وفي قِصَّــةِ أصــحابِ الأُخْــدُودِ عِــبرةٌ لأُولِي الألْبابِ، فإنَّ ذلك الغُلامَ الدَّاعِيَةَ الصادِقَ مـا أقـامَ دَولـةً ولا صَـولةً ولَكِنَّه أظهَـرَ تَوحِيـدَ اللـهِ أيَّمَـا إظهـارٍ وَنَصَـرَ الدِّينَ الحَقَّ نَصرًا مُؤَزَّرًا ونالَ الشَّهادةَ، وما قِيمةُ الحَياةِ

بَعْـدَ ذلـك، ومـا وَزنُ القَتـلِ والحَـرقِ والتَّعـذِيبِ إذا فـازَ الدَّاعِيَـةُ بِـالفَوزِ الأكبَـرِ، كـانَتِ الدَّولـةُ أَمْ لم تَكُنْ، وإنْ حُرِّقَ المُؤمِنون وإنْ خُدَّتْ لهم الأَخَادِيدُ فإنَّهم مُنتَصِرون لِأنَّ كَلِمةَ اللهِ هي الظاهِرةُ والعُلْيَا [بِصَـبْرِهم وثَبَـاتِهم]، أَضِـفْ إلى ذلـك أنَّ الشَّـهادةَ طَـرِيقُهم والجَنَّةَ نُـزُلُهم، فَـأَنْعِمْ بـذلك أَنْعِمْ؛ وبهـذا تَعلَمُ أنَّ قَـولَ أولئـك الجُهَّالِ {إنَّ هـذه الطَّرِيـقَ تَقضِـي على الـدَّعوةِ وتُعجِّلُ بِبَـوارِ ثَمَراتِها} جَهلٌ وإرجافٌ، لِأنَّ هـذه الـدَّعوةَ هي دِينُ اللـهِ الذي وَعَدَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِأَنْ يُظْهِرَهُ عَلَى الـدِّينِ كُلِّهِ وَلَـوْ كَرِهَ الْمُشْـرِكُونَ، وذلـك كـائنٌ لا رَيبَ فيـه، ونُصـرةُ دِينِ اللَهِ وإعلاؤه لَيسَتْ مُتَعَلِّقةً بِأشخاصِ هـؤلاء المُـرجِفِين، تَذهَبُ بِذِهابِهم أو تَهْلِكُ بِهَلاكِهم أو تَوَلِّيهم، قـالَ تَعـالَى {وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْـــتَبْدِلْ قَوْمًـــا غَيْـــرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُـــوا أَمْثَالَكُم}، وهَـا هِيَ دَعَـواتُ الرُّسُـلِ والأنبِيـاءِ وأتبـاعِهم خَيرُ شاهِدٍ في شِعَابِ الزَّمانِ، وقد كانوا أَشَدَّ الناسِ بَلاءً وامتِحانًا وما أثَّرَ ذلـك البَلاءُ في نُـورِ دَعَـواتِهم، بَـلْ مـا زادَهـا إلَّا ظُهـورًا واشـتِهارًا وتَغَلغُلًا في قُلـوبِ النـاسِ وبين صُفوفِهم، وهَا هِيَ إلى اليَومِ ما زالَتْ نُورًا يَهتَدِي به السائرون في طَرِيقِ الدَّعوةِ إلى اللهِ، وهذا هو الحَقُّ الذي لا مِريَةَ فيـه؛ ثم ومـع ذلـك كُلِّه فلا بُـدَّ مِن مَعرِفـةِ قَضِيَّة أخِيرةٍ هنا، وهي أنَّ هـذا الصَّـدْعَ بإظهـارِ العَـداوةِ والبَراءةِ مِنَ الكُفَّارِ المُعانِدِين وإبداءِ الكُفرِ بِمَعبـوداتِهم وباطِلِهم المُتَنَوِّعِ في كُلِّ زَمانٍ، وإنْ كانَ هو الأصلَ في حالِ الدَّاعِيَةِ المُسلِمِ، وهو صِفةُ الأنبِياءِ وطَرِيقُ دَعوَتِهم المُستَقِيمُ الواضِحُ، ولن تُفلِحَ هـذه الـدَّعواتُ [العَصـرِيَّةُ] ولن يَصـلُحَ مُرادُهـا وحالُهـا ولن يَظهَـرَ دِينُ اللـهِ ولن يَعرِفَ النـاسُ الحَـقَّ إلَّا بِـالتِزامِ ذلـك واتِّباعِـه، مـع ذلـك يُقالُ بأنَّه إذا صَدَعَتْ به طائفةٌ مِن أهْلِ الحَقِّ سَقَطَ عن الآخَـرِين (والمُسْتَضْـعَفِينَ منهم مِن بـابٍ أَولَى)، وَذَلِكُمْ [هـــو] الصَّـــدْعُ بـــه، أمَّا هـــو [أَيِ التَّبَـــرُّؤُ مِنَ الكُفَّارِ

ومُعاداتُهم، والكُفرُ بِمَعبوداتِهم وباطِلِهم] بِحَدِّ ذاتِه فَإنَّه واجِبٌ على كُلِّ مُسلِمٍ [فَلا يَسقُطُ بِقِيامِ البَعضِ بِه، بِخِلافِ الصَّدْعِ] في كُلِّ زَمانٍ ومَكانٍ لِأنَّه مِن (لَا إلَهَ إلَّا اللَّهُ) التي لا يَصِحُّ إسلامُ اِمْرِئٍ إلَّا بها، أمَّا أنْ يُهمَلَ ويُلْغَى الصَّدْعُ به كُلِّيَّةً مِن حِسابِ الدَّعَواتِ [العَصرِيَّةِ]، مع أنَّه أصلٌ أصِيلٌ في دَعَواتِ الأنبِياءِ، فَأمْرٌ غَرِيبٌ مُحدَثٌ ليس مِن دِينِ الإسلامِ في شَيءٍ، بَلْ دَخَلَ على هؤلاء الدُّعاةِ الذِين يَدعُون بِغَيرِ هَدْيِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم بِتَقلِيدِهم ومُحاكاتِهم لِلأحزابِ الأرضِيَّةِ [كالأحزابِ العَلْمَانِيّةِ والشُّيُوعِيَّةِ والقَومِيّةِ] وطَرَائقِها، التي تَدِينُ بالتَّقِيَّةِ في كُلِّ أحوالِها ولا تُبالِي بالمُداهَنةِ أو تَتَحَرَّجُ مِنَ النِّفاقِ، واستِثناؤنا هذا [يُشِيرُ الشيخُ هُنَا إلى قَولِه السابِقِ {إذا صَدَعَتْ به طائفةٌ مِن أهْلِ الحَقِّ سَقَطَ عنِ الآخَرِين}] غَيرُ نابِعٍ مِنَ الهَوَى والتَّكتِيكاتِ العَقلِيَّةِ، بَلْ مِنَ النُّصوصِ الشَّرعِيَّةِ النَّقلِيَّةِ الكَثِيرةِ، والمُتَأَمِّلُ لِسِيرةِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم في عَهدِ الاستِضعافِ يَتَجَلَّى لَه ذلك واضِحًا، وانظُرْ على سَبِيلِ المِثالِ لا الحَصرِ قِصَّةَ إسْلَامِ عَمْرِو بْنِ عَبَسَةَ السُّلَمِيِّ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ، وَمَحَلُّ الشَّاهِدِ منها قَولُه {قُلْتُ [الْقَائِلُ هُوَ عَمْرٌو] (إنِّي مُتَّبِعُكَ)، قالَ [صلى الله عليه وسلم] (إنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ يَوْمَكَ هَذَا، أَلَا تَرَى حَالِي وَحَالَ النَّاسِ، وَلَكِنِ اِرْجِعْ إِلَى أَهْلِكَ فَإِذَا سَمِعْتَ بِي قَدْ ظَهَرْتُ فَأْتِنِي)...} الحَدِيثَ، قَالَ النَّوَوِيُّ [في شَرحِ صَحِيحِ مُسْلِمٍ] {مَعْنَاهُ، قُلْتُ لَهُ (إِنِّي مُتَّبِعُكَ عَلَى إِظْهَارِ الإِسْلَامِ هُنَا، وَإِقَامَتِي مَعَكَ)، فَقَالَ (لَا تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ لِضَعْفِ شَوْكَةِ الْمُسْلِمِينَ، وَنَخَافُ عَلَيْكَ مِنْ أَذَى كُفَّارِ قُرَيْشٍ، وَلَكِنْ قَدْ حَصَلَ أَجْرُكَ، فَابْقَ عَلَى إِسْلَامِكَ وَارْجِعْ إِلَى قَوْمِكَ وَاسْتَمِرَّ عَلَى الإِسْلَامِ فِي مَوْضِعِكَ، حَتَّى تَعْلَمَنِي ظَهَرْتُ فَأْتِنِي)}، فهذا واحِدٌ قَدْ أذِنَ له النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم في عَدَمِ إعلانِ وإظهارِ

الدِّينِ، لِأنَّ دِينَ اللهِ ودَعوةَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم كانَتْ مُشتَهِرةً مَعروفةً ظاهِرةً في ذلك الوَقتِ ويَدُلُّكَ على ذلك قَولُه صلى الله عليه وسلم في الحَدِيثِ نَفْسِه {أَلَا تَرَى حَالِي وَحَالَ النَّاسِ}، و[انظُرْ أيضًا] قِصَّةَ إِسْلَامِ أَبِي ذَرٍّ في الْبُخَارِيِّ، وَمَحَلُّ الشَّاهِدِ منها قَولُه صلى الله عليه وسلم له {يَا أَبَا ذَرٍّ اكْتُمْ هَذَا الأَمْرَ وَارْجِعْ إِلَى بَلَدِكَ، فَإِذَا بَلَغَكَ ظُهُورُنَا فَأَقْبِلْ...} الحَدِيثَ، ومع هذا فقد صَدَعَ به أَبُو ذَرٍّ بين ظَهْرَانَيِ الكُفَّارِ مُتابَعةً منه لِهَدْيِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وطَرِيقَتِه في ذلك، ومع أنَّهم ضَرَبوه لِيَمُوتَ كَما جاءَ في الحَدِيثِ [يَعْنِي قَولَ أَبِي ذَرٍّ {فَقَامُوا، فَضُرِبْتُ لِأَمُوتَ، فَأَدْرَكَنِي الْعَبَّاسُ، فَأَكَبَّ عَلَيَّ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِمْ فَقَالَ (وَيْلَكُمْ تَقْتُلُونَ رَجُلًا مِنْ غِفَارَ وَمَتْجَرُكُمْ وَمَمَرُّكُمْ عَلَى غِفَارَ)، فَأَقْلَعُوا عَنِّي}]، ومع تِكْرارِه لذلك الصَّدْعِ، فَإنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم لم يُنكِرْ عليه فِعْلَه ذلك، ولا خَذَّلَه، ولا قالَ له كما يَقولُ دُعاةُ زَمانِنا [مِن أَدْعِيَاءُ السَّلَفِيَّةِ (الذِين يَحمِلُون فِكْرَ المُرْجِئَةِ) وجَمَاعةِ الإخوانِ المُسلِمِين (الذِين يَحمِلُون فِكْرَ المَدْرَسَةِ العَقْلِيَّةِ الاعْتِزالِيَّةِ)] {إنَّك بِفِعلِكَ هذا سَتُبَلبِلُ الدَّعوةَ وسَتُثِيرُ فِتنةً وتَضُرُّ مَصلَحةَ الدَّعوةِ} أو {أَخَّرْتَ الدَّعوةَ مِائَةَ سَنَةٍ}، حاشاه مِن أنْ يَقولَ مِثلَ ذلك فهو قُدوةُ الناسِ كافَّةً وأُسوَتُهم إلى يَومِ القِيامةِ في هذا الطَّرِيقِ... ثم قالَ -أيِ الشيخُ المقدسي-: فائدةٌ أُخرَى مُهِمَّةٌ، وهي جَوازُ مُخادَعةِ الكُفَّارِ وتَخَفِّي بَعضِ المُسلِمِين بين صُفوفِهم أثناءَ المُواجَهةِ والقِتالِ إذا ما كانَ الدِّينُ ظاهِرًا وأصلُ الدَّعوةِ مُشتَهِرًا، فَفِي هذه الأحوالِ يَصِحُّ الاستِشهادُ بِحادِثةِ قَتلِ كَعْبِ بْنِ الأَشْرَفِ [يَعْنِي الحادِثةَ التي فيها قامَ الصَّحابةُ (أَبُو نَائِلَةَ "أَخُو كَعْبٍ مِنَ الرَّضَاعَةِ"، ومُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ "ابْنُ أُخْتِ كَعْبٍ"، وأَبُو عَبْسِ بْنُ جَبْرٍ، وَالْحَارِثُ بْنُ أَوْسٍ، وَعَبَّادُ بْنُ بِشْرٍ)

رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ بِـدُخولِ بَنِي النَّضِـيرِ والاحتِيـالِ على كَعْبٍ لاغْتِيالِه. وقَدْ قالَ الشيخُ سيد إمام في (العمدة في إعداد العدة): إنَّ مُحَمَّدَ بْنَ مَسْلَمَةَ ومَن معه أَوْهَموا كَعْبًا بِضَيْقِهم بـالنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم واحتالوا عليه حتى قَتَلوه. انتهى. وقالَ الشيخُ أبو سلمان الصومالي في (هَتكُ أستارِ الإفكِ عن حَدِيثِ "الإيمَانُ قَيَّدَ الْفَتْكَ"): ويَقولُ الإمامُ الْبَغَوِيُّ [ت516هـ] رَحِمَه اللهُ [في (شَرْحُ السُّنَّةِ)] في اِغتِيَالِ اِبْنِ الأَشْرَفِ {وفِي الْحدِيثِ دَلِيلٌ على جَوَازِ قَتلِ الْكَافِرِ الَّذِي بَلَغَتْه الدَّعْوَةُ بَغْتَةً وعَلى غَفلَةٍ مِنْهُ}... ثم قالَ -أي الشيخُ الصومالي-: إنَّ دَمَ الحَربِيِّ إنَّما يَحرُمُ بِالتَّأمِينِ، لا بِاغتِرارِه وغَفلَتِه، وهو قَولُ العُلَماءِ قاطِبةً، فاللَّهُ المُستَعانُ فَقَدِ اُبتُلِينا في هذا العَصرِ بِمَن يُلجِئُك إلى تَقرِيرِ البَدِيهِيَّاتِ وشَرحِ الضَّرورِيَّاتِ! [قالَ الشَّيخُ محمدُ بنُ شمس الدين في (مَن كَفَّرَ الأشعَرِيَّةَ؟): ولِكَونِنا في زَمانٍ نَحتاجُ فيه إلى بَيَانِ ما يَراه العُقَلاءُ مِنَ البَدَهِيَّاتِ.... انتهى. وقالَ الشيخُ عبدُالله الخليفي في (تَقوِيمُ المُعاصِرِين): النَّاسُ اليَوْمَ يُنازِعون حتى في البَدِيهِيَّاتِ... ثم قالَ -أي الشَّيخُ الخليفي-: يَحتاجُ المَرْءُ في هذا الزَّمانِ إلى إنفاقِ وَقْتٍ طَوِيلٍ في تَوضِيحِ الواضِحاتِ، وذلك أنَّ البَلادةَ قَدِ اِستَولَتْ على عُقولِ الكَثِيرِين. انتهى. وقالَ الشَّيخُ حسام الحفناوي في مَقالةٍ له على هذا الرابط: فَإنَّ تَوضِيحَ الواضِحاتِ مِن أعْضَلِ المُعْضِلاتِ، وتَبيِينَ المُسَلَّماتِ مِن أشْكَلِ المُشْكِلاتِ، وَكَمْ مِنَ الواضِحاتِ تَمَسُّ الحاجةُ إلى تَوضِيحِها عند فُشُوِّ الجَهلِ! وَكَمْ مِنَ المُسَلَّماتِ يَلْزَمُ أهلَ الحَقِّ تَبيِينُها إذا رُفِعَ العِلْمُ!. انتهى. وقالَ الشَّيخُ محمد تقي الدين الهلالي في مَقالةٍ له على هذا الرابط: وتَوضِيحَ الواضِحاتِ مِنَ الفاضِحاتِ!. انتهى]. انتهى باختصار. وقالَ الشيخُ أبو سلمان الصومالي أيضًا

في (اِستِيفاءُ الأقوالِ في المَأخوذِ مِن أهلِ الحَربِ تَلَصُّصًا، مِنَ الأنفُسِ والأموالِ): فالمُخادَعةُ بِالأفعالِ والأقوالِ، ثم القَتلُ أو الاستِيلاءُ على الأموالِ، لا يُعتَبَرُ غَدْرًا، إذا لم تَكُنْ [أيِ الأفعالُ والأقوالُ] صَرِيحةً في التَّأمِينِ؛ فَإنَّ اِبنَ مَسْلَمَةَ ومَن معه رَضِيَ اللهُ عنهم خَدَعوه [أيْ خَدَعوا كَعْبَ بْنَ الأَشْرَفِ] فَأظهَروا له غَيْرَ ما أَخْفَوْه فَتَوَهَّمَ الأمانَ بِتَأنِيسِهم واستِقراضِهم [أيْ بِمُلاطَفَتِهم له، ومُطالَبَتِهم إيَّاه بِإقراضِهم] ولم يَرَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم ذلك [أيْ قَتلَ كَعْبِ بْنِ الأَشْرَفِ بَعْدَ إيهامِه بِالأمانِ] غَدْرًا بَلْ أقَرَّه وأثنَى عليهم؛ والْبُخَارِيُّ في كِتابِ (الجِهادِ) بابِ (الكَذِبِ في الحَربِ) عَدَّ ما فُعِلَ بالأَشْرَفِ كَذِبًا وخِداعًا لا تَأمِينًا وغَدْرًا؛ ويَقولُ الحافِظُ اِبْنُ حَجَرٍ [في (فَتْحُ البارِي)] {وَلَمْ يَقَعْ لِأحَدٍ مِمَّنْ تَوَجَّهَ إِلَيْهِ تَأْمِينٌ لَهُ بِالتَّصْرِيحِ، وَإِنَّمَا أَوْهَمُوهُ ذَلِكَ وَآنَسُوهُ حَتَّى تَمَكَّنُوا مِنْ قَتْلِهِ}؛ وقالَ الحافِظُ بدرُ الدين العيني [في (عمدة القاري شرح صحيح البخاري)] {فَإِنْ قُلْتَ (أَمَّنَهُ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ)، قُلْتُ (لَمْ يُصَرِّحْ لَهُ بِأَمَانٍ فِي كَلَامِهِ، وَإِنَّمَا كَلَّمَهُ فِي أَمْرِ الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ، وَالشِّكَايَةِ إِلَيْهِ، وَالاسْتِينَاسِ بِهِ، حَتَّى تَمَكَّنَ مِنْ قَتْلِهِ)}... ثم قالَ -أيِ الشيخُ الصومالي-: وعَبْدُاللَّهِ بْنُ أُنَيْسٍ الجُهَنِيُّ قَتَلَ خَالِدَ بْنَ سُفْيَانَ الْهُذَلِيِّ بَعْدَ ما اِستَضافَه [أيْ بَعْدَ ما اِستَضافَه خالِدٌ] ورَحَّبَ به... ثم قالَ -أيِ الشيخُ الصومالي-: طَلَبَ اِبْنُ أُنَيْسٍ رَضِيَ اللهُ عنه المَبِيتَ والضِّيَافةَ فَرَحَّبَ [أيِ الْهُذَلِيُّ] به، وقَصدُه [أيْ وكانَ قَصدُ اِبْنِ أُنَيْسٍ] اِغتِيالُه. انتهى باختصار] وأمثالِها، أمَّا أنْ يُضَيِّعَ كَثِيرٌ مِنَ الدُّعاةِ أعْمارَهم في جُيوشِ الطَّواغِيتِ مُوَالِينَ مُدَاهِنِينَ يَحْيَوْنَ وَيَمُوتُونَ وَهُمْ في خِدْمَتِهم وخِدْمةِ مُؤَسَّساتِهم الخَبِيثةِ بِحُجَّةِ الدَّعوةِ ونَصْرِ الدِّينِ فيُلَبِّسُوا على الناسِ دِينَهم ويَقْبُروا التَّوحِيدَ،

فهذه السُّبُلُ في المَغرِبِ ودَعوةُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وهَدْيُه عنها في أقاصِي المَشرِقِ، فَمِلَّةُ إبراهِيمَ هي طَرِيقُ الدَّعوةِ الصَّحِيحةِ، التي فيها مُفارَقةُ الأحبابِ وقَطعِ الرِّقابِ، أمَّا غَيرُها مِنَ الطَّرائقِ والمَناهِجِ المُلتَوِيَةِ والسُّبُلِ المُعْوَجَّةِ المُنحَرِفةِ تلك التي يُرِيدُ أصحابُها إقامةَ دِينِ اللهِ دُونَ أنْ يَستَغنوا عنِ المَراكِزِ والمَناصَبِ ودُونَ أنْ يُغضِبوا أصحابَ السُّلطانِ أو يَفقِدوا القُصورَ والنِّسوانَ والسَّعادةَ في الأهلِ والبُيوتِ والأوطانِ، فَلَيسَتْ مِن مِلَّةِ إبراهِيمَ في شَيءٍ وإنِ اِدَّعَى أصحابُ هذه الدَّعواتِ أنَّهم على مَنهَجِ السَّلَفِ ودَعوةِ الأنبِياءِ والمُرسَلِين، فَواللهِ لقد رَأيْناهُمْ، رَأيْناهُمْ كَيفَ يَبَشُّون في وُجوهِ المُنافِقِين والظالِمِين بَلْ والكُفَّارِ المُحادِّين للهِ ورَسولِه، لا لِدَعَوتِهم ورَجاءِ هِدايَتِهِم، بَلْ يُجالِسونهم مُداهَنةً وإقرارًا لِباطِلِهم ويُصَفِّقون لهم ويَقُومون لهم إكرامًا يُبَجِّلونهم ويَدعُونهم بِألْقابِهم، نَحْوِ صاحِبِ الجَلالةِ والمَلِكِ المُعَظَّمِ والرَّئِيسِ المُؤْمِنِ وصاحِبِ السُّمُوِّ، بَلْ وإمامِ المُسلِمِين وأمِيرِ المُؤْمِنِين [قالَ الشيخُ المقدسي هُنَا مُعَلِّقًا: فائدةٌ مُهِمَّةٌ [هُنَا] تَفضَحُ عُلَماءَ الحُكوماتِ، اِعْلَمْ عافانا اللهُ وإيَّاكَ مِن تَلبِيسِ المُلَبِّسِين أنَّ ما يَفعَلُه كَثِيرٌ مِنَ الجُهَّالِ -وإنْ لُقِّبوا بالمَشايِخِ وتَمَسَّحوا بالسَّلَفِيَّةِ- مِن تَلقِيبِ كَثِيرٍ مِن طُغاةِ هذا الزَّمانِ بِلَقَبِ (أمِيرِ المُؤمِنِين) أو (إمام المُسلِمِين)، إنَّما يَنهَجون بذلك نَهْجَ الخَوارِجِ والمُعتَزِلةِ في عَدَمِ اِعتِبارِ شَرطِ القُرَشِيَّةِ في الإمامِ، و[قَدْ] نَقَلَ الحافِظُ اِبْنُ حَجَرٍ في الفَتحِ عَنِ الْقَاضِي عِيَاضٍ قَولَه {اشْتِرَاطُ كَوْنِ الإِمَامِ [المرادُ هنا الإمَامَةُ العُظْمَى (أيِ الخِلَافةُ)، وليس إمامةَ العِلْمِ] قُرَشِيًّا مَذْهَبُ الْعُلَمَاءِ كَافَّةً، وَقَدْ عَدُّوهَا فِي مَسَائِلِ الإِجْمَاعِ، وَلَمْ يُنْقَلْ عَنْ أَحَدٍ مِنَ السَّلَفِ فِيهَا خِلَافٌ وَكَذَلِكَ مَنْ بَعْدَهُمْ فِي جَمِيعِ الأَمْصَارِ، وَلَا اعْتِدَادَ بِقَوْلِ

الْخَــوَارِجِ وَمَنْ وَافَقَهُمْ مِنَ الْمُعْتَزِلَــةِ}؛ [وَقَــدْ] رَأَيْتُ الشيخَ عَبدَاللهِ أبا بُطَين [مُفْتِي الدِّيَارِ النَّجْدِيَّةِ، الْمُتَوَفَّى عامَ 1282هـ]، وهو مِن عُلَماءِ الدَّعوةِ النَّجدِيَّةِ، يَـرُدُّ على بَعضِ المُعارِضِــين المُنكِــرِين لِتَلقِيبِ الشــيخِ محمــد بنِ عبدالوهاب [ت1206هـ] وعبدِالعزيز بنِ محمد بنِ سـعود [ثانِي حُكَّامِ الدَّولـةِ السُّعودِيَّةِ الأُولَى، وقـد تُـوُفِّيَ عـامَ 1218هـ] بِلَقَبِ (الإمام) وَهُمَا غَيرُ قُرَشِيَّينِ، يَقــولُ [أَيِ الشيخُ أبو بُطَين] {ومحمد بْنُ عبدالوهاب رَحِمَه اللهُ مــا اِدَّعَى إمامَةَ الأُمَّةِ، وإنَّما هو عالِمٌ دَعَا إلى الهُدَى وقاتَـلَ عليه، ولم يُلَقَّبْ في حَيَاتِه بِـ (الإمام) ولا عبــدُالعزيز بنُ محمد بن سـعود، مـا كـانَ أَحَـدٌ في حَيَاتِـه منهم يُسَـمَّى (إمامًـا)، وإنمــا حَـدَثَ تَسـمِيَةُ مَن تَــوَلَّى (إمامًــا) بَعْـدَ مَوْتِهما}، فَانظُرْ إلى هذا العالِمِ الرَّبَّانِيِّ كَيفَ يَتَبَــرَّأُ مِن ذلك ويُنكِرُه رَغْمَ أنَّ المَـذكورَين كانـا مِن دُعـاةِ الهُـدَى، ولا يُكـابِرُ مُكـابَرةَ كَثِيـرٍ مِن مَشـايِخِ الحُكومـاتِ في هـذا الزَّمانِ الذِين يُصِرُّون على تَسمِيَةِ طَواغِيتِهم بـ (الإمام) و(أَمِير المُؤمِنِين)، فَبُشْــراهم بِــأَنَّهم على نَهْجِ الخَـوارِجِ سائرون، ذلك الوَصْفُ الذي طالَما رَمَوْا بــه طَلَبــةَ العِلْمِ ودُعاةَ الحَقِّ الـذِين يُنابِـذون طَـواغِيتَهم، وهـذا بالنِّسـبةِ لِشَــرطِ القُرَشِــيَّةِ، فَكَيــفَ إذا اِنضَــمَ إلى ذلــك اِنعِـدامُ العَدالةِ والعِلْمِ والحِكمةِ وغيرِ ذلك مِن شُروطِ الإمامةِ؟!، وكَيفَ إذا عُدِمَ الإسلامُ والإيمانُ؟!. انتهى باختصار] مــع أنَّهم حَربٌ على الإسلامِ والمُسـلِمِين!، نَعَمْ، واللــهِ لقــد رَأَيْناهُمْ يَغْدُو أَحَدُهم ويَرُوحُ [أَيْ يَذهَبُ أحَـدُهم ويَجِيءُ]، يَبِيعُ دِينَه بأقَلِّ مِن جَناحِ بَعوضـةٍ، يُمْسِــي مُؤمِنًــا يَـدْرُسُ التَّوحِيــدَ ورُبَّمــا دَرَّسَــه، ويُصْــبِحُ يُقسِــمُ على اِحتِــرامِ الدُّســتُورِ بِقَوانِينِــه الكُفرِيَّةِ ويَشــهَدُ بِنَزاهــةِ القــانونِ الوَضعِيِّ وَيُكَثِّرُ سَوادَ الظالِمِين ويَلقـاهُمْ بِوَجـهٍ مُنبَسِـطٍ ولِسانٍ عَذْبٍ، مع أنَّهم [أَيْ دُعـاةَ زمَانِنـا] يَمُـرُّون بِآيَـاتِ اللــهِ اللَّيــلَ والنَّهــارَ تَنْهـاهُمْ عنِ الرُّكــونِ لِلظّالِمِين أو

طاعَتِهم والرِّضَـا عن بَعضِ بـاطِلِهم، فَهُمْ يَقـرَأُونَ هـذه الآيَــاتِ كَقَولِــه تَعــالَى {وَلَا تَرْكَنُــوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُــوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ}، وقَولِه عَزَّ وجَلَّ {وَقَـدْ نَـزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَـا وَيُسْـتَهْزَأُ بِهَـا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُـوا فِي حَـدِيثٍ غَيْـرِهِ، إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ...} الآيَةَ، يَقُولُ الشيخُ سليمانُ بنُ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب [في رِسالَتِه (فُتْيَا في حُكمِ السفرِ إلى بلادِ الشركِ)] في مَعنَى قَولِه تَبَـارَكَ وتَعـالَى (إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ) {الآيَةُ على ظاهِرِها، وهو أنَّ الرَّجُلَ إذا سَمِعَ آيَاتِ اللهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْـتَهْزَأُ بِهَـا فجَلَسَ عنـد الكـافِرِين المُسـتَهزِئِين مِن غَـيرِ إكـراهٍ ولا إنكـارٍ ولا قِيَـامٍ عنهم حتى يَخوضوا في حَدِيثٍ غَيرِه، فهو كافِرٌ مِثْلَهُمْ وإنْ لم يَفعَلْ فِعْلَهم} [قالَ الشيخُ أبـو سـلمان الصـومالي في (الفتاوي الشرعية عن الأسئلة الجيبوتية): الجُلوسُ في مَجـالِسِ الاسـتِهزاءِ والكُفـرِ بِآيَـاتِ اللـهِ كُفـرٌ. انتهى]، ويَزعُمـون [أَيْ دُعـاةُ زمَانِنـا] أنَّهم على مَنهَجِ السَّـلَفِ، والسَّلَفُ كانوا يَفِرُّون مِن أبوابِ السَّـلاطِينِ ومَناصِـبِهم في عَهْـدِ أربـابِ الشَّـرِيعةِ والهُـدَى لا في عُهـودِ الجَـوْرِ والظُّلُماتِ!، وَوَاللـهِ مـا وُضِـعَ السَّـيْفُ على رِقـابِهم ولا عُلِّقـوا مِن أرجُلِهم ومـا أُجْبِـرُوا على ذلـك، بَـلْ فَعَلـوه مُخْتـارِين ومُنِحـوا عليـه الأمـوالَ الطائلـةَ والحَصـاناتِ الدِّبْلُوماسِـيَّةَ، فَنَعـوذُ بِاللـهِ مِن هَـوَى النُّفـوسِ وطَمْسِ البَصائرِ، وَلَيتَهُمْ أعلَنوهـا وقـالوا {فَعلَناهـا حِرصًـا على الدُّنْيَا}، بَـلْ يَقولـون {مَصـلَحةُ الـدَّعوةِ ونَصْـرُ الـدِّينِ}، فَعَلَى مَن تَضحَكون يَا مَسـاكِينِ؟!، أعَلَينـا نحن الضُّـعَفاءِ (فإنَّنا وأمثالَنا لا نَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا ولا نَفعًـا)، أمْ على جَبَّارِ السَّمَواتِ والأرْضِين (الذي لا تَخفَى عليـه خافِيَـةٌ، ويَعلَمُ سِرَّكُمْ ونَجواكُمْ)؟!، ولقد سَمِعناهم يَرمُون مَن خالَفَهم أو أنكَرَ عليهم ذلك، بِضَـحالةِ الفِكْـرِ وقِلَّةِ الخِـبرةِ وأنَّهم ليس عنـدهم حِكمـةٌ في الـدَّعوةِ ولَا صَـبْرٌ في اِقتِطـافِ

الثَّمَــرِ أو بَصِــيرةٌ في الواقِــعِ والسُّــنَنِ الكَونِيَّةِ وأنَّهم يَنقُصُهم عِلْمٌ بِالسِّيَاسةِ وعِندهم قُصورٌ في التَّصَــوُّراتِ، وما دَرَى هؤلاء المَساكِينُ أنَّهم لا يَرمُون بذلك أشخاصًــا مُحَدَّدِين، وإنَّما يَرمُون بذلك دِينَ جَمِيـعِ المُرْسَـلِين ومِلَّةَ إبراهِيمَ التي مِن أَهَمِّ مُهِمَّاتِهـا إبـداءُ البَـراءةِ مِن أعـداءِ اللهِ والكُفرِ بهم وبِطَـرائِقِهم المُعْوَجَّةِ وإظهـارُ العَـداوةِ والبَغضاءِ لِمَناهِجِهم الكـافِرةِ، ومـا دَرَوْا أنَّ كَلامَهم ذلـك يَقتَضِي أنَّ إبراهِيمَ والـذِين معـه لم يَكُنْ عنـدهم حِكمـةٌ بِالــدَّعوةِ ولا دِرايَــةٌ بِــالواقِعِ وأنَّهم كــانوا مُتَطَــرِّفِين مُتَسَــرِّعِين، مـعِ أنَّ اللـهَ عَـزَّ وجَـلَّ قـد زَكَّاهم وأمَرَنـا بالتَّأَسِّـي بهم فَقـالَ {قَـدْ كَـانَتْ لَكُمْ أُسْـوَةٌ حَسَـنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ}، وقالَ سُبْحانَهُ {وَمَنْ أَحْسَـنُ دِينًـا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَـهُ لِلَّهِ وَهُـوَ مُحْسِـنٌ وَاتَّبَـعَ مِلَّةَ إِبْـرَاهِيمَ حَنِيفًا، وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا}، ونَزَّهَ سُبْحانَهُ إبراهِيمَ مِنَ السَّفَهِ فَوَصَفَه بالرُّشدِ فَقالَ {وَلَقَـدْ آتَيْنَـا إِبْـرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ}، [وَ]بَيَّنَ سُبْحانَهُ أنَّ مِلَّةَ إبراهِيمَ لا يَرغَبُ عنها إلَّا السَّـفِيهُ [فَقـالَ تَعـالَى {وَمَن يَـرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْـرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَــفِهَ نَفْسَــهُ}]، وأَنَّى لِلسَّفِيهِ حِكْمةُ الدَّعوةِ ووُضوحُ التَّصَوُّراتِ وصِــحَّةُ المَنهَجِ واستِقامةُ الطَّرِيـقِ المَزعومـةُ؟!... ثم قـالَ -أيِ الشـيخُ المقدســـي-: واعْلَمْ ثَبَّتنــا اللـــهُ وإيَّاكَ على صِــراطِه المُســتَقِيمِ أنَّ البَــراءةَ والعَــداوةَ الــتي تَقتَضِــي مِلَّةُ إبراهِيمَ إعلانَها وإبداءَها لِأهلِ الكُفرِ وَمَعبوداتِهم، تُكَلِّفُ الكَثِيرَ الكَثِيرَ، فَلا يَظُنُّ ظانٌّ أنَّ هـذه الطَّرِيـقَ مَفروشـةٌ بِالوَرْدِ والرَّيَاحِينِ أو مَحفوفـةٌ بِالراحـةِ والدَّعـةِ، بَـلْ هي واللهِ مَحفوفةٌ بالمَكارِهِ والابتِلاءاتِ ولَكِنَّ خِتَامَهـا مِسْـكٌ وَرَوحٌ وَرَيْحَـانٌ ورَبٌّ غَيْـرُ غَضْـبَانَ، ونحن لا نَتَمَنَّى البَلاءَ لأنْفُسِـنا ولا لِلمُسـلِمِين، ولَكِنَّ البَلاءَ هـو سُـنَّةُ اللـهِ عَـزَّ وجَـلَّ في هـذه الطَّرِيـقِ، لِيَمِـيزَ بـه الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ، فهي الطَّرِيقُ التي لا تُرْضِي أصحابَ الهَـوَى و[أصـحابَ]

السُّلطانِ لِأنَّها مُصادَمةٌ صَرِيحةٌ لِـواقِعِهم؛ أمَّا غَـيرُ هـذه الطَّرِيقِ، فإنَّك تَجِدُ أصحابَها في الغالِبِ مُترَفِين ولِلـدُّنْيَا راكِنِين، لا يَبدو عليهم أَثَـرُ البَلاءِ، لِأن المَـرءَ إنَّمـا يُبتَلَى على قَـدْرِ دِينِـه؛ فَأَشَـدُّ النـاسِ بلاءً الأنبيـاءُ ثم الأمْثَـلُ فالأمْثَلُ، وأتْباعُ مِلَّةِ إبراهِيمَ مِن أشَـدِّ النـاسِ بَلاءً لأنَّهم يَتَّبِعـون مَنهَجَ الأنبِيـاءِ في الـدَّعوةِ إلى اللـهِ، كمـا قـالَ وَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ لِلنَّبِيِّ صلى اللـه عليـه وسـلم {لَمْ يَـأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَـا جِئْتَ بِـهِ إِلَّا عُـودِيَ}؛ فـإنْ رَأَيْتَ في زَمانِنا مَن يَزعُمُ أنَّه يَدعو لِمِثلِ ما كانَ يَـدعو إليـه النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم وبِمِثلِ طَرِيقَتِـه، ويَـدَّعِي أنَّه علَى مَنهَجِه، ولا يُعادَى مِن أَهْـلِ الباطِـلِ و[أهْـلِ] السُّـلْطانِ، بَلْ هو مُطمَئنٌّ مُرْتَاحٌ بين ظَهْرَانَيْهِمْ، فـانظُرْ في حالِـه، إمَّا أنْ يَكونَ ضالًّا عنِ الطَّرِيقِ (لم يَأْتِ بِمِثلِ ما جـاءَ بـه النَّبِيُّ صـلى اللـه عليـه وسـلم، واتَّخَـذَ سُـبُلًا مُعْوَجَّةً) أو يَكـونَ كاذبًا في دَعـواه يَتَزَيَّا بِمـا ليس هـو أهلًا أنْ يَتَزَيَّا به، إما لِهَوًى مُطاعٍ وإعجابِ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِه، أو لِـدُنْيَا يُصِيبُها (كأنْ يَكونَ جاسوسًـا وعَيْنًـا لِأصـحابِ السُّـلْطانِ على أهلِ الدِّينِ)؛ فارْجِعْ إلى نَفْسِكَ واعْرِضْ عليها هـذا الطَّرِيـقَ، فإمَّا أنْ تَكـونَ مِن قَـومٍ يَصـبِرون على ذلـك فَخُذْهَا بِحَقِّهَا واسـألِ اللـهَ عَـزَّ وجَـلَّ أنْ يُثَبِّتَـكَ على مـا يَعقُبُهـا مِن بَلاءٍ، أو إنَّكَ مِن قَـومٍ يَخـافون مِن أنْفُسِـهم خِيفةً ولا تَرَى مِن نَفْسِـكَ القُـدرةَ على القِيـامِ والصَّـدْعِ بهذه المِلَّةِ فَذَرْ عنـك التَّزَيِّيَ بِـزِيِّ الـدُّعاةِ وأَغْلِـقْ عليـكَ بَيْتَكَ وأقْبِلْ على خاصَّةِ أمْـرِكَ ودَعْ عنـك أمْـرَ العامَّةِ، أوِ اِعْتَـزِلْ فِي شِـعْبٍ [وَهُـوَ مَـا انْفَـرجَ بَيْن جَبَلَيْنِ] مِنَ الشِّعَابِ بِغُنَيْمَاتٍ لكَ، فإنَّه واللهِ أَعْذَرُ لك عند اللهِ، نَعَمْ، إنَّ ذلكَ أَعْـذَرُ لـك عنـد اللـهِ مِن أنْ تَضحَكَ على نَفْسِـكَ وعلى الناسِ -إذْ لا تَقْوَى [أَيْ لا تَقْدِرُ] على القِيامِ بِمِلَّةِ إبراهِيمَ- فَتَتَصَـدَّرُ لِلـدَّعوةِ بِطُـرُقٍ مُعْوَجَّةٍ وتَهتَـدِي بِغَـيرِ هَـدْيِ النَّبِيِّ صـلى اللـه علَيـه وسـلم مُجـامِلًا مُـداهِنًا

لِلطَّواغيتِ كاتِمًا غَيرَ مُظهِرٍ لِلعَداوةِ لهم ولا لِباطِلِهم، فَواللهِ ثم واللهِ، إنَّ الذي يَعتَزِلُ فِي شِعْبٍ مِنَ الشِّعَابِ بِغُنَيْمَاتٍ لَهُوَ خَيْرٌ وأهْدَى سَبِيلًا مِنْكَ سَاعَتَئِذٍ... ثم قالَ -أيِ الشيخُ المقدسي-: ولقد رَأَيْنَاهُمْ [أَيْ دُعاةَ زمَانِنا] كَثِيرًا يَسْخَرون مِمَّن تَبَيَّنَتْ لهم انحِرافاتُهم وسُبُلُهم المُعْوَجَّةُ فأعرَضوا عنهم [أَيْ عن دُعاةِ زَمَانِنا] وعن دَعَواتِهم تلك التي على غَيرِ مِنهاجِ النُّبُوَّةِ، رَأَيْنَاهُمْ [أَيْ دُعاةَ زمَانِنا] يَسْخَرون منهم لِاعتِزالِهم، ويَلْمِزونهم بالقُعودِ والرُّكونِ إلى الدُّنْيَا والتَّقصِيرِ في الدَّعوةِ إلى اللهِ، وإذا كانَ الأمرُ كذلك، فَأَيَّةُ دَعوةٍ هذه التي قَصَّرَ فيها هؤلاء [الذِين اِعْتَزَلُوا]؟، دَعوَتُكم هذه التي تَلِجُون بها الجَيْشَ والشُّرطَةَ ومَجالِسَ الأُمَّةِ والبَرْلَماناتِ الشِّركِيَّةَ وغيرَ ذلك مِنَ الوَظائفِ [قالَ الشيخُ الألباني في فتوى صَوتِيَّةٍ مُفَرَّغةٍ لـه على هـذا الرابط: الشَّبَابُ اليَومَ في كُلِّ بِلَادِ الإسلامِ إلَّا ما نَدَرَ اِعتادُوا أنْ يَعِيشوا عَبِيدًا لِلحُكَّامِ... ثم قالَ -أيِ الشيخُ الألباني-: أنْ يُصبِحَ المُسلِمُ مُوَظَّفًا في الدَّولةِ، فمَعْنَى ذلك أنْ يَصِيرَ عَبْدًا لِلدَّولةِ... ثم قالَ -أيِ الشيخُ الألباني-: نَنْصَحُ الشَّبَابَ المُسلِمَ أنْ يَبْتَعِدَ عن وَظائفِ الدَّولةِ. انتهى باختصار. وقالَ الشيخُ أبو محمد المقدسي في (الرِّسالةُ الثَّلاثِينِيَّةُ): (جُهَيْمانُ) رَحِمَه اللهُ ومَن كانوا معه، فَقَدْ خالَطْتُ جَماعَتَه مُدَّةً، وقَرَأْتُ كُتُبَهم كُلَّها، وعِشْتُ معهم وعَرَفْتُهم عن قُربٍ، فَـ (جُهَيْمانُ) رَحِمَه اللهُ لم يَكُنْ يُكَفِّرْ حُكَّامَ اليَومِ لِقِلَّةِ بَصِيرَتِه في واقِعِ قَوانِينِهم وكُفرِيَّاتِهم، وكذلك كانَ أمْرُ الحُكَّامِ السُّعودِيِّين عنده، وقد صَرَّحَ بِذلك في كِتاباتِه، ولَكِنَّه كانَ بِالفِعْلِ سَخْطَةً عليهم وغُصَّةً في حُلُوقِهم وأشَدَّ عليهم مِن كَثِيرٍ مِمَّن يُكَفِّرونهم، فَكانَ يَطْعَنُ في بَيْعَتِهم ويُبطِلُها، ولا يَسكُتُ عن شَيءٍ مِن مُنكَراتِهم التي يَعرِفُها، حتى خَرَجَ في آخِرِ أَمْرِه عليهم وقاتَلَهم هو ومَن كانوا معه في عامِ

1400هـ، والذي أُرِيدُ قَولَه هنا، أنَّ الرَّجُلَ مع أنَّه لم يَكُنْ يُكَفِّرُهم، فَهــو لم يَكُنْ يُــوالِيهم أو يُحِبُّهم، بَــلْ كــانَ يُعــادِيهم ويُبغِضُــهم ويُنــازِعُهم ويَطعَنُ في بَيْعَتِهم، ويَعتَـزِلُ هـو وجَماعَتُـه وظـائفَهم الحُكومِيَّةَ كُلَّهـا، كَمـا اِعتَزَلـوا مَدارِسَـهم وجامِعـاتِهم، ثم قـاتَلوهم في آخِـرِ الأَمْـرِ. انتهى باختصـار. وقـالَ الشـيخُ محمـد بن سـعيد الأندلسـي في (الكَواشِـفُ الجَلِيَّةُ): فالنَّاسُ اليَـوْمَ قـد دَخَلوا في دِينِ الدِّيمُقْراطِيَّةِ عن بَكرةِ أبِيهم إلَّا مَن رَحِمَ اللـهُ، وأظهَـروا المُوافَقـةَ والاتِّبـاعَ لِأوضـاعِه والانقِيـادَ لِقَوانِينِــه وأحكامِــه، والتَحَقــوا بِمَدارِسِــه وجامِعاتِــه، وتَوَظَّفــوا في مُؤَسَّســاتِه وقِطاعاتِه، وانتَسَــبوا إلى الوَطَنِ فَلَهُمْ حُقوقُ المُواطَنـةِ وعليهم واجِباتُهـا ومنهـا الـدِّفاعُ عنِ الـوَطَنِ والإعـدادُ لِـذلك بِالخِدمـةِ الإلزامِيَّةِ والمُشــارَكةُ في العَمَلِيَّةِ السِّيَاسِــيَّةِ وإقامــةُ أركــانِ الطَّاغوتِ في الأرضِ ويُسَــــمُّونها (بِنــــاءَ الــــوَطَنِ) فالمُواطَنـةُ هي اِنتِسـابٌ إلى الجاهِلِيَّة ودُخـولٌ في دِينِ الدِّيمُقْراطِيَّةِ. انتهى. وقـالَ الشَّـيخُ جُهَيْمـانُ في (رَفْـعُ الالتِبــاسِ عن مِلَّةِ مَن جَعَلَــه اللــهُ إمامًــا لِلنَّاسِ): إنَّ الطائفةَ الناجِيَةَ التي ذَكَرَها النَّبِيُّ صلى الله عليـه وآلـه وسـلم، مِن صِـفاتِها أنَّهـا ظـاهِرةٌ على الحَـقِّ ولَيسَـتْ مُختَفِيَةً مُستَتِرةً، والرَّسولُ صلى الله عليه وآلـه وسـلم كـانَ مُظهِـرًا لِدَعوَتِـه مُجـاهِرًا بِدِينِـه، ومُصَـرِّحًا بِمُعـاداةِ الكُفّارِ والتَّبَــرَّؤِ منهم عَلَنًــا، وهي مِلَّةُ إبــراهِيمَ عليــه السـلامُ، ولِــذلك أوذِيَ وأصــحابُه وأُخرِجــوا، أمَّا أنتم فَتُقْبِلون مُوَظَّفِين ودُعاةً ومُدَرِّسِين وجُنـودًا وخُبَـراءَ... إلى آخِرِه؛ فَلَوْ أنَّكم صَرَّحْتُمْ بِالعَداوةِ لهم، ونَهَجْتُمْ مَبْدَأَ البَراءةِ منهم عَلَنًـا، لَنَابَـذُوكم وآذوكم أشَـدَّ الإيـذاءِ، ولم يُقَلِّدوكم المَناصِـبَ والمَراكِـزَ، بَـلْ لَأخرَجُـوكم وقَتَلـوا خِيَارَكم كَما حَصَـلَ لِلنَّبِيِّ صـلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم وأصحابِه، فَمَبْدَأُ [أيْ بِدَايَـةُ] دَعـوَتِهم كـانَ ذلـك. انتهى.

وقـالَتِ اللَّجنـةُ الشَّـرعِيَّةُ في موقـع الشـيخ أبي محمـد المقدسي (مِنبَـرُ التَّوحِيـدِ والجِهـادِ) في كِتـابِ (إجابـاتُ أسئلةِ مُنْتَدَى "المِنبَر") رَدًّا على سُؤالٍ (مـا حُكْمُ العَمَـلِ كَمُــدَرِّسٍ في مَــدارِسِ حُكومــةِ الطَّاغوتِ في العِــراقِ وحُكْمُ الانتِسابِ إليهـا؟): إنَّ حُكْمَ العَمَـلِ في الوَظـائفِ الحُكومِيَّةِ الطَّاغُوتِيَّةِ، سَوَاءٌ أكَانَ ذلك في العِراقِ أو في غَيرِها مِن بِلادِ المُسلِمِين التي عَلَتْ فيها أحكامُ الكُفــرِ، لا يَخرُجُ عن إحْدَى ثَلاثةِ أحكامٍ، إمَّا أنْ يَكـونَ كُفـرًا، وإمَّا أنْ يَكونَ مُحَرَّمًا، وإمَّا أنْ يَكونَ مَكروهًا، كُلُّ حُكمٍ بِحَسَبِ تَحقِيقِ مَناطِه؛ فَإذا كانَتِ الوَظِيفـةُ تَتَضَـمَّنُ تَوَلِّيًا لِتلـك الحُكومــاتِ، ومُناصَــرةً ومُظــاهَرةً لَهم ولِتَشــرِيعاتِهم وقَوانِينِهم، سَوَاءٌ كانَ ذلك بِالدَّعوةِ إليها، أو بِالحُكمِ بِها، أو بِالتَّحـاكُمِ إليهـا عن رِضًـا أو قُبـولٍ بهـا، فَلا شَـكَّ أنَّ العَمَلَ في مِثْـلِ هـذه الوَظـائفِ هـو كُفـرٌ بَـوَاحٌ وشِـركٌ صُراحٌ ورِدَّةٌ سافِرةٌ عن دِينِ اللهِ سُـبحانَه وتَعـالَى، ومَن عَمِلَ في مِثْلِ هـذه الوَظـائفِ فَقَـدْ نَقَضَ أصـلَ اِجتِنـابِ الطَّاغوتِ الـذي لا يَصِـحُ إسـلامُ أحَـدٍ إلَّا بِتَحقِيقِـه؛ وإذا كانَتِ الوَظِيفةُ تَتَضَمَّنُ إعانةَ تلـك الحُكومـاتِ الطَّاغوتِيَّةِ على ظُلمِ النَّاسِ وأكْـلِ أمـوالِهم بِالباطِـلِ (كَمِثْـلِ جُبَـاةِ المَكْسِ والضَّرائبِ ومـا يُسَـمَّى بِــ "الجَمَـارِك" في بَعضِ بِلادِ المُسلِمِين)، أو إعانَتَها على أكْلِ الرِّبَـا مِن خِلالِ مـا تُقَدِّمُـه مِن قُـروضٍ رِبَوِيَّةٍ لِلتُّجـارِ والمُـزارِعِين وغَـيرِهم بَعْدَ التَّضـيِيقِ عليهم بحيث يُصـبِحون مُجبَـرِين على ذلـك فَيَكونُ المُوَظَّفُ كاتِبًا لِتلك المُعامَلاتِ الرِّبَوِيَّةِ أو شـاهِدًا عليها، فَإنَّ العَمَلَ في مِثْلِ هذه الوَظـائفِ حَـرامٌ قَطْعًـا وكَبِيرةٌ مِنَ الكَبائرِ، ومَن عَمِلَ في مِثْـلِ هـذه الوَظـائفِ فَإنَّه لم يُحَقِّقِ الاجتِنـــابَ الـــواجِبَ لِلطَّاغوتِ؛ وأمَّا إذا كـــانَتِ الوَظِيفـــةُ لا تَتَضَـــمَّنُ أحَـــدَ مَنـــاطَيِ الحُكمَين السـابِقَين أو كِلَيْهِمَـــا، كَأئمَّةِ الأوقـــافِ وخُطَبـــائهم ومُـــؤَذِّنِيهم، وكالمُدَرِّسِـــين أوِ المُـــوَظَّفِين في وِزاراتِ

التَّربِيَـةِ والتَّعلِيمِ، ومُـوَظَّفِي وِزاراتِ الصِّـحَّةِ ومُـوَظَّفِي البَلَدِيَّاتِ، وغَيرِها مِنَ الوَظائفِ التي يَكـونُ أقَـلُّ أحـوالِ العامِلِ فِيها أنَّه مُكَثِّرٌ لِسَوادِ تلك الحُكوماتِ وذَلِيلٌ صاغِرٌ تحت وَطْأَتِها، فَمِثْلِ هذه الوَظائفِ -إنْ لم يَتَخَلَّلْها شَيءٌ مِنَ المَعاصِــي- تَنــدَرِجُ تحت الحُكمِ الثَّالِثِ مِنَ الأحكــامِ التي ذَكَرْناها آنِفًا وهو الكَراهةُ، والـتي لا يَكـونُ العامِـلُ فيهــا قــد حَقَّقَ الاجتِنــابَ المُســتَحَبَّ لِلطَّاغوتِ؛ قــالَ شَـيخُنا أبـو محمـد المقدسـي حَفِظَـه اللـهُ في رِسـالَتِه (الإشراقة في سؤالات سواقة) {فالذي قُلْنـاه ونَقولُـه، أنَّنا نُحِبُّ لِلْأخِ المُوَحِّدِ أنْ يَكونَ بَعِيدًا عن هذه الحُكومـاتِ مِن بابِ كَمالِ اجتِنابِه لَها، ولا شَكَّ أنَّ مِنهـاجَ حَيَـاةِ كُـلِّ مُوَحِّدٍ هـــو قَولُـــه تَعــالَى (أَنِ اعْبُـــدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُـــوا الطَّاغُوتَ)، فَـذلك مَعْنَى (لَا إِلَـهَ إِلَّا اللَّهُ)، لَكِنْ مِنـه [أيْ مِن هذا المِنهـاجِ] مـا هـو شَـرطٌ لِلإيمـانِ وتَركُـه نـاقِضٌ لِلإيمانِ، كاجتِنابِ عِبادةِ الطَّاغوتِ، واجتِنابِ التَّحاكُمِ إليه مُختَارًا، واجتِنابِ حِراسةِ تَشـريعاتِه وقَوانِينِـه الكُفرِيَّةِ أو القَسَمِ على اِحتِرامِها ونَحوِ ذلك، ومنـه مـا تَركُـه نـاقِصٌ لِلإيمانِ وليس بِناقِضٍ لِلإيمانِ}. انتهى باختصـار. وقـال الشـيخ أبـو محمـد المقدسـي في (حسـن الرفاقـة في أجوبـة سـؤالات سـواقة): نَكْـرَهُ لِلْمُوَحِّدِ العَمَـلَ في أيِّ وَظِيفـــةٍ حُكُومِيَّةٍ، لَكِنِ الكَراهـــةُ شَـــيءٌ، والحُرمـــةُ (أوِ الكُفرُ) شَيءٌ آخَرُ... ثم قالَ -أيِ الشـيخُ المقدسـي-: ... مع كَرَاهِيَّتِنَا لِأيِّ وَظِيفةٍ في هـذه الحُكومـاتِ حـتى وإنْ لم يَكُنْ فيها شَـيءٌ مِن مُنكـرٍ، ونُحِبُّ لِلْمُوَحِّـدِّ أنْ يَكـونَ بَعِيدًا عنها مُجتَنِبًا لَها مُتَحَرِّرًا مِن قُيُودِهم. انتهى. وقالَ أحمـد حافـظ في مقالـة بعنـوان (قـانونٌ مِصـرِيٌّ يُـتِيحُ فَصلَ المُنتَمِي "فِكرِيًّا" للإخوانِ مِنَ الوَظِيفةِ العُمومِيَّةِ) على مَوقِـعِ صَـحِيفةِ العَـرَبِ (الـتي تَصـدُرُ عن مُؤسَّسـةِ العَـرَبِ العالَمِيَّةِ لِلصَّـحافةِ والنَّشـرِ): أكَّدَ إقـرارُ مَجلِسِ النُّوَّابِ المِصـرِيِّ مَشـروعَ قـانونٍ يَقضِـي بِعَـزلِ جَمِيـعِ

المُـوَظَّفِين المُنتَمِين لِجَماعـةِ الإخـوانِ عنِ العَمَـلِ في المُؤسَّســاتِ التابِعـةِ لِلدَّولـةِ، أنَّ مَعرَكـةَ الحُكومـةِ مـع جَماعــاتِ الإســلامِ السِّيَاسِــيِّ تَأخُــذُ مُنْحَنًى مُختَلِفًــا، بِاستِهدافِ أهَمِّ ثُغْرةٍ يَنفُذون منها لِتَـألِيبِ الشـارِعِ ضِـدَّ السُّـلطةِ في مِصـرَ... ثم قـالَ -أيْ أحمـد حافـظ-: وَلَا يَتَطَلَّبُ إقصاءُ مُوَظَّفِي الإخوانِ مِنَ الجِهـازِ الحُكُـومِيِّ - وَفْقًــا لِقــانونٍ أعَــدَّه البَرْلَمــانُ- تَحقِيقــاتٍ إدارِيَّةً أو إجــراءاتٍ تَأدِيبِيَّةً، بَـلْ عَـزلًا مُباشِــرًا طالَمـا أنَّ تُهمــةَ الانتِمــاءِ لِلجَماعــةِ مُثبَتــةٌ. انتهى باختصــار. وجـاء على موقـع صحيفة (المصـري اليـوم) تحت عنـوان (قـانونٌ جَدِيدٌ يَحْظُرُ تَحَدُّثَ مُوَظَّفِي الحُكومةِ في السِّيَاسـةِ أثنـاءَ العَمَلِ) في هذا الرابط: ويَحْظُـرُ القـانونُ الجَدِيـدُ إبـداءَ الآراءِ السِّيَاسِــيَّةِ لِلْمُوَظَّفِ أثنــاءَ ســاعاتِ العَمَــلِ، أو التَّروِيجَ لِأخبارٍ سِيَاسِـيَّةٍ... أضـافَ العـربى [هـو أشـرف العـربى وَزِيـرُ التَّخطِيـطِ والإصـلاحِ الإدارِيِّ والمُتابَعـةِ] {المُوَظَّفُ العـامُّ رَجُـلٌ مُحايِـدٌ ليس لـه أيُّ اِنتِمـاءاتٍ أو اِنحِيَازاتٍ}. انتهى باختصار. وجاءَ على الموقعِ الرَّسْمِيِّ لِجَرِيدةِ الـوَطَنِ المِصـرِيَّةِ تحت عُنْـوانِ (فَحْصُ مُـوَظَّفِي الدَّولــةِ لِاســتِبعادِ الإخوانجِيَّةِ والمُحَرِّضِــين "عُقوبــاتٌ بِالفَصْلِ") في هذا الرابط: وحَـذَّرَتْ وِزارةُ الأوقـافِ مِنَ الانضِــــمامِ إلى أيِّ جَماعــــةٍ إرهابِيَّةٍ أو تَبَنِّي أفكارِها، وأكَـدَّتْ أنَّه لا مَكـانَ في وِزارةِ الأوقـافِ لِصـاحِبِ فِكـرٍ مُتَطَـرِّفٍ، أو مُنتَمٍ لِأيِّ جَماعـةٍ مُتَطَرِّفـةٍ. انتهى. وقـالَ أحمــد شوشــة في مَقَالــةٍ بِعُنْــوانِ (قــانونُ فَصْــلِ المُـوَظَّفِين في مِصـرَ) على شَـبَكةِ بي بي سـي العَرَبِيَّةِ في هذا الرابط: في وَقتٍ سـابِقٍ مِن هـذا العـامِ أعلَنَتْ وِزارةُ التَّربِيَـةِ والتَّعلِيمِ المِصـرِيَّةُ فَصْـلَ ألْـفٍ وَسَـبعِينَ مُعَلِّمًــا مِمَّن قــالَتْ عنهم {إنَّهم يَنتَمــون لِجَماعــاتٍ إرهابِيَّةٍ}، مُضِـيفةً أنَّهـا تُعِـدُّ قَـوائمَ أخـرَى لِلمَفصـولِين لِتَنقِيَةِ المَـدارِسِ مِنَ الأفكـارِ المُتَطَرِّفـةِ. انتهى. وقـالَ

الشيخُ أبو محمد المقدسي في (إعدادُ القادةِ الفــوارِسِ بهجرِ فسادِ المدارسِ): إنَّ مِن أهدافِ طَـواغِيتِ الحُكَّامِ، ووَسائلِهم في تَثْبِيتِ عُرُوشِهم وكَرَاسِيِّهم أَكْبَرَ قَدْرٍ مِنَ الزَّمــانِ، اِســتِغلالُ التَّربِيَــةِ والتَّعلِيمِ، فمِن ذلــك إعــدادُ وتَخــــرِيجُ المُدَرِّسِــــين المُــــوالِين لهم ولِحُكومـــــاتِهم وقَوانِينِهم وطُغْيـانِهم، سَـوَاءٌ اِعْتَقَـدَ أُولئـك المُدَرِّسـون ذلــك وتَحَمَّســوا لــه حَمَاسًــا حَقِيقِيًّا، أو بِشِــراءِ الــذِّمَمِ والــوَلَاءِ عن طَرِيــقِ الــرَّواتِبِ والــدَّرَجاتِ والإغــراءاتِ المُختَلِفةِ، أو عن طَرِيـقِ التَّرهِيبِ والتَّخْوِيـفِ بِـالقَوانِينِ وزيَاراتِ المَسؤولِين وإشرافِهم ورَقَابَتِهم الدائمةِ ونَحوِ ذلك. انتهى] التي تُكَثِّرُ سَوَادَ الظـالِمِين؟! أَمْ تلـك الـتي تَدخُلون بها مَجالسَ الفاحِشـةِ مِنَ الجامِعـاتِ المُخْتَلَطـةِ والمَعاهِدِ والمَدارِسِ الفاسِـدةِ وغَيرِهـا؟! بِحُجَّةِ مَصـلَحةِ الدَّعوةِ فلا تُظْهِرون دِينَكم الحَقَّ وتَـدْعُون فيها [أَيْ في الجامِعاتِ والمَعاهِدِ والمَدارِسِ] بِغَـيرِ هَـدْيِ النَّبِيِّ صـلى الله عليـه وسـلم؟!؛ ويَحتَجُّون [أَيْ دُعـاةُ زمَانِنـا] بِقَـوْلِ النبيِّ صـلى اللـه عليـه وسـلم فيمـا رَواه الإمـامُ أَحْمَـدُ والتِّرْمِذِيُّ وغَيرُهما {الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ وَيَصْـبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ أَفْضَلُ مِنَ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يُخَالِـطُ النَّاسَ وَلَا يَصْـبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ}، ونحن نَقـولُ، إنَّ هـذا الحَـدِيثَ في الشَّرقِ وأنتم عنـه في الغَـربِ، حيث إنَّ المُخالَطـةَ يَجِبُ أنْ تَكونَ على هَدْيِ النَّبِيِّ صلى الله عليـه وسـلم وليس تَبَعًا لآرائكم وأهـوائكم وأسـالِيبِ دَعْـوَتِكم البِدعِيَّةِ، فـإنْ كانتْ [أَيِ المُخالَطـةُ] كـذلك، أَيْ على هَدْيِـه صـلى اللـه عليه وسـلم، حَصَـلَ الأذَى [يُشِـيرُ إلى قَولِـه صـلى اللـه عليه وسـلم {وَلَا يَصْـبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ}] والأجْـرُ مَعًـا، وإلَّا فَأَيُّ أَجْرٍ هذا الذي يَنتَظِرُه مَن لا يَدعُو بهَدْيِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وقد أَهْمَـلَ شَـرْطًا عَظِيمًـا مِن شُـروطِ قُبولِ العَمَلِ وهو (الاتِّباعُ)، وَأَيُّ أَذًى ذلك الذي سَـيُلَاقِيه مَن لا يُظهِرُ العَداوةَ لِأهـلِ الفِسـقِ والفُجـورِ والعِصـيَانِ

ولا يُعلِنُ البَراءةَ مِن شِركِيَّاتِهم وطَرائقِهم المُعْوَجَّةِ بَلْ يُجالِسُهم ويُقِرُّ بباطِلِهم ويَبَشُّ في وُجُوهِهم ولا يَتَمَعَّرُ أو يَغضَبُ لِلَّهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ إذا اِنتَهَكوا حُرُماتِ اللهِ، بِحُجَّةِ اللِّينِ والحِكمةِ والمَوعِظةِ الحَسَنةِ وعَدَمِ تَنفِيرِ النَّاسِ عنِ الدِّينِ ومَصلَحةِ الدَّعوةِ وغَيرِ ذلك، ويَهْدِمُ الدِّينَ عُرْوَةً عُرْوَةً بِمَعاوِلِ لِينِهِمْ وحِكْمَتِهم البِدْعِيَّةِ... ثم قالَ -أيِ الشيخُ المقدسي-: كَثِيرٌ مِن دُعاةِ زَمانِنا، يُدَنْدِنون على أحادِيثِ الرُّخَصِ والإكراهِ والضَّروراتِ طَوَالَ حَيَاتِهم، وكُلَّ أيَّامِهم في غَيرِ مَقامِها [أيْ غَيرِ مَوضِعِ التَّرَخُّصِ والإكراهِ والضَّرورةِ]، وَيَلِجُون بِحُجَّتِها في كُلِّ باطِلٍ، ويُكَثِّرون سَوادَ حُكوماتِ الكُفرِ والإشراكِ، دُونَما إكراهٍ أوِ اِضْطِرارٍ حَقِيقَين، فَمَتَى يُظهِرون الدِّينَ؟!... ثم قالَ -أيِ الشيخُ المقدسي-: النبيُّ صلى الله عليه وسلم في مَكَّةَ زَمَنَ الاستِضعافِ كانَ مُتَّبِعًا لِمِلَّةِ إبراهِيمَ أَشَدَّ الاتِّباعِ آخِذًا بها بِقُوَّةٍ، فَما دَاهَنَ الكُفَّارَ لَحظةً واحِدةً وما سَكَتَ عن باطِلِهم أو عن آلِهَتِهم، بَلْ كانَ هَمُّه وشُغْلُهُ الشَّاغِلُ في تلك الثَّلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً هو {اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ}، فَلا يَعنِي كَوْنُه جَلَسَ بينها [أيْ بين الأصْنامِ] تلك الثَّلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً أنَّه مَدَحَها أو أَثْنَى عليها أو أقسَمَ على اِحتِرامِها كَما يَفعَلُ كَثِيرٌ مِنَ الجُهَّالِ المُنتَسِبِين إلى الدَّعوةِ مع الْيَاسِقِ العَصْرِيِّ في هذا الزَّمانِ، بَلْ كانَ يُعلِنُ بَراءَتَه مِنَ المُشرِكِين وأعمالِهم ويُبدِي كُفرَه بآلِهَتِهم رَغْمَ اِستِضعافِه واستِضعافِ أصحابِه... ثم قالَ -أيِ الشيخُ المقدسي-: وَهَا هُنَا مَسألةٌ قد يَرِدُ فيها إشكالٌ على البَعضِ، وهي كَيفِيَّةُ الجَمعِ بين عَيْبِه صلى الله عليه وسلم آلِهَتَهم ودِينَهم، وبين قَولِه تَعالَى {وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ}، فَنَقولُ وبِاللهِ التَّوفِيقُ أنَّ عَيْبَ الآلِهةِ الباطِلةِ وتَسفِيهَها والحَطَّ مِن قَدْرِها وإنْ سَمَّاه البَعضُ سَبًّا

فإنَّه ليس سَبًّا مُجَرَّدًا وإنَّما أصلُ المَقصودِ بهِ [ما يَلِي]: (أ)بَيَانُ التَّوحِيدِ لِلنَّاسِ، وذلك بإبطالِ أُلُوهِيَّةِ هذه الأربابِ المُتَفَرِّقةِ المَزعومةِ والكُفرِ بها وبَيَانِ زَيْفِها لِلْخَلْقِ، كَقَولِه تَعالَى {إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ، فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ، أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا، أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا، أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا، أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا، قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ، إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ، وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ، وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ}، وقَولِ إبراهِيمَ عليه السَّلامُ {يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا}، وقَولِه تَعالَى {أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى، وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى، أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَى، تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى، إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ، إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ، وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَى}، وَكَذَا كُلُّ ما جاءَ في وَصفِ هذه الآلِهةِ كَبَيَانِ أنَّها لا تَستَحِقُّ العِبادةَ أو تَسمِيَتِها بالطاغوتِ أو جَعْلِ عِبادَتِها طاعةً لِلشَّيطانِ وإنَّها وإيَّاهم حَصَبُ جَهَنَّمَ وغَيرِ ذلك؛ (ب)وَكَذَلك القِيامُ بهذا التَّوحِيدِ عَمَلِيًّا بإظهارِ عَداوَتِها وبُغْضِها والبَراءةِ منها والكُفرِ بها، كَقَولِه تَعالَى عن إبراهِيمَ {قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ، أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ، فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ}، وقَولِه {قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ}؛ فذلك كُلُّه لا يَدخُلُ في السَّبِّ المُجَرَّدِ الذي نَهَتْ عنه الآيَةُ المَذكورةُ [وهي قَولُه تَعالَى {وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ}]، والذي مِن طَبِيعَتِه أنْ يَستَثِيرَ الخَصْمَ ويُهينَه ويُعَيِّرَه فَقَطْ دُونَ فائدةٍ أو بَيَانٍ، فَيَسُبَّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ عَدْوًا وجَهْلًا؛ وَكَذَلِكَ الحالُ بِالنِّسبةِ لِعَبِيدِ الياسِقِ،

فإنَّ مِلَّةَ إبراهِيمَ تَقتَضِي أنْ يُحَذَّرَ مِن ياسِـقِهم ويُعـادَى [أَيِ الْيَاسِـقُ] ويُبْغَضَ ويُـدْعَى النـاسُ إلى الكُفـرِ بـه والبَـراءةِ منـه ومِن أولِيائـه وعَبِيـدِه المُصِـرِّين على تَحكِيمِه، بذِكْرِ فَضائحِه، وكَشفِ زُيُوفِه وبُطْلانِ أحكامِه ومُصادَمَتِها الصَّرِيحةِ لِدِينِ اللـهِ (بِإباحَتِهـا لِلـرِّدَّةِ والرِّبَـا، وتَسهِيلِها لِلفاحِشةِ والفُجورِ، وتَعطِيلِها لِحُدودِ اللهِ كَحَدِّ الزِّنَى والقَذفِ والسَّرِقةِ وشُـرْبِ الخَمْـرِ، ومـا إلى ذلـك وهو كَثِيرٌ جِدًّا)، فهذا كُلُّه [أَيِ الكُفرُ بالْيَاسِـقِ، والبَـراءةُ مِنه ومِن أولِيائـه] لا يَـدخُلُ فيمـا نَهَتْ عنـه الآيَـةُ [وهي قولُـه تَعـالَى {وَلَا تَسُـبُّوا الَّذِينَ يَـدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ}] وإنْ سَـمَّاه عَبِيـدُ الْيَاسِـقِ وسَدَنَتُهم سَـبًّا (أو إطالـةَ لِسـانٍ)؛ أمَّا سَـبُّهم [أَيْ سَـبُّ عَبِيدِ الْيَاسِـقِ] وسَـبُّ حُكومـاتِهم وحُكَّامِهم ودَسـاتِيرِهم سَبًّا مُجَرَّدًا، هَكَذَا للاستِثارةِ المُجَـرَّدةِ، فهـو المَنْهِيُّ عنه لِما يَتَرَتَّبُ عليه مِن سَـبِّ أولئـك الجُهَّالِ لِلسَّـابِّ وَلِدِينِـه وطَرِيقَتِـه وإنْ كـانوا [أَيْ عَبِيـدُ الْيَاسِـقِ وحُكومـاتُهم وحُكَّامُهم] يَنتَسِبون إلى الإسلامِ زُورًا وبُهتانًا وَيَشهَدون بِرُبوبِيَّةِ اللـهِ ورُبَّمـا يُوَحِّدونـه بِبَعضِ أنـواعِ أُلُوهِيَّتِـه دُونَ الحُكْمِ والتَّشرِيعِ؛ فالاستِثارةُ المُجَرَّدةُ تُعْمِي الخَصْمَ عنِ التَّفكِـيرِ والتَّدَبُّرِ وتَحْمِلُـه على السَّـبِّ، بِخِلافِ تَـدخِيلِ العَقْـلِ والـدَّعوةِ إلى إعمالِـه ومُخاطَبَتِـه ولَفْتِ اِنتِباهِـه إلى زَيْفِ هذه الآلِهةِ وكَونِها لا تَسمَعُ ولا تُبْصِرُ ولا تَضُـرُّ ولا تَنفَـعُ ولا تُقَـرِّبُ ولا تَشـفَعُ ولا تُغنِي عن أَنْفُسِـها وأَتْباعِها شَـيئًا، وتَأَمَّلْ قِصَّـةَ إبـراهِيمَ مـع قَومِـه وكَيـفَ يَلْفِتُ فيها اِنتِبـاهَهم إلى زَيْـفِ تلـك الآلِهـةِ المَزعومـةِ، ويَستَثِيرُهم لا لِمُجَـرَّدِ الاستِثارةِ أو الإهانـةِ بَـلْ لِيُفَكِّروا ويَتَصـادَموا مـع عُقـولِهم في ذلك، وتَأَمَّلْ كَيـفَ يَفْتَضِـحُ أَمْرُهم بـذلك ويَنتَكِسـوا ويَتَناقَضـوا ويَتَخَبَّطـوا، فيَقُـولُ لهم عِنـد ذلـك مُعَنِّفًـا {أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَـا تَعْبُـدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ، أَفَلَا تَعْقِلُـونَ}، والخُلاصـةُ أنَّ ذلـك لا يَـدخُلُ في

السَّبِّ المُجَرَّدِ الذي نَهَى اللهُ عنه في الآيَـةِ [وهي قولُـه تَعـالَى {وَلَا تَسُـبُّوا الَّذِينَ يَـدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُـبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْـرِ عِلْمٍ}]، ولا هـو مَقصـودٌ بهـا، حـتى ولـو تَـرَتَّبَ على مِثْلِـه أنْ يَسُـبَّ الكـافِرُ اللـهَ أو الـدِّينَ عَـدْوًا فَلَيسَ للمُسلِمِ أنْ يَتْرُكَ لِأجْلِـه مـا أَوْجَبَ اللـهُ عليـه مِنَ الصَّدْعِ بالتَّوحِيدِ وإظهارِ الدِّينِ، فالسَّـبُّ هنـا لا يَكـونُ إلَّا عَدْوًا بِعِلْمٍ، لِوُرودِ الحُجَّةِ والبَيَانِ، وإلَّا لو حَسَـبْنا حِسـابًا لِمِثْلِ ذلكَ لَتَرَكْنـا دِينَنـا كُلَّه وتَنَازَلْنـا عنـه لِسَـوادِ عُيُـونِ الكُفَّارِ لِأنَّه كُلَّه قـائمٌ على أصْـلِ الإيمـانِ بِاللـهِ والكُفـرِ بكُـلِّ طـاغوتٍ [يُشِـيرُ إلى قَولِـه تَعـالَى {فَمَن يَكْفُـرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُـؤْمِن بِاللَّهِ فَقَـدِ اسْتَمْسَـكَ بِـالْعُرْوَةِ الْـوُثْقَى}]، فَتَنَبَّهْ، وقِسْ على ذلـك مـا يُقـالُ في هـذه الطَّواغِيتِ العَصرِيَّةِ مِن دَساتِيرَ ومَناهِجَ وقَوانِينَ وحُكَّامٍ وغيرِهم ولا تُقْصِرُ المَعْنَى على الأصْنامِ الحَجَرِيَّةِ فتُحَجِّرَ واسِعًا... ثم قالَ -أي الشيخُ المقدسي-: وهو صَلَّى اللـهُ عليه وسلم لم يَكُنْ لِيَرْبِطَه بِعَمِّهِ [أَبِي طَالِبٍ] الكافِرِ وُدٌّ ولا حُبٌّ، كَيفَ وهو صلى اللهِ عليه وسلم قُـدْوَتُنا ومَثَلُنـا الأعْلَى في قَولِـه تَعـالَى {لَّا تَجِـدُ قَوْمًـا يُؤْمِنُـونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِـرِ يُـوَادُّونَ مَنْ حَـادَّ اللَّهَ وَرَسُـولَهُ وَلَـوْ كَـانُوا آبَاءَهُمْ...} الآيَةَ، مـع حِرْصِـه [صـلى اللـه عليـه وسـلم] على هِدَايَتِـه، فـذلك [أيِ الحِـرْصُ على الهِدَايَـةِ] شَـيْءٌ والحُبُّ والوُدُّ شَيْءٌ آخَرُ، وما كانَ النَّبِيُّ صلى اللـه عليـه وسلم رَغْمَ إيواءِ عَمِّهِ وحِمَايَتِه لـه ودِفَاعِـه عنـه لِيُصَـلِّيَ عليه يَـوْمَ أنْ مـاتَ، بَـلْ نَهـاه اللـهُ عَـزَّ وجَـلَّ عن مُجَـرَّدِ الاسـتِغفارِ لـه يَـوْمَ أُنْـزِلَ عليـه {مَـا كَـانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِين...َ} الآيَةَ، ومـا كـانَ منـه صَلَواتُ اللهِ وسَلامُه عليه عنـدما جـاءَه عَلِيٌّ رَضِـيَ اللـهُ عنه فَقالَ له {إنَّ عَمَّكَ الشَّيْخَ الضَّالَّ مَاتَ، فَمَنْ يُوَارِيـهِ [أيْ فَمَنْ يُغَطِّيه بِالتُّرابِ]؟} غَيْـرَ أنْ يَقُـولَ [صـلى اللـه عليـه وسـلم] لـه {اذْهَبْ فَـوَارِهِ} [قـالَ الْبَغَـوِيُّ في

(معالِم التنزيل) عند تَفسِيرِ قَولِـه تَعـالَى {إِنَّكَ لَا تَهْـدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ}: قَوْلُهُ تَعَالَى {إِنَّكَ لَا تَهْـدِي مَنْ أَحْبَبْتَ} أَيْ أَحْبَبْتَ هِدَايَتَـهُ، نَـزَلَتْ فِي أَبِي طَـالِبٍ. انتهى باختصـار. وقَـالَ الطَّبَـرِيُّ في (جـامع البيان): يَقُولُ تَعَالَى ذِكْـرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ [مَـا مَعْنَـاهُ] {إِنَّكَ يَـا مُحَمَّدُ لَا تَهْـدِي مَنْ أَحْبَبْتَ هِدَايَتَهُ}. انتهى. وقالَ الشيخُ ابنُ بـاز في (شـرح كتـاب التوحيـد) على موقِعِـه في هـذا الرابط: قـالَ عَـزَّ وجَـلَّ {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ} يَعنِي (يَـا مُحَمَّدُ، لَا تَهْـدِي مَنْ أَحْبَبْتَ هِدَايَتَـهُ) كَأَبِيـه وأُمِّه وعَمِّهِ ونَحـوِ ذلـك. انتهى. وقالَ الشيخُ ابنُ عثيمين في (مجمـوع فتـاوى ورسـائل العـثيمين): قَولُـه تَعـالَى {إِنَّكَ لَا تَهْـدِي مَنْ أَحْبَبْتَ}، الخِطابُ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، وكانَ يُحِبُّ هِدايَـةَ عَمِّهِ أَبِي طَـالِبٍ أو مَن هـو أَعَمُّ. انتهى. وقـالَ الشـيخُ محمد صالح المنجد على موقِعِـه في هذا الرابط: عنـدما قَدِمَ أَبُو سُفْيَانَ رَضِـيَ اللَّهُ عَنْـهُ قَبْـلَ أَنْ يُسْـلِمَ، وكـانَ كافِرًا، قَدِمَ الْمَدِينَةَ يُرِيدُ أَنْ يُمَدِّدَ العَهْدَ، عَهْـدَ الْحُدَيْبِيَـةِ، دَخَلَ عَلَى اِبْنَتِهِ أُمِّ حَبِيبَـةَ، وهي رَمْلَـةُ بِنْتُ أَبِي سُـفْيَانَ زَوجُ النَّبِيِّ صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ، فَلَمَّا ذَهَبَ لِيَجْلِسَ عَلَى فِرَاشِ رَسُـولِ اللَّهِ صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ -أَبُوهـا يُرِيدُ أَنْ يَجْلِسَ عَلَى فِـرَاشِ زَوجِهـا- طَوَتْـهُ عَنْـهُ، فَقَـالَ {يَا بُنَيَّةُ، مَا أَدْرِي أَرَغِبْتِ بِي عَنْ هَذَا الْفِـرَاشِ أَمْ رَغِبْتِ بِهِ عَنِّي؟} [يَعْنِي] أَنَا أَقَلُّ مِنَ الْفِـرَاشِ فَطَوَيْتِـهِ عَنِّي؟، أَمِ الْفِرَاشُ أَقَلُّ مِن مُسْتَوَايَ فَطَوَيْتِهِ عَنِّي؟، قَالَتْ {بَلْ هُوَ فِرَاشُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَنْتَ رَجُلٌ مُشْـرِكٌ نَجَسٌ، وَلَمْ أُحِبَّ أَنْ تَجْلِسَ عَلَى فِـرَاشِ رَسُـولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ}، تَقـولُ لأَبِيهـا {أَنْتَ رَجُـلٌ مُشْـرِكٌ نَجَسٌ}، هَكَـذَا كـانَ شُـعُورُهم، ومَن كـانَ هـذا شُعُورُه كَيـفَ يُقَلِّدُ الكـافِرَ؟! كَيـفَ يُحِبُّ الكـافِرَ؟! كَيـفَ يَتَـأَثَّرُ بالكـافِرِ؟!، ولَكِنْ خُـذِ الآنَ مـاذا يَفعَلـون، وانظُـرْ

إليهم ماذا يَفعَلـون، لِأَنَّهم لا يَشـعُرون أنَّ الكُفَّارَ نَجَسٌ، ولــذلك يُحِبُّونهم ويُقَلِّدُونهم؛ وقِصَّــةُ رَمْلَــةَ عنــد أَبِي إِسْحَاقَ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ. انتهى باختصار. وقالَ الشيخُ سعد فيــاض (عضــو المكتب الــدعوي والعلمي بالجبهــة السلفية) في مَقالـةٍ بِعُنـوانِ (مَقاصِـدُ الكُفـرِ العـالَمِيِّ) على هذا الرابط: تَكَفَّلَ اللهُ تَعالَى بِـالرَّدِّ على [عَبْدِاللَّهِ بْنِ أُبَيِّ بْنِ سَلُولَ بِآياتٍ تُتلَى إلى يَـومِ القِيامـةِ، فَـأنزَلَ قَولَه تَعالَى {يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَـا إِلَى الْمَدِينَـةِ لَيُخْـرِجَنَّ الأَعَـزُّ مِنْهَـا الأَذَلَّ]، وَلِلَّهِ الْعِـزَّةُ وَلِرَسُـولِهِ وَلِلْمُـؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُـونَ}، بَـلْ وَقَـدَّرَ سُـبحانَه إذلالَ اِبْنِ أُبَيِّ [بْنِ] سَـلُولَ على يَـدِ اِبنِـه الصَّـحابِيِّ الجَلِيـلِ عَبْدِاللَّهِ بْنِ عَبْدِاللَّهِ بْنِ أُبَيِّ بْنِ سَـلُولَ الـذي قـالَ لِأَبِيـه {وَاللَّهِ لَا تَنْقَلِبُ حَتَّى تُقِرَّ أَنَّكَ الذَّلِيلُ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ الْعَزِيـزُ} أخرَجَـه التِّرْمِـذِيُّ، وصَـحَّحَه الألبانِيُّ في صَحِيحِ سُنَنِ التِّرْمِـذِيِّ [قـالَ الشـيخُ أسـامة سليمان (مديرُ إدارة شؤون القرآن بجماعة أنصار السُّنَّةِ المُحَمَّدِيَّةِ) في (شـرح صـحيح البخـاري): ثم وَقَـفَ على بابِ المَدِينةِ إلى أنْ جـاءَ أبـوه، فَقَـالَ {دَعْنِي أدخُلْهـا}، قالَ {لن تَدخُلَ المَدِينةَ إلَّا أنْ تَقولَ (أنَا الأَذَلُّ، وَرَسُـولُ اللَّهِ الأَعَزُّ)}، فقال عَبْدُاللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ {أنَا الأَذَلُّ، وَرَسُـولُ اللَّهِ الأَعَزُّ}، فَسَمَحَ له بِدُخولِها؛ ومَوقِفُ الابنِ هُنَـا عِـزَّةٌ وكَرامـةٌ لِلإسـلامِ {وَلِلَّهِ الْعِـزَّةُ وَلِرَسُـولِهِ وَلِلْمُـؤْمِنِينَ}، واليَومَ العِزَّةُ والكَرامةُ ضاعَتْ في بِلادِ المُسـلِمِين لِأَنَّهم تَخَلَّوْا عن دِينِهم وعن عَقِيــــــــــدَتِهم. انتهى]. انتهى باختصار. وقالَ الشيخُ أبـو فيصـل البـدراني في (بسـط القول والإسهاب في بيانِ حكم مودة المـؤمن للكـافر): قالوا [أَيْ بَعضُ العُلَماءِ] أنَّه لا يَجـوزُ مَـودَّةُ الكـافِرِ أبَـدًا، ولـو كـانَتْ [أَيِ المَـوَدَّةُ] جِبِلِّيَّةً، ولـو كـانَ الكـافِرُ غَـيرَ مُحـارِبٍ، ولـو كـانَ الكـافِرُ زَوجـةً كِتابِيَّةً... ثم قـالَ -أَيِ الشيخُ البدراني-: قالَ فَرِيقٌ [أَيْ مِنَ العُلَماءِ] {إنَّه يَجوزُ

مَحَبَّتُهم [أَيْ مَحَبَّةُ الوالِدِ الكافِرِ والزَّوجةِ الكِتابِيَّةِ] بِمُقتَضَى الجِبِلَّةِ البَشَرِيَّةِ والطَّبعِ إلَّا أنَّه يَجِبُ أنْ يُصاحِبَ مَحَبَّتَهم المَحَبَّةَ الطَّبِيعِيَّةَ البُغضُ لهم في الدِّينِ}، وقالوا {لا مُنافاةَ بين بُغْضِهم في اللهِ وبُغْضِ أشخاصِهم لِكُفْرِهم، و[بين] مَحَبَّتِهم بِمُقتَضَى الطَّبعِ}... ثم قالَ -أيِ الشيخُ البدراني-: قالَ [أَيْ بَعضُ العُلَماءِ] تَعلِيقًا على بَعضِ الآيَاتِ والأحادِيثِ التي يَحتَجُّ بها المُخالِفُ لهم مِثْلِ قَولِه تَعالَى {أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ، وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا، وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا} ومِثْلِ قَولِه تَعالَى {لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} وغير ذلك، بِأَنَّ البِرَّ والإحسانَ لِلكُفَّارِ لا يَستَلزِمُ المَحبَّةَ والمَوَدَّةَ كَما أنَّ البُغضَ والكَراهِيَةَ لا تَستَلزِمُ عَدَمَ البِرِّ والإحسانِ، وقالوا أنَّ الصِّلةَ والمُكافأةَ الدُّنْيَوِيَّةَ وحُسنَ المُعامَلةِ شَيءٌ، والمَوَدَّةَ شَيءٌ آخَرُ، وقالوا أنَّ البِرَّ هو إيصالُ الخَيرِ إلى الغَيرِ مع قَطعِ النَّظَرِ عن مَحَبَّتِكَ له مِن عَدَمِها، واستَدَلُّوا بِما وَرَدَ في صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنه قَالَ {قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم (بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ [أَيْ يَدُورُ بِبِئْرٍ] كَادَ يَقْتُلُهُ الْعَطَشُ، إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَنَزَعَتْ مُوقَهَا [المُوقُ جِلْدٌ يُلْبَسُ فَوْقَ الْخُفِّ لِحِفْظِهِ مِنَ الطِّينِ وَغَيْرِهِ] فَسَقَتْهُ، فَغُفِرَ لَهَا بِهِ)}... ثم قالَ -أيِ الشيخُ البدراني-: وقالَ صاحبُ (أضواء البيان) الإمامُ الشنقيطي رَحِمَه اللهُ {قَوْلُهُ تَعَالَى (وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا)، هَذِهِ الآيَةُ الْكَرِيمَةُ تَدُلُّ عَلَى الأَمْرِ بِبِرِّ الْوَالِدَيْنِ الْكَافِرَيْنِ، وَقَدْ جَاءَتْ آيَةٌ أُخْرَى يُفْهَمُ مِنْهَا خِلَافُ ذَلِكَ وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى (لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ...) الآيَةَ، ثُمَّ نَصَّ عَلَى

دُخُولِ الآبَاءِ فِي هَذَا بِقَوْلِهِ (وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ)، وَالَّذِي يَظْهَرُ لِي أَنَّهُ لَا مُعَارَضَةَ بَيْنَ الآيَتَيْنِ، وُوَجْهُ الْجَمْعِ بَيْنَهُمَا أَنَّ الْمُصَاحَبَةَ بِالْمَعْرُوفِ أَعَمُّ مِنَ الْمُوَادَّةِ، لِأَنَّ الإِنْسَانَ يُمْكِنُهُ إِسْدَاءُ الْمَعْرُوفِ لِمَنْ يَوَدُّهُ وَمَنْ لَا يَوَدُّهُ، وَالنَّهْيُ عَنِ الأَخَصِّ لَا يَسْتَلْزِمُ النَّهْيَ عَنِ الأَعَمِّ، فَكَأَنَّ اللَّهَ حَذَّرَ مِنَ الْمَوَدَّةِ الْمُشْعِرَةِ بِالْمَحَبَّةِ وَالْمُوَالَاةِ بِالْبَاطِنِ لِجَمِيعِ الْكُفَّارِ، يَدْخُلُ فِي ذَلِكَ الآبَاءُ وَغَيْرُهُمْ، وَأَمَرَ الإِنْسَانَ بِأَنْ لَا يَفْعَلَ لِوَالِدَيْهِ إِلَّا الْمَعْرُوفَ، وَفِعْلُ الْمَعْرُوفِ لَا يَسْتَلْزِمُ الْمَوَدَّةَ لِأَنَّ الْمَوَدَّةَ مِنْ أَفْعَالِ الْقُلُوبِ لَا مِنْ أَفْعَالِ الْجَوَارِحِ}... ثم قالَ -أَيِ الشيخُ البدراني-: ورَدُّوا [أَيْ بَعضُ العُلَماءِ] على مَن قالَ بِأَنَّ {مَسألةَ (المَيلُ القَلْبِيُّ لا اِختِيارَ لِلشَّخصِ فيه)}، قالوا {نَعَمْ، المَحَبَّةُ والبُغضُ أمْرانِ بِيَدِ اللهِ، لَكِنْ لِهما أسبابٌ، وبِإمكانِ المُسلِمِ رَفْعُه [أَيْ رَفْعُ المَيلِ القَلْبِيِّ] بِقَطعِ أسبابِ المَوَدَّةِ التي يَنشَأُ عنها مَيلُ القَلبِ}... ثم قالَ -أي الشيخُ البدراني-: أوجَبَ [أَيْ بَعضُ العُلَماءِ] هَجْرَ وقَطعَ أسبابِ المَوَدَّةِ مع كُلِّ مَن يَغْلِبَ على ظَنِّكَ مَحَبَّتُه [أَيْ مِنَ الكُفَّارِ] بِسَبَبِ صِلَتِه ولو حَمَلَكَ ذلك على رَدِّ ما ثَبَتَ بالشرعِ جَوازُه كالهَدِيَّةِ [ذَكَرَ الشيخُ رياض المسيميري (عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام) في مقالةٍ له [على هذا الرابط](#) أنَّ مِن ضَوَابِطِ قُبولِ هَدَايَا المُشرِكِين والإهْداءِ إليهم: أَلَّا يَتَرَتَّبَ على قُبولِ الهَدِيَّةِ أو إهدائِها مَوَدَّةٌ أو مَحَبَّةٌ، لِقَولِه تَعالَى {لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ}. انتهى]... ثم قالَ -أَيِ الشيخُ البدراني-: ورَدُّوا [أَيْ بَعضُ العُلَماءِ] على مَنِ اِستَدَلُّوا بِقَولِ اللهِ تَعالَى {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ} على أنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم كانَ يُحِبُّ عَمَّه وهو مُشرِكٌ، فَ[قالوا]، الجَوابُ أنَّ المَعنَى (مَن أَحْبَبْتَ هِدَايَتَهُ لا مَن

أَحْبَبْتَ شَخصَه)، كما جَاءَ ذلك مُوَضَّحًا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى {إِنْ تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّ...} الآيَةَ... ثم نَقَلَ -أَيِ الشيخُ البدراني- عن بَعضِ العُلَماءِ قَولَهم: لو حَصَلَ مَيْلٌ طَبِيعِيٌّ إليها [أَيْ إلى الزَّوجةِ الكِتابِيَّةِ] بِلا قَصدٍ ولا إرادةٍ، وفيه نَوعُ مَوَدَّةٍ لها طَبِيعِيَّةٍ وفِطْرِيَّةٍ مِن أَجْلِ إحسانِها إليه ولِمَا بينهما مِنَ العِشْرةِ والأولادِ، فهذا لا يُلامُ عليه الإنسانُ بشرطِ مُدافَعةِ مَحَبَّتِها وعَدَمِ الرُّكونِ إلى مَحَبَّتِها ويَجِبُ عليه أنْ يُبْغِضَها لِمَا فيها مِنَ الكُفْرِ... ثم نَقَلَ -أَيِ الشيخُ البدراني- عن بَعضِ العُلَماءِ أنَّهم: يَرَوْنَ أنَّ المُسلِمَ إذا رَأى مِن نَفسِه مَيلًا ومَحَبَّةً طَبِيعِيَّةً لِلكافِرِ بِسَبَبِ هَدِيَّتِه أو إحسانِه أو صِلَتِه، فإنَّه يَجِبُ عليه في هذه الحالِ قَطعُ أسبابِ هذه المَوَدَّةِ، ولو أَدَّى ذلك إلى رَدِّ الهَدِيَّةِ وعَدَمِ قُبولِها، والامتِناعِ مِنَ الزِّيَارةِ، وعليه [أَيْ على المُسلِمِ] هَجْرُ الأقارِبِ الكُفَّارِ هَجرًا جَمِيلًا إذا آنَسَ مِن نَفسِه إضمارَ المَحَبَّةِ الطَّبِيعِيَّةِ تِجاهَهم بِاستِثناءِ هَجْرِ الوالِدَينِ والزَّوجةِ الكِتابِيَّةِ فإنَّه لا يَجوزُ هَجْرُهم لِهذا السَّبَبِ [أَيْ إِينَاسِ إضمارِ المَحَبَّةِ الطَّبِيعِيَّةِ تِجاهَهم]... ثم قالَ -أَيِ الشيخُ البدراني-: يَقولُ الشيخُ عبدُالرحمن البَرَّاك [أستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية] {المَحَبَّةُ الطَّبِيعِيَّةُ قد تَكونُ مع بُغضٍ دِينِيٍّ، كَمَحَبَّةِ الوالِدَين المُشرِكِين فإنَّه يَجِبُ بُغضُهما في اللهِ ولا يُنافِي ذلك مَحَبَّتَهما بِمُقتَضَى الطَّبِيعةِ، ومِن هذا الجِنسِ مَحَبَّةُ الزَّوجةِ الكِتابِيَّةِ فإنَّه يَجِبُ بُغضُها لِكُفرِها بُغضًا دِينِيًّا ولا يَمنَعُ ذلك مِن مَحَبَّتِها المَحَبَّةَ التي تَكونُ بين الرَجُلِ وزَوجِه}... ثم قالَ -أَيِ الشيخُ البدراني-: جاءَ في تَفسِيرِ ابْنِ كَثِيرٍ {قِيلَ فِي قَوْلِهِ (وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ) نَزَلَتْ فِي أَبِي عُبَيْدَةَ [هو عَامِرُ بْنُ عَبْدِاللَّهِ بْنِ الْجَرَّاحِ، أَحَدُ الْعَشَرَةِ المُبَشَّرِين بالجَنَّةِ]، قَتَلَ أَبَاهُ يَوْمَ بَدْرٍ؛ (أَوْ أَبْنَاءَهُمْ) فِي الصِّدِّيقِ، هَمَّ يَوْمَئِذٍ

بِقَتْلِ ابْنِهِ عَبْدِالرَّحْمَنِ؛ (أَوْ إِخْوَانَهُمْ) فِي مُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ، قَتَلَ أَخَاهُ عُبَيْدَ بْنَ عُمَيْرٍ يَوْمَئِذٍ؛ (أَوْ عَشِيرَتَهُمْ) فِي عُمَرَ قَتَلَ قَرِيبًا لَهُ يَوْمَئِذٍ أَيْضًا، وَفِي حَمْزَةَ وَعَلِيٍّ وَعُبَيْدَةَ بْنِ الْحَارِثِ، قَتَلُوا عُتْبَةَ، وَشَيْبَةَ، وَالْوَلِيدَ بْنَ عُتْبَةَ، يَوْمَئِذٍ [حيث قَتَلَ حَمْزَةُ شَيْبَةَ (أَخَا عُتْبَةَ)، وَقَتَلَ عَلِيٌّ الْوَلِيدَ بْنَ عُتْبَةَ، وأَمَّا عُتْبَةُ فقد جَرَحَه عُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ، وأَجْهَزَ عليه عَلِيٌّ وحَمْزَةُ]؛ وَمِنْ هَذَا الْقَبِيلِ، حِينَ اسْتَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الْمُسْلِمِينَ فِي أُسَارَى بَدْرٍ فَقَالَ عُمَرُ (يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ تُمَكِّنِّي مِنْ فُلَانٍ -قَرِيبٍ لِعُمَرَ- فَأَقْتُلَهُ؟، وَتُمَكِّنُ عَلِيًّا مِنْ عَقِيلٍ [هو عَقِيلُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، أَخُو عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ]؟، وَتُمَكِّنُ فُلَانًا مِنْ فُلَانٍ؟، لِيَعْلَمَ اللَّهُ أَنَّهُ لَيْسَتْ فِي قُلُوبِنَا هَوَادَةٌ لِلْمُشْرِكِينَ)}. انتهى باختصار. وسُئلَ الشَّيخُ اِبنُ عثيمين، كَما جاءَ في (مجموع فتاوى ورسائل العثيمين)، عن حُكمِ إقامةِ حَفلِ تَودِيعٍ لِلْكافِرِ عند اِنتِهاءِ عَمَلِه؛ فَأجابَ بِقَولِه: إقامةُ حَفلِ تَودِيعٍ لِهؤلاء الكُفَّارِ، لا شَكَّ أنَّه مِن بابِ الإكرامِ أو إظهارِ الأَسَفِ على فِراقِهم، وكُلُّ هذا حَرامٌ في حَقِّ المُسلِمِ، قالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ {لَا تَبْدَءُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى بِالسَّلَامِ، وَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فِي طَرِيقٍ فَاضْطَرُّوهُمْ إِلَى أَضْيَقِهِ}، والإنسانُ المُؤْمِنُ حَقًّا لا يُمكِنُ أنْ يُكرِمَ أحَدًا مِن أعداءِ اللهِ تَعالَى، والكُفَّارُ أعداءُ اللهِ بِنَصِّ القُرآنِ، قالَ اللهُ تَعالى {مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ}. انتهى. وسُئلَتِ اللَّجنةُ الدائمةُ لِلبُحوثِ العِلمِيَّةِ والإفتاءِ (عبدُالعزيز بن عبدالله بن باز وعبدُالرزاق عفيفي وعبدُالله بن غديان)، كَما جاءَ في كِتابِ (فَتاوَى اللَّجنةِ الدائمةِ)، عن حُكمِ اللهِ في حُضورِ جَنائزِ الكُفَّارِ، الذي أصبَحَ تَقلِيدًا سِيَاسِيًّا وعُرفًا مُتَّفَقًا عليه؛ فَأجابَتِ اللَّجنةُ: إذا وُجِدَ مِنَ الكُفَّارِ مَن يَقومُ

بِـدَفنِ مَوتـاهم فَلَيْسَ لِلْمُسـلِمِين أنْ يَتَوَلَّوْا دَفْنَهم، ولا أنْ يُشارِكوا الكُفَّارَ ويُعاوِنوهم في دَفنِهم، أو يُجامِلُوهم في تَشيِيعِ جَنائزِهم، فَإنَّ ذلك لم يُعرَفْ عن رَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ ولا عنِ الخُلَفـاءِ الرَّاشِـدِين؛ وأمَّا إذا لم يُوجَدْ منهم مَن يَدفِنُه دَفَنَه المُسـلِمون كمـا فَعَـلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَمِّه أبي طالِبٍ لَمَّا تُـوُفِّيَ، قـالَ لِعَلِيٍّ {اِذْهَبْ فَـوَارِهِ [أَيْ فَغَطِّه بِـالتُّرابِ]}. انتهى باختصار. وقالَتِ اللَّجنةُ الدائمةُ لِلبُحوثِ العِلمِيَّةِ والإفتاءِ (عبــدُالعزيز بن عبدالله بن بــاز وعبــدُالرزاق عفيفي وعبدُالله بن غديان) أيضًـا، كمـا جـاءَ في كِتـابِ (فَتـاوَى اللَّجنةِ الدائمةِ): الأصـلُ في الكـافِرِ إذا مـاتَ أنْ يُوارِيَـه أقارِبُه في حُفرةٍ حتى لا يَتَأَذَّى به النَّاسُ. انتهى. وقـالَ الإمامُ مالِكُ في (الْمُدَوَّنَةُ): لَا يُغَسِّلُ الْمُسْـلِمُ وَالِـدَهُ إذَا مَـاتَ الْوَالِـدُ كَـافِرًا، وَلَا يَتْبَعُـهُ وَلَا يُدْخِلُـهُ قَبْـرَهُ إلَّا أَنْ يَخْشَى أَنْ يَضِيعَ فَيُوَارِيـهِ. انتهى. وقـالَ مركـزُ الفتـوى بموقع إسلام ويب التابع لإدارة الدعوة والإرشاد الديني بوزارة الأوقـاف والشـؤون الإسـلامية بدولـة قطـر في هذا الرابط: قالَ صاحِبُ الإقناعِ (وهو أحَدُ أئمَّةِ الحَنابِلةِ) {وإنَّما مُنِعَ المُسلِمُ مِن اِتِّباعِ جِنازةِ الكافِرِ، وإدخالِه في قَـبرِه، لِمَـا فيـه مِنَ التَّعظِيمِ له}. انتهى. وقـالَ الشَّـيخُ عَلِيُّ بنُ شَـعبانَ في (السُّـنَّةُ التَّركِيَّةُ): النَّبِيُّ صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يُعَزِّ حتى في عَمِّه الـذي كـانَ يَمنَعُـه مِنَ الكُفَّارِ وكانَ يُعِينُه على تَبلِيغِ الرِّسـالةِ، [فَ]لم يَثبُتْ أنَّه عَزَّى عَلِيَّ بنَ أبِي طالِبٍ، وكذلك لم يَثبُتْ أنَّه عَزَّى أحَـدًا مِنَ الصَّـــحابةِ في مَـــوتِ أُمِّه أو أبِيـــه أو أيِّ قَـــرِيبٍ لِلْمُسـلِمِين مِنَ الكُفَّارِ. انتهى باختصـار. وقـالَ الشَّـيخُ عَلِيُّ بنُ شَعبانَ في (السُّـنَّةُ التَّركِيَّةُ) أيضًـا تَحْتَ عُنـوانِ (قاعِـدةِ السُّـنَّةِ التَّركِيَّةِ الأُصـولِيَّةِ): كُـلُّ مـا كـانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ قـادِرًا أنْ يَفْعَلَـه ولم يَفْعَلْـه مـع وُجودِ الدَّافِعِ لِذلك الفِعلِ وانتِفاءِ المانِعِ مِن ذلك الفِعْلِ،

لا يَجوزُ لَنا أنْ نَفْعَلَه؛ فَمِن سُنَنِ رَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (السُّنَّةُ التَّرْكِيَّةُ)، يَعنِي أنَّه تَرَكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أشياءً فَيَكونُ الإقتِداءُ بِه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والائتِساءُ بِه في (تَرْكِها)، لِأنَّ مِنَ الأمورِ ما تَرَكَه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع قِيَامِ المُقتَضَى لِفِعْلِه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعَدَمِ المانِعِ مِن فِعْلِه في وَقتِه وحَيَاتِه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والمُقتَضَى هو الدَّافِعُ لِلْفِعْلِ أو سَبَبٌ يُحِثُّ النَّبِيَّ والصَّحابةَ على فِعْلِ هذا الأمرِ ويَدفَعُهم لِلْمُسارَعةِ في تَنفِيذِه، والمانِعُ هو أمرٌ ما يَعتَرِضُ النَّبِيَّ والصَّحابةَ مِن فِعْلِ العِبادةِ أو اِتِّخاذِ وَسِيلةٍ لِلْعِبادةِ فَيَمْنَعُهم مِن تَأدِيَةِ تلك العِبادةِ أو اِتِّخاذِ هذه الوَسِيلةِ لِلْعِبادةِ... ثم قالَ -أيِ الشَّيخُ عَلِيٌّ- تحت عُنوانِ (تَعزِيَةُ الكُفَّارِ بِجَمِيعِ أصنافِهم "المُحارِب، المُعَاهَد، الذِّمِّيّ، المُستَأمَن"): فالدَّافِعُ لِتَعزِيَةِ الكُفَّارِ [هو] مِن بابِ (الدَّعوةِ إلى اللهِ) رَجاءُ إسلامِهم، تَبيِينُ سَماحةِ الاسلامِ، مِن بابِ صِلةِ الأرحامِ لِأنَّه قَرِيبٌ لي؛ [وأمَّا] المانِعُ مِن تَعزِيَةِ الكُفَّارِ بِجَمِيعِ أصنافِهم، ليس [هناك] مانِعٌ يَمْنَعُنا مِن تَعزِيَةِ الكُفَّارِ، فالنَّبِيُّ لم يَنْهَ عن هذا؛ وإليكم تَطبِيقُ قاعِدةِ (السُّنَّةِ التَّركِيَّةِ) على هذا الفِعْلِ [الذي هو تَعزِيَةُ الكُفَّارِ بِجَمِيعِ أصنافِهم]، فَهذه الدَّوافِعُ التي مَضَتْ كانَتْ مَوجودةً عند النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصَحابَتِه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، واعتِبارُ تَعزِيَةِ الكُفَّارِ مَصْلَحةً كَرجاءِ إسلامِهم هي وَسِيلةٌ لِلدَّعوةِ ولَكِنَّها مُحدَثةٌ لا تَصِحُّ، لِأنَّ وَسائلَ الدَّعوةِ إلى اللهِ تَوقِيفِيَّةٌ على قاعِدةِ (السُّنَّةِ التَّرْكِيَّةِ)، وهَلْ كانَ أحَدٌ أحرَصَ على إسلامِ الكُفَّارِ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟!، اللَّهُمَّ لا، اللَّهُمَّ لا، وهَلْ كانَ أحَدٌ أحرَصَ على إسلامِ الكُفَّارِ مِنَ الخُلَفاءِ الرَّاشِدِين؟!، اللَّهُمَّ لا، اللَّهُمَّ لا، وهَلْ كانَ أحَدٌ أحرَصَ على إسلامِ الكُفَّارِ مِن صَحابةِ رَسولِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؟!، اللَّهُمَّ لا، اللَّهُمَّ لا، فالدَّافِعُ مِنَ

التَّعزِيَـةِ مَوجـودٌ عنـد النَّبِيِّ صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ وصَحابَتِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وليس هنـاك أيُّ مـانِعٍ يَمْنَعُـه صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ سَـوَاءٌ وهـو مُستَضـعَفٌ بِمَكَّةَ أو وهو مُمَكَّنٌ بِالمَدِينةِ، و[مع ذلـك] لم يُعَـزِّ حـتى في عَمِّه الـذي كـانَ يَمنَعُـه مِنَ الكُفَّارِ وكـانَ يُعِينُـه على تَبلِيـغِ الرِّسالةِ، وكـذلك الخُلَفـاءُ الراشـدون لم يَقُمْ أحَـدٌ منهم بِتَعزِيَةِ الكُفَّارِ، وكانَ أيَّامَهم جَمِيعُ أصـنافِ الكُفَّارِ سَـوَاءٌ (المُحـارِب، المُعاهَـد، الـذِّمِّيّ، المُسـتَأْمَن)، ولا ثَبَتَ عن واحِـدٍ مِنَ الأصـحابِ ذلـك، فَفِيمـا الحَيْـرةُ يـا قَـومُ؟!، فالدَّافِعُ مَوجودٌ والمانِعُ مُنْتَـفٍ، فَتَعزِيَـةُ الكُفَّارِ هي عَينُ البِدعـةِ ومُحَرَّمـةٌ، ولا تَجـوزُ سَـوَاءً لِمَصْـلَحةٍ أو لِغَـيرِ مَصْلَحةٍ، فهي مَصْلَحةٌ مُلغـاةٌ لم يَنظُـرْ لَهـا الشَّـرعُ بِعَينِ الاعتِبارِ، فَلَيْسَتْ مَصْلَحةً مُعتَبَرةً ولا مَصْلَحةً مُرسَلَةً، بَلْ هي مِن بابِ المُوالاةِ لِأعداءِ اللهِ، ومَن عَزَّى الكُفَّارَ فَقَدِ اِتَّهَمَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ وصَـحابَتَه رَضِـيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بِالتَّقصِيرِ في الدَّعوةِ، اللَّهُمَّ أُشهِدُك أنِّي أبـرَأُ مِن هذا، فَمَن فَعَلَ مِنَ التَّعَبُّدِيَّاتِ والقُرُباتِ ما تَرَكُوه (النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ وصَـحابَتُه رَضِـيَ اللَّهُ عَنْهُمْ) مـع وُجودِ الدَّافِعِ وانتِفاءِ المـانِعِ، فَقَـدْ واقَـعَ البِدعـةَ وتَلَبَّسَ بِها... ثم قـالَ -أيِ الشَّـيخُ عَلِيٌّ-: فَتَمـامُ اِتِّبـاعِ السُّـنَّةِ يَكونُ بِتَرْكِ ما وَرَدَ تَرْكُه، وفِعْلِ ما وَرَدَ فِعلُه، وإلَّا فَبـابُ البِدعةِ يُفتَحُ علي مِصْرَاعَيْهِ عِيَاذًا بِاللهِ تَعالَى... ثم قـالَ -أيِ الشَّيخُ عَلِيٌّ-: ولِابْنِ القَيِّمِ رَحِمَه اللـهُ تَفصِـيلٌ بَـدِيعٌ ماتِعٌ فِيما نَقَلَـه الصَّـحابةُ رَضِـيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لِتَرْكِـه صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ، قـالَ رَحِمَـه اللـهُ [في (إعْلَامُ الْمُوَقِّعِينَ)] {أَمَّا نَقْلُهُمْ لِتَرْكِهِ [صَلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ] فَهُوَ نَوْعَانِ، وَكِلَاهُمَا سُنَّةٌ؛ أَحَدُهُمَا، تَصْرِيحُهُمْ بِأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَرَكَ كَذَا وَكَذَا وَلَمْ يَفْعَلْهُ؛ وَالثَّانِي، عَدَمُ نَقْلِهِمْ لِمَـا لَـوْ فَعَلَـهُ لَتَـوَفَّرَتْ هِمَمُهُمْ وَدَوَاعِيهِمْ أَوْ أَكْثَرُهُمْ أَوْ وَاحِدٌ مِنْهُمْ عَلَى نَقْلِهِ، فَحَيْثُ لَمْ يَنْقُلْـهُ وَاحِـدٌ

مِنْهُمُ البَتَّةَ وَلَا حَــدَّثَ بِــهِ فِي مَجْمَــعٍ أَبَــدًا عُلِمَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ}... ثم قــالَ [أيِ ابْنُ القَيِّمِ] {إِنَّ تَرْكَــهُ صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُنَّةٌ، كَمَا أَنَّ فِعْلَهُ سُنَّة، فَإِذَا اسْتَحْبَبْنَا فِعْـلَ مَا تَرَكَهُ كَانَ نَظِيرَ اسْتِحْبَابِنَا تَرْكَ مَا فَعَلَهُ، وَلَا فَـرْقَ}... ثم قالَ -أيِ الشَّيخُ عَلِيٌّ-: ولا يَسْلَمُ الشَّخصُ مِنَ الوُقوعِ في الاضْـطِرابِ، إلَّا بِمُتابَعـةِ السُّـنَّةِ وتَـرْكِ الابتِـداعِ في الـدِّينِ؛ ولن يَتِمَّ لَنــا مَعرِفــةُ ذلــك إلَّا بِقاعــدة (السُّــنَّةِ التَّركِيَّةِ)، ولن يَتِمَّ التَّفرِيـــقُ بَيْنَ البِدعـــةِ والمَصْـــلَحةِ المُرسَلةِ إلَّا بِهـذه القاعِـدةِ أيضًـا... ثم قـالَ -أيِ الشَّـيخُ عَلِيٌّ-: قَـالَ حُذَيْفَـةُ بْنُ الْيَمَـانِ {كُـلُّ عِبَـادَةٍ لَمْ يَتَعَبَّدْهَا أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَا تَعَبَّدُوهَا}، وقــالَ ابْنُ مَسْــعُودٍ {اتَّبِعُــوا وَلَا تَبْتَــدِعُوا فَقَـدْ كُفِيتُمْ، عَلَيْكُمْ بِالأَمْرِ العَتِيقِ [أَيِ الْقَدِيمِ الأَوَّلِ]}... ثم قــالَ -أيِ الشَّــيخُ عَلِيٌّ-: وأَخِـيرًا، نَصِـيحتِي لِلْمُسـلِمِ الصـادِقِ في الاتِّباعِ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، اِجعَلْ نُصْـبَ عَيْنَيْـك هذه القاعِدةَ [السُّنَّةَ التَّرْكِيَّةَ] في التَّعَـرُّفِ على البِدعـةِ، واعــرِضْ أيَّ عَمَـلٍ تَرَكَـه النَّبِيُّ صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ وصَحابَتُه على قاعِدةِ (السُّنَّةِ التَّرْكِيَّةِ)، وانظُرْ في وُجـودِ الدَّافِعِ وانتِفاءِ المانِعِ؛ فَإنْ وُجِـدَ الـدَّافِعُ وانتَفَى المـانِعُ فَلا يَجوزُ لك أنْ تَفْعَـلَ لِقِيـامِ المُقتَضَـى لِلْفِعْـلِ وعَـدَمِ المانِعِ مِنَ الفِعْلِ، فَإنْ فَعَلْتَ، فَـإنْ كـانَتْ في العِبـاداتِ فَتَكونُ بِدعةً (كَقِراءةِ الفاتِحة على الأمواتِ)، وإنْ كـانَتْ في وَسائلِ العِباداتِ فَتَكونُ مَصْلَحةً مُلغاةً (كاتِّخاذِ الخَطِّ [أيْ في المَســاجِدِ] لِتَســوِيَةِ الصُّــفوفِ، وإخــراجِ زَكــاةِ الفِطْرِ قِيمةً)؛ وإنْ وُجِدَ الدَّافِعُ ووُجِدَ المانِعُ فَيَجـوزُ لــك أنْ تَفْعَـلَ لِقِيَـامِ المُقتَضَـى لِلْفِعْـلِ ووُجـودِ المـانِعِ مِنَ الفِعْلِ، فَإنْ فَعَلْتَ، فَإنْ كانَتْ في العِباداتِ فَتَكُونُ سُـنَّةً (كَجَمعِ النَّاسِ على التَّرَاوِيحِ أيَّامَ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ [قـالَ الشَّيخُ عَلِيُّ بنُ شَعبانَ في (السُّنَّةُ التَّرْكِيَّةُ): تَـرَك صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قِيَامَ رَمَضانَ مع أصحابِه في جَماعةً بَعْدَ

لَيَالٍ، وعَلَّلَ ذلك بِخَشيَتِه أنْ تُفرَضَ عليهم، فَزالَ المانِعُ بِمَوتِه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. انتهى باختصار])، وإنْ كانَتْ في وَسائلِ العِباداتِ فَتَكُونُ مَصْلَحةً مُرسَلةً (كَجَمعِ المُصحَفِ أيَّامَ أبِي بَكرٍ [قالَ السُّيُوطِيُّ في (الإتقان): قَالَ الْخَطَّابِيُّ {إِنَّمَا لَمْ يَجْمَعْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقُرْآنَ فِي الْمُصْحَفِ، لِمَا كَانَ يَتَرَقَّبُهُ مِنْ وُرُودِ نَاسِخٍ لِبَعْضِ أَحْكَامِهِ أَوْ تِلَاوَتِهِ، فَلَمَّا اِنْقَضَى نُزُولُهُ بِوَفَاتِهِ أَلْهَمَ اللَّهُ الْخُلَفَاءَ الرَّاشِدِينَ ذَلِكَ وَفَاءً بِوَعْدِهِ الصَّادِقِ بِضَمَانِ حِفْظِهِ عَلَى هَذِهِ الأُمَّةِ، فَكَانَ اِبْتِدَاءُ ذَلِكَ عَلَى يَدِ الصِّدِّيقِ بِمَشُورَةِ عُمَرَ}. انتهى. وقالَ مركزُ الفتوى بموقع إسلام ويب التابع لإدارة الدعوة والإرشاد الديني بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر في هذا الرابط: لَمَّا تَوافَرَتْ دَواعِي الكِتابةِ، مُتَمَثِّلَةً بِوَفاتِه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وما تَرَتَّبَ بَعْدَ ذلك مِن حُروبِ الرِّدَّة التي اِستَنفَدتْ عَدَدًا كَبِيرًا مِنَ الصَّحابةِ الحَفَظةِ، لَمَّا حَدَثَ ما حَدَثَ بادَرَ الصَّحابةُ إلى جَمعِه وتَدوِينِه. انتهى. وقالَ الشَّيخُ عَلِيُّ بنُ سليمان العبيد (الأستاذ بقسم القرآن وعلومه بكلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية) في (جَمعُ القُرآنِ الكَرِيمِ حِفظًا وكِتابةً): إنَّه لم يُوجَدْ مِن دَواعِي الجَمعِ في مُصحَفٍ واحِدٍ مِثلَ ما وُجِدَ في عَهدِ أبِي بَكرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عنه، فَقَدْ كانَ المُسلِمون في عَهدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِخَيرٍ وأمنٍ، والقُرَّاءُ كَثِيرون، والفِتنةُ مأمونةٌ، وفَوْقَ هذا، الرَّسولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بينهم، بِخِلافِ ما حَصَلَ في عَهدِ أبِي بَكرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عنه مِن مَقْتَلِ الحُفَّاظِ. انتهى]). انتهى باختصار. وَسُئلَ الشَّيخُ اِبنُ عثيمين، كَما جاءَ في (مجموع فتاوى ورسائل العثيمين)، عن حُكمِ تَعزِيَةِ الكافِرِ؛ فَأجابَ بِقَولِه: تَعزِيَةُ الكافِرِ إذا ماتَ له مَن يُعَزَّى به مِن قَرِيبٍ أو صَدِيقٍ، في هذا خِلافٌ بَيْنَ

العُلَماءِ، فَمِنَ العُلَماءِ مَن قالَ {إنَّ تَعزِيَتَهم حَرامٌ}، ومنهم مَن قالَ {إنَّها جائزةٌ}، ومنهم مَن فَصَّلَ في ذلك فَقالَ {إنْ كانَ في ذلك مَصْلَحةٌ كَرَجاءِ إسلامِهم، وكَفِّ شَرِّهم الذي لا يُمكِنُ إلَّا بِتَعزِيَتِهم، فَهو جائزٌ وإلَّا كانَ حَرامًا}؛ والراجِحُ أنَّه إنْ كانَ يُفهَمُ مِن تَعزِيَتِهم إعزازُهم وإكرامُهم كانَتْ حَرامًا وإلَّا فَيُنظَرُ في المَصْلَحةِ [قالَ الشَّيخُ عَلِيُّ بنُ شَعبانَ مُعلِّقًا على هذه الفَتوى: سُبحانَ اللهِ!، رَغْمَ أنَّ الشَّيخَ لا يَقولُ بِالبِدعةِ الحَسَنةِ، إلَّا أنَّه قالَ بِها دُونَ أنْ يَشعُرَ في مَسألةِ التَّعزِيَةِ، فَقَدِ اِستَحسَنَ التَّعزِيَةَ لِأنَّها فِيها مَصْلَحةً كَرَجاءِ إسلامِهم على حَدِّ قَولِه رَحِمَه اللهُ!، وهَلْ كانَ أحَدٌ أحرَصَ على إسلامِ الكُفَّارِ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والخُلَفاءِ الرَّاشِدِين؟!. انتهى من السُّنَّةُ التَّرِكِيَّةُ]. انتهى]... ثم قالَ -أيِ الشيخُ المقدسي-: إنَّنا مُكَلَّفون في مُعامَلاتِنا وأحكامِنا في الدُّنْيَا بالظاهِرِ دُونَ الباطِنِ، وهذا مِن فَضلِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ عَلَينا، وإلَّا لَأمْسَى الإسلامُ وأهلُه أُلْعُوبةً وأُضْحُوكةً لِكُلِّ جاسُوسٍ وخَبِيثٍ وزِنْدِيقٍ... ثم قالَ -أيِ الشيخُ المقدسي-: إنَّ هؤلاء الطَّواغِيتَ أشَدُّ خُبْثًا وأعظَمُ مَكْرًا مِن فِرْعَوْنَ، فَهُمْ لا يَلْجَأُونَ إلى أسْلُوبِه في تَقتِيلِ الأبناءِ، إلَّا في آخِرِ الأمْرِ حِينَ تَعْجِزُ أسالِيبُهم الخَبِيثةُ الأُخْرَى، فيُحاوِلون جاهِدِين قَبْلَ ذلك أنْ يَقْتُلوا هذه المِلَّةَ في نُفوسِهم، فبَدَلًا مِن أنْ يُهْلِكوا الأجْيالَ حِسِّيًّا كما فَعَلَ فِرْعَوْنُ، يَقْتُلون فيهم هذه المِلَّةَ فيُهْلِكونهم أيَّما إهلاكٍ، وذلك بتَرْبِيَتِهم على حُبِّهم والوَلاءِ لهم ولِقَوَانِينِهم وحُكوماتِهم عَبْرَ مَدارِسِهم الفاسِدةِ هذه، ووَسائلِ إعلامِهم الأُخْرَى التي يُدْخِلُها ويَنْقُلُها كَثِيرٌ مِن جُهَّالِ المُسلِمِين إلى بُيُوتِهم، فبَدَلًا مِن أنْ يُثِيرَ هؤلاء الطَّواغِيتُ الناسَ بِاستِعجالِ القَتْلِ الحَقِيقِيِّ، يَتَّبِعون هذه السِّياسةَ الخَبِيثةَ لِيُسَبِّحَ الناسُ بِحَمْدِهم وبِأفْضالِهم على أنَّهم ماسِحو الأُمِّيَّةِ وناشِروا

العِلْمِ والحَضَارةِ، وفوقَ ذلك كُلِّه وتَحْتَ هذا الغِطَاءِ يُرَبُّون مِن ذَرَارِيِّ [(ذَرَارِيّ) جَمْعُ (ذُرِّيَّة)، والذُّرِّيَّةُ هُمُ الصِّبْيَانُ أوِ النِّسَاءُ أوْ كِلَاهُمَا] المُسلِمِين أتْباعًا أوْفِيَاءَ وخَدَمًا مُخلِصِين لِحُكوماتِهم ولِقَوَانِينِهم وأسَرِهِم الحاكِمةِ، أو على أقَلِّ الأحوالِ يُرَبُّون جِيلًا مائعًا جاهِلًا مُنحَرِفًا راغِبًا عن هذه الدَّعوةِ الصُّلْبةِ والمِلَّةِ القَوِيمةِ مُداهِنًا لأهلِ الباطِلِ لا يَقْوَى بَلْ ولا يَصْلُحُ لِمُواجَهَتِهم أو يُفَكِّرُ فيها... ثم قالَ -أيِ الشيخُ المقدسي-: أمَا آنَ لهم [أيْ لِدُعاةِ زمَانِنا] أنْ يَستَيقِظوا مِنَ الغَفَلاتِ ويُقَوِّموا الانحِرافاتِ؟، أوَ مَا كَفَاهُمْ سُقُوطًا في ألاعِيبِ الطَّغاةِ وكِتْمانًا لِلحَقِّ وتَلْبِيسًا على الناسِ ومَضْيَعةً لِلْجُهودِ والأعْمارِ؟، فإنَّه واللهِ اختِيارٌ واحِدٌ (إمَّا شَرِيعةُ اللهِ، وإمَّا أهْواءُ الذِين لا يَعْلَمون)، وليس هناك طَرِيقٌ وَسَطٌ بين الشَّرِيعةِ المُستَقِيمةِ والأهْواءِ المُتَقَلِّبةِ. انتهى باختصار.

(10)وقالَ الشيخُ عبدُالله التهامي في (مجلة البيان، التي يَرْأسُ تحريرَها الشيخُ أحمد بن عبدالرحمن الصويان "رئيس رابطة الصحافة الإسلامية العالمية") تحت عنوان (ضوابط الضرورة في الشريعة الإسلامية): فقد استسلمَ مُعظَمُ الناسِ إلى نِعمةِ التَّرَخُّصِ، ورَغِبَوا في إستِبقاءِ هذه النِّعمةِ وعَدَمِ زَوالِها، مع أنَّ مسألةَ التَّرَخُّصِ تُعتَبَرُ مِنَ الأُمورِ العارِضةِ والقَضايَا الطارِئةِ، إلَّا أنَّها صارَتْ في كثيرٍ مِنَ الأحْيانِ عند بعضِ الناسِ ذَرِيعةً إلى التَّخَلُّصِ والتَّفَلُّتِ مِنَ الالتِزامِ بقُيودِ هذه الشريعةِ... ثم قالَ -أيِ الشيخُ التهامي-: إنَّ أهْلَ الزَّيْغِ والهَوَى، كَثِيرًا ما يَتَعَلَّقون بسِتَارِ الضرورةِ في تحقيقِ مَآرِبِهم ونَيْلِ أغراضِهم، فيُحَمِّلون هذه الشريعةَ باطِلَ صَنِيعِهم وسُوءَ مَكْرِهِمْ، بَلْ ورُبَّما يَنسَلِخون مِنَ الدِّينِ كُلِّه باسمِ الضرورةِ أو الحِكمةِ أو المَصلَحةِ... ثم قالَ -

أَيِ الشيخُ التهامي-: المرادُ بحالـةِ الضـرورةِ عنـد علمـاءِ الشَّرِيعةِ في مِثْلِ قولِهم {يَجوزُ كـذا عنـد الضـرورةِ (أو لِأجْلِ الضرورةِ)} تلك الحالةُ التي يَتَعَرَّضُ فيها الإنسـانُ إلى الخَطَـرِ في دِينِـه أو نَفْسِـه أو عَقْلِـه أو عِرضِـه أو مالِه، فَيَلْجَـأُ -لكي يُخَلِّصَ نَفْسَـه مِن هـذا الخَطَـرِ- إلى مُخالَفةِ الدَّلِيلِ الشَّرْعِيِّ الثَّابِتِ، وذلك كمَن يَغَصُّ بِلُقْمَـةِ طَعَامٍ ولا يَجِدُ سِوَى كَأْسٍ مِنَ الخَمْرِ يُزِيـلُ هـذه الغُصَّـةَ؛ وقد تَواتَرَتِ الأدِلَّةُ على أنَّ هذه الشـريعةَ جـاءَتْ لِحِفْـظِ الضَّـرُورِيَّاتِ الخَمْسِ (الـدِّينِ والنَّفْسِ والعَقْـلِ والنَّسـلِ والمـالِ)، والمُـرادُ بالضَّـرُورِيَّاتِ الأمُـورُ الـتي لا بُـدَّ مِنَ المُحافَظةِ عليها حـتى تَسـتَقِيمَ مصـالحُ الـدُّنْيَا والآخِـرَةِ على نَهْجٍ صـــحيحٍ دُونَ اختِلَالٍ، وإنَّمـــا يكـــونُ ذلـــك بالمُحافظــةِ على هــذه الأمُــورِ الخَمْسَــةِ، لــذا تُسَـمَى الضَّـرُوراتِ (أوِ الضَّـرُورِيَّاتِ) الخَمْسَ، وتُسَـمَى بالكُلِّيَّاتِ الخَمْسِ أيضًا لِكَونِهـا جامِعـةً لجميـعِ الأحكـامِ والتكـالِيفِ الشَّـــرعِيَّةِ، فهي كُلِّيَّةٌ تَنْـــدَرِجُ تحتهـــا جميـــعُ جُزئِيَّاتِ الشَّـرِيعةِ، وتُسَـمَى أيضًـا بمَقاصِـدِ الشَّـرِيعةِ لِمَـا ثَبَتَ -بالاستقراءِ التَّامِّ لهذه الشَّـرِيعةِ دَقِيقِهَـا وَجَلِيلِهَـا- كَـوْنُ المُحافَظــةِ على هــذه الأمُــورِ الخَمْســةِ أمْـرًا مَقصُــودًا للشــارِعِ... ثم قــالَ -أيِ الشــيخُ التهــامي- تحت عنــوان (الفرقِ بين الضرورة والحاجة): الضرورةُ حالةٌ تَستَدعِي إنقَاذًا، أَمَّا الحاجَةُ فهي حالةٌ تَستَدعِي تَيْسِيرًا وتَسْـهِيلًا، فهي مَرْتَبةٌ دُونَ الضَّرُورةِ، إذْ يَتَرَتَّبُ على الضَّرُورةِ ضَرَرٌ عظيمٌ في إحْدَى الكُلِّيَّاتِ الخَمْسِ. انتهى. وقـالَ الشـيخُ محمد صالح المنجد في خُطْبَةٍ له بِعُنْـوانِ (التساهُل في الاحتجــاج بالضــرورة) مُفَرَّغَــةٍ على موقِعِـه في هــذا الرابط: حَدِيثُنا في هذه الخُطْبَةِ عن موضوعٍ حَصَـلَ فيـه خَلْطٌ كثيرٌ، وحَصَلَ فيه استغلالاتٌ سَيِّئةٌ كثـيرةٌ مِن كثـيرٍ مِن أصحابِ النَّوَايَا السَّيِّئةِ، ولذلك كان لا بُدَّ للمُسلمِ مِن فَهْمِـه وفَهْمِ مـا يَتَعَلَّقُ بـه، ألَا وهـو القاعـدةُ الشـرعِيَّةُ

العظيمةُ {الضَّرُوراتُ تُبِيحُ المحظوراتِ}، هـذه القاعـدة التي ظُلِمَتْ ظُلْمًا عَظِيمًا مِن كثيرٍ مِن أَبْناءِ المسـلمِين، هذه القاعدةُ التي أَصْبَحَ الاستدلالُ بها على ما هَبَّ ودَبَّ مِنَ الأُمُـورِ دَيْـدَنَ عامَّةِ الـذِين يَعْصُـونَ اللـهَ سُـبحانَهُ وتَعالَى، كُلَّمَا أَرادَ أَحَـدُهم أنْ يَفعَـلَ مَعصِـيَةً -أو فَعَلَهـا- فناقَشْـتَه في ذلـك كـان مِن حُجَجِـه {الضَّـرُوراتُ تُبِيحُ المحظوراتِ}!، فما هي حقيقةُ هـذه القاعـدةِ ومـا هي ضَوابِطُها؟؛ قالَ اللهُ تَعـالَى {فَمَنِ اضْـطُرَّ غَيْـرَ بَـاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}، وقالَ {فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْـهِ، إِنَّ اللَّهَ غَفُـورٌ رَّحِيمٌ}، وقـالَ عَـزَّ وَجَلَّ {وَقَدْ فَصَّـلَ لَكُم مَّا حَـرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَـا اضْـطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ}، لِماذا شَرَعَ رَبُّنا جَوَازَ أَكْلِ المَيْتَةِ للضَّرُورةِ وجَـوَازَ تَناوُلِ الأَمْرِ المُحَرَّمِ للضَّرُورةِ؟، لأنَّه قالَ عَزَّ وَجَلَّ {يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيـدُ بِكُمُ الْعُسْـرَ}، وقـالَ {مَـا يُرِيـدُ اللَّهُ لِيَجْعَـــلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَـــرَجٍ وَلَكِن يُرِيـــدُ لِيُطَهِّرَكُمْ}، وقالَ {يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ}، وقد أَجْمَـعَ الفُقهـاءُ على أنَّ للجائعِ المُضْطَرِّ الذي لا يَجِدُ شيئًا حَلَالًا يَدْفَعُ بـه الهَلَاكَ عن نَفْسِهِ أنْ يَتَنـاوَلَ المُحَـرَّمَ إذا لم يَجِـدْ غـيرَه، فيَتَناوَلُ منه بقَدْرِ ما يُزِيلُ ضَرُورَتَه، لأنَّ اللهَ قالَ {فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْـرَ مُتَجَـانِفٍ لِّإِثْمٍ، فَـإِنَّ اللَّهَ غَفُـورٌ رَّحِيمٌ}؛ وقالَ اللهُ سُبْحانَهُ وتَعالَى مُبَيِّنًا حالةً أُخْـرَى مِن حالاتِ الاضْطِرارِ {مَن كَفَـرَ بِاللَّهِ مِن بَعْـدِ إِيمَانِـهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُـهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَـانِ}، فـإذا كـانَ المُسـلِمُ قـد تَعَـرَّضَ لتَهدِيـدٍ حَقِيقِيٍّ وتَعـذِيبٍ وَحْشِـيٍّ، يُـرادُ منـه أنْ يَنْطِـقَ بكلمـةِ الكُفـرِ، نَطَـقَ بهـا لِسـانُه، وقَلْبُـه مُطْمَئِنٌّ بالإيمانِ؛ فـإذَنْ، هـذه القاعـدةُ في الشَّـريعةِ مَحفُوظَـةٌ بِأَدِلَّتِها، قائِمـةٌ، مِن عَلَامـاتِ ومَيْـزاتِ هـذا الـدِّينِ؛ ولكنْ أَيُّها المسلمون، مَتَى يُصْـبِحُ الشـيءُ ضَـرورةً، مـا مَعْنَى كلمةِ الضَّرورةِ؟، إنَّ كثيرًا مِنَ الناسِ يُفَسِّرون الضَّرورةَ بـأَيِّ مَشَـقَّةٍ تَعْـرِضُ، بـأَيِّ دَرَجـةٍ تكـونُ، أو يُفَسِّـرون

الضَّـرورةَ بحـاجَتِهم إلى التَّوَسُّـعِ في الأمُـورِ الدُّنْيَوِيَّةِ، ولأجْـلِ ذلـك يَنتَهِكـون حُرْمـةَ الشَّـرِيعةِ... ثم قـالَ -أيِ الشيخُ المنجد-: فأمَّا الضَّرورةُ فقد ذَكَرَ العلماءُ تَعرِيفَها، وقالوا {إذا تَرَتَّبَ على عَدَمِ فِعْلِ الشيءِ المُحَـرَّمِ هَلَاكٌ، أو إلْحاقُ الضَّرَرِ الشَّدِيدِ، بأَحَدِ الضَّرُورِيَّاتِ الخَمْسِ (وهي الدِّينُ والنَّفْسُ والعَقْلُ والمالُ والعِرْضُ)، فإنَّه عند ذلـك يَجُوزُ له أنْ يَتَنـاوَلَ المُحَـرَّمَ للضَّـرُورةِ}، فتأمَّلْ كَلَامَهم رَحِمَهم اللهُ في قـولِهم {هَلَاكٌ، أو إلْحـاقُ ضَـرَرٍ شَـدِيدٍ، عند ذلك يَجُـوزُ لـه أنْ يَـرتَكِبَ هـذا المُحَـرَّمَ للضَّـرُورةِ}، وهذا الكلامُ أيضًا فيه تَفْصِيلٌ، ولـذلك فإنَّنـا لا يَجـوزُ لنـا أنْ نَترُكَ الجِهادَ في سبيلِ اللهِ مِن أَجْلِ المُحافَظةِ على النُّفُـوسِ ونَقُـولَ {إنَّ تَـرْكَ الجِهـادِ ضَـرورةٌ لأنَّ الجِهـادَ يُسَـبِّبُ قَتْـلَ النَّفْسِ}، كَلَّا، لأنَّ حِفْـظَ الـدِّينِ أَعْلَى [مِن حِفْظِ النَّفْسِ] والجِهادُ لا بُدَّ منه لِحِفْظِ الدِّينِ... ثم قـالَ -أيِ الشيخُ المنجد-: وهناك أُمُورٌ تُقَدَّمُ وتُؤَخَّرُ في أبوابِ الضَّـرورةِ، فلـو أنَّه غَصَّ بِلُقْمـةٍ [وَ]لم يَجِـدْ إلَّا خَمْـرًا لِيَبتَلِعَها [أَيِ اللُّقْمةَ] وإلَّا لَمَاتَ وهَلَـكَ واخْتَنَـقَ، جـازَ لـه أنْ يَتَناوَلَ ما يُسَلِّكُ به تلك الغُصَّةَ ويَنْجُوَ بـه مِنَ الهَلَاكِ، فَتَنْجُو نَفْسُـه ولـو أدَّى لإلْحـاقِ ضَـرَرٍ بعَقْلِـه [وذلـك لأنَّ حِفْـظَ النَّفْسِ أعلى مِن حِفْـظِ العَقْـلِ]... ثم قـالَ -أيِ الشيخُ المنجد-: لا بُدَّ لَنَا أنْ نَعْلَمَ ونَعْرِفَ ما هي القواعدُ [يَعْنِي ضَـوَابِطَ قاعـدةِ (الضَّـروراتُ تُبِيحُ المحظـوراتِ)] التي ذَكَرَها العُلماءُ، لِنَكُونَ على بَيِّنةٍ عند اِسـتِخدامِ هـذا الأمـرِ الخَطِـيرِ، الـذي إنْ لم يُحْسَـنِ اسـتِخدامُه تَعَـرَّضَ المُسـتَخدِمُ للهَلَاكِ في العاجِـلِ والآجِـلِ؛ أوَّلًا، يَجِبُ أَلَّا يَتَسَـبَّبَ الإنسـانُ لإيقـاعِ نَفْسِـه في الضَّـرورةِ، فلـو أنَّه أتلَفَ مالَه وطَعَامَه الطَّيِّبَ، وهـو يَعْلَمُ أنَّه سيَضْـطَرُّ [أَيْ بسَبَبِ ذلك] لِأكْلِ طَعَامٍ مُحَرَّمٍ، كان آثِمًا عند اللهِ بِفِعْلِـه هذا؛ ثانيًا، فإنَّ الضَّرُورَةَ لا بُدَّ أنْ تُقَدَّرُ بِقَـدْرِهَا، إنَّ بـابَ الضَّرُورةِ ليس مَفتُوحًا عَلَى مِصْرَاعَيْهِ يَدخُلُ منه كُلُّ مَن

هَبَّ ودَبَّ بأَيِّ طَرِيقةٍ شاءَ، وإِنَّما هـو مَضـبُوطٌ بضَـوابِطَ يَعْلَمُها أهلُ العِلمِ الثِّقاتُ، ذَكَروهـا في كُتُبِهِم، ويَـذكُرُها المُفْتُونَ المُخْلِصون للناسِ إذا سُـئِلُوا، فالضَّـرُورَةُ لا بُـدَّ أن تُقَـدَّرُ بِقَـدْرِهَا، فمَنِ اُضْـطُرَّ إلى الكَـذِبِ (مَثَلًا) فَـإِنْ أَمْكَنَهُ التَّوْرِيَةُ لَا يَجـوزُ لَـه أَنْ يَكـذِبَ، والتَّوْرِيَـةُ أنْ يَـأْتِيَ بلَفظٍ له مَعْنًى بَعِيدٌ في نَفْسِه، ومَعْنًى قَرِيبٌ في نَفْسِ الـوَقْتِ يَفهَمُـه السـامِعُ، فعنـد ذلـك لا يَجـوزُ أنْ يَكـذِبَ، ويَستَخدِمُ [أيْ على سَبِيلِ الوُجوبِ] التَّوْرِيَةَ، وإذا اُضْـطُرَّ إلى الكَذِبِ، كأنْ يكونَ عنده مـالُ إنسـانٍ مَعصُـومٍ مُخَبَّأً، فَجَاءَ ظـالِمٌ يقـولُ لـه {هَـلْ عنـدك المـالُ؟}، ولمْ يَجِـدْ طَرِيقةً لِلتَّوْرِيَةِ، فيَجوزُ له أنْ يَكْذِبَ في هذا الأمْرِ فَقَطْ، بجُمْلَـةٍ مُحَـدَّدةٍ لا يَنتَشِـرُ الكَـذِبُ إلى غيرِهـا، ومَن أُكْـرِهَ على النُّطقِ بكَلِمةِ الكُفرِ لا يَجُوزُ له أنْ يَكْفُرَ بقَلْبِـه، لأنَّ الكُفْـرَ على اللِّسـانِ فَقَـطْ إذا اُضْـطُرَّ إلى ذلـك [قـالَ الشيخُ أبو بصير الطرطوسي في كتابِه (شُـروطُ "لَا إِلَـهَ إِلَّا اللَّهُ"): الإكـراهُ سُـلْطانُه على الجَـوَارِحِ الظـاهِرةِ لا الجَـوَارِحِ الباطِنــةِ [(جَـوَارِحُ الإِنْسَــانِ الظـاهِرةِ) هِيَ أَعْضَاؤُهُ الظاهِرةِ الَّتِي يَكْتَسِـبُ بِهَـا، وَهِيَ الْعَيْنُ وَالأُذُنُ وَاللِّسَانُ وَالْبَطْنُ وَالْفَـرْجُ وَالْيَـدُ وَالرِّجْـلُ؛ أَمَّا (الجَـوَارِحُ الباطِنةُ) فهي القَلْبُ فَقَـطْ، وقـد غَلَبَ التَّعبِـيرُ بـالجَمْعِ لمُشـاكَلةِ قَـولِهِم {الجَـوَارِحُ الظـاهرةُ}]. انتهى]، ومَن جازَ له التَّيَمُّمُ للضَّرورةِ، فإذا قَـدِرَ على اسـتِعمالِ المـاءِ لا يَجوزُ له أنْ يُوَاصِلَ في التَّيَمُّمِ، ومَنِ اُضْـطُرَّ للإفطـارِ في شَهْرِ رَمَضانَ مِن أجْـلِ المَـرَضِ، فـإذا اِشـتَدَّ وقَـوِيَ وأَطاقَ الصِّيَامَ ما جازَ له أنْ يُكْمِلَ في إفطـارِه، وكـذلك المُسافِرُ لو أقامَ لا يَجـوزُ لـه الإكْمـالُ في الإفطـارِ في رَمَضانَ، وخُذْ مَثَلًا مِنَ الأمْثِلةِ التي يَتَعَرَّضَ لها كثــيرٌ مِنَ النَّاسِ في هــذه الأيَّامِ بســببِ عَــدَمِ الاحتِيَــاطِ في الشَّـرِيعةِ، وعَـدَمِ وُجـودِ الجُهـودِ الصَّـحِيحةِ الـتي تُزِيـلُ الحَـرَجَ عن كثـيرٍ مِن نِسـاءِ المُسـلِمِين، (كَشْـفُ الطَّبِيبِ

على المـرأةِ المَريضـةِ)، [فَ]بِسَـبَبِ تَقصِـيرِنا وإهمالِنـا وعَـدَمِ تَخطِيطِنـا وانتِباهِنـا للمُحَرَّمـاتِ، حَصَـلَ تَقصِـيرٌ شَـدِيدٌ في تنظيمِ الأمُـورِ، فصـارَتِ المـرأةُ تُضْـطَرُّ في كثيرٍ مِنَ الأحْيَانِ للكَشْفِ عنـد الطَّبِيبِ الأَجْنَبِيِّ، وهنـا لا بُدَّ أنْ نَفهَمَ مَعْنَى تَقدِيرِ الضَّرورةِ بقَدْرِها في مِثْلِ هـذا المَوضِـعِ، فمَثَلًا لا بُـدَّ أنْ تَبحَثَ عن طَبِيبـةٍ مُسـلِمةٍ لِزَوجَتِكَ أو بِنْتِكَ، فإنْ لم يُوجَـدْ طَبِيبـةٌ مُسـلِمةٌ مُؤَهَّلـةٌ، في أيِّ مَكـانٍ تَسـتَطِيعُ الوُصـولُ إليـه، وتَسـتَطِيعُ دَفْـعَ أجْرِه، جازَ اللُّجوءُ إلى طَبِيبةٍ كافرةٍ، فإنْ لم تُوجَدْ طَبِيبةٌ كـافِرةٌ مُؤَهَّلـةٌ أيضًـا جـازَ اللُّجـوءُ إلى الطَّبِيبِ المُسـلمِ المُؤَهَّلِ [قلتُ: ويُراعَى هنا تَقدِيمُ الطَّبِيبِ السُّـنِّيِّ على الطَّبِيبِ المُبتَدِعِ. وقـد قـالَ الشـيخُ صـالح الفـوزان في فيـديو لـه بعُنْـوانِ (مـا حُكْمُ مُجالَسـةِ أهْـلِ البِـدَعِ بِحُجَّةِ التَّقَرُّبِ إليهم وتَعلِيمِهم الدِّينَ الصّـحِيحَ؟): لا تَقْـرَبْ مِن أهْلِ البِدَعِ أبَـدًا، يُـؤَثِّرون عليـك، وتَـأْثَمُ بجُلوسِـك معهم، اِبتَعِدْ عنهم إلَّا إذا دَعَتِ الحاجَةُ إلى مُناظَرَتِهم وبَيَانِ مـا هُمْ عليه مِنَ الباطِلِ وأنتَ عندك أهْلِيَّةٌ لـذلك، فلا مـانِعَ، في حُـدُودٍ. انتهى]، فـإنْ لم يُوجَـدْ جـازَ اللُّجـوءُ إلى الطَّبِيبِ الكافِرِ، فَهَلْ يَتَّبِـعُ النـاسُ هـذا التَّنفِيـذَ؟، ثم إذا جـازَ للطَّبِيبِ الكَشْـفُ عنِ المـرأةِ الأجنَبِيَّةِ، فيَجِبُ أنْ يكـونَ بـدُونِ خَلْـوَةٍ، وأنِ يَحْضُـرَ مَحْرَمُهـا (مَثَلًا)، وأنْ يَكْشِـفَ على مَوضِـعِ العِلَّةِ فَقَـطْ ولا يَتَعَـدَّاه، وإذا كـانَ النَّظَـرُ إلى مَوضِـعِ العِلَّةِ يَكفِي فلا يَجـوزُ لـه أنْ يَلمِسَ، وإذا كـانَ يَكْفِيـه لَمْسٌ مِن وَراءِ حائـلٍ لا يَجـوزُ لـه أنْ يَلمِسَ بغيرِ حائلٍ، وإذا كانَ يَتَوَجَّبُ أنْ يَلمِسَه بغيرِ حائلٍ فلا يَلمِسُ مـا حَوْلَـه مِنَ المِنْطَقـةِ الـتي لا عَلَاقـةَ لهـا بالعِلَّةِ، ولا عَلَاقةَ لها بـالعِلَاجِ أيضًـا، وإذا كـانَ يَكفِيـه أنْ يَفْحَصَ لِمُدَّةٍ دَقِيقةٍ (مَثَلًا) فلا يَجـوزُ لـه أنْ يَتَعَـدَّى هـذه الفَتْـرةَ، وكُـلُّ إنسـانٍ مُـؤتَمَنٌ على حَرِيمِـه، وَمَـا أَكْثَـرَ التَّفرِيطَ في هذا الأمرِ في هذه الأيَّامِ؛ ثالثًـا، إنَّ الضَّـرَرَ

لا يُـزالُ بِمِثْلِـه أو شـيءٍ أَكْبَـرَ مِنْـهُ، فمَثَلًا لـو قـالوا لـه {اُقْتُلْ فُلَانًا وإلَّا سَلَبْنا مالَكَ} فلا يَجوزُ له أنْ يَقْتُلَه، بَلْ لو قالوا له {اُقْتُلْ فُلَانًا وإلَّا قَتَلْناكَ} وفُلَانٌ هـذا مُسـلِمٌ مَعصومٌ، لا يَجوزُ له أنْ يَقْتُلَه لأنَّ النُّفوسَ في الشَّـرِيعةِ سَوَاسِيَةٌ، وكذلك لو أُكْرِهَ جُنْـدِيٌّ مُسـلِمٌ بالقَتْـلِ على أنْ يَدُلَّ العَدُوَّ على ثُغْرَةٍ يَنفُـذون منهـا إلى البَلَـدِ المُسـلِمِ، لِكَيْ يَحتَلُّوه ويُوقِعوا القَتَلَ والتَّشرِيدَ في أَهْلِه، مـا جـازَ له أنْ يَدُلَّهم ولو قَتَلُوه... ثم قـالَ -أيِ الشـيخُ المنجـد-: ثم إنَّ كثيرًا مِنَ الناسِ يقولـون لـك {نحن مُكْرَهـون (أو أُكْرِهْنا)}، فما هو الإكراهُ الذي يُبَاحُ به الأمْـرُ المُحَـرَّمُ؟، هل هو ضَرْبُ سَوْطٍ أو سَوْطَين (مَثَلًا) لِأنْ يَنْتَهِكَ حُرْمـةَ اللـهِ بـالزِّنَى (على سَـبِيلِ المِثـالِ)؟؛ قـالَ الفُقَهـاءُ {الضَّربُ الذي يُعتَبَرُ إكراهًا هو ما كانَ فيـه خَشْـيَةُ تَلَـفِ النَّفْسِ أو أَحَدِ الأعضـاءِ، أو أَلَمٌ شَـدِيدٌ لا يُطِيـقُ تَحَمُّلَـه} [قالَ اِبنُ الجوزي في (زاد المسير): قَـالَ الْقَاضِـي أَبُـو يَعْلَى {فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ [أَيْ قِصَّةِ حَـاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَـةَ] دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ الْخَـوْفَ عَلَى الْمَـالِ وَالْوَلَـدِ لَا يُبِيحُ التَّقِيَّةَ فِي إِظْهَـارِ الْكُفْـرِ، كَمَـا يُبِيحُ فِي الْخَـوْفِ عَلَى النَّفْسِ، وَيَبِينُ ذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَـالَى فَـرَضَ الْهِجْـرَةَ، وَلَمْ يَعْـذُرْهُمْ فِي التَّخَلُّفِ لِأجْلِ أَمْوَالِهِمْ وَأَوْلَادِهِمْ}. انتهى]، بَلْ إنَّهم ذَكَروا شُروطًا للإكـراهِ، كـأنْ يكـونَ المُكْـرِهُ مُتَمَكِّنًـا مِنَ التَّنفِيذِ [وإلَّا كان تَهدِيدُه هَذَيَانًا وضَرْبًا مِنَ اللَّغْوِ الذي لا يُلتَفَتُ إليـه]، وأنْ يكـونَ المُكْـرَهُ عالِمًـا [أيْ مُتَيَقِّنًـا] أو غالِبًا على ظَنِّه أنَّ المُكْـرِهَ سيُنَفِّذُ وَعِيـدَه [لأنَّ الأحكـامَ الشَّـرعِيَّةَ تُنَـاطُ بـاليَقِينِ والظُّنُـونِ الغالِبـةِ، لا بالأوهـامِ والظُّنُـونِ المَرجوحـةِ والاحتِمـالاتِ البَعِيـدةِ]، وأنْ يكـونَ المُكْرَهُ عاجِزًا عن دَفْعِ الإكراهِ عن نَفْسِه (إمَّا بالمُقاوَمةِ أو الفِرَارِ)، وأنْ يكونَ الإكراهُ بشـيءٍ فيـه هَلَاكٌ للمُكْـرَهِ أو ضَـرَرٌ عَظِيمٌ (كالقَتْـلِ أو إتْلَافِ عُضْـوٍ مِنَ الأعضـاءِ أو التَّعذِيبِ الْمُبَرِّحِ أو السَّجْنِ الطَّوِيلِ الذي لا يَخـرُجُ منـه)،

وأنْ يكونَ الإكراهُ فَوْرِيًّا (كأنْ يُهَدِّدَه بالقَتلِ فَـورًا إذا لم يُنَفِّذْ) أمَّا إذا قالَ له {إذا لم تَفعَلْ كـذا ضَـرَبْتُكَ غَـدًا (أو بَعْدَ غَدٍ)} فلا يُعتَبَرُ إكراهًـا صَـحِيحًا [قـالَ ابنُ حجـر في (فتح الباري): فَلَوْ قَالَ (إِنْ لَمْ تَفْعَلْ كَذَا ضَرَبْتُكَ غَدًا) لَا يُعَدُّ مُكْرَهًا، وَيُسْتَثْنَى مَا إِذَا ذَكَرَ زَمَنًا قَرِيبًا جِدًّا أَوْ جَـرَتِ الْعَـادَةُ بِأَنَّهُ لَا يُخْلِـفُ. انتهى]؛ فتأمَّلِ الشُّـروطَ الـتي وضَعَها الفُقَهـاءُ لهـذا، لِتَعْلَمَ أيُّهـا المُسـلِمُ أنَّ المسـألةَ ليستْ أُلْعُوبةً، وأنَّ القَضِيَّةَ ليستْ سَـهْلةً، ثم قـارِنْ بين هـذا وبين مـا يَقُـومُ بـه كثـيرٌ مِن مُفْتِي السُّـوءِ بإفتـاءِ النـاسِ ببَعضِ الأمُـورِ بِحُجَّةِ الضَّـرُورةِ، في غـيرِ مَحَلِّهـا [قالَ الشـيخُ أبـو محمـد المقدسـي في (مِلَّة إبـراهيمَ): كَثِـيرٌ مِن دُعـاةِ زَمانِنـا، يُدَنْـدِنون على أحـادِيثِ الـرُّخَصِ والإكراهِ والضَّـروراتِ طَـوَالَ حَيَـاتِهم، وكُـلُّ أَيَّامِهم في غَـــيرِ مَقامِهـــا [أيْ غَـــيرِ مَوضِـــعِ التَّرَخُّصِ والإكـــراهِ والضَّرورةِ]، وَيَلِجُـون بِحُجَّتِهـا في كُـلِّ باطِـلٍ، ويُكَثِّرون سَوادَ حُكوماتِ الكُفرِ والإشراكِ، دُونَما إكراهٍ أوِ اِضْطِرارٍ حَقِيقَين، فَمَتَى يُظهِرون الـدِّينَ؟!. انتهى]... ثم قـالَ -أيِ الشـيخُ المنجـد-: لمـاذا يَتَسـاهَلُ بعضُـهم في إفتـاءِ النَاسِ في أُمُورٍ بِحُجَّةِ الضَّرُورةِ، وليس فِيهـا ضَـرُورةٌ؟؛ (أ)عَدَمُ خَـوفِهم مِنَ اللـهِ؛ (ب)وعَـدَمُ تَمَكُّنِهم مِنَ العِلمِ؛ (ت)وسَـــيطَرةُ رُوحِ التَّيسِـــيرِ -في غـــيرِ مَحَلِّه- على نُفُوسِهم [قالَ الشيخُ يوسـفُ بنُ أحمـد القاسـم (عضـو هيئة التدريس بالمعهـد العـالي للقضـاء) في مقالـةٍ لـه بعنـوان (موقـف العامـة من خلاف المفتِين) في هـذا الرابط على موقع الشيخ سليمان الماجد (عضـو مجلس الشـورى السـعودي): في زَمَانِنـا كَثُـرَ المُفْتُـون الـذِين يَجْرُون وَراءَ رُخَصِ الفُقَهـاءِ بحُجَّةِ المَصـلَحةِ أو التَّيسِـيرِ على الناسِ!. انتهى باختصار]، والتَّيسِيرُ أمْرٌ مُعتَبَـرٌ في الشَّرِيعةِ، وهو مِمَّا تَقومُ عليه الشَّرِيعةُ، لكنَّ التَّيسِيرَ إذا تَعـارَضَ مـع أحَـدِ مَقاصِـدِ الشَّـرِيعةِ فلا يُعتَبَـرُ تَيْسِـيرًا

شَرعِيًّا، قالَ اللهُ عَـزَّ وَجَـلَّ {إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَـةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ، قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْـعَفِينَ فِي الأَرْضِ، قَـالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِـعَةً فَتُهَـاجِرُوا فِيهَا، فَأُولَئِكَ مَـأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ، وَسَـاءَتْ مَصِـيرًا}، فلمـاذا لم يُعتَبَروا مُكْـرَهِين؟، لأنَّهم كـانوا يسـتطيعون الهِجـرةَ مِن بِلَادِ الكُفـرِ، أقـاموا تحتَ رَايَـةِ الكُفـرِ يُفتَنُـون في دِينِهم، ويَتَنـازَلون عن أُمُـورِ الـدِّينِ، وقـالوا {مُسْتَضْـعَفِينَ}، لمـاذا لم تُهـاجِروا؟!، وكـذلك لـو قـالَ إنسانٌ {إِنَّ مِنَ التَّيسِيرِ أَلَّا نَخـرُجَ إلى الجِهـادِ في وَقْتِ الْحَرِّ}، فاسمَعْ ماذا يقـولُ اللـهُ {وَقَـالُوا لَا تَنفِـرُوا فِي الْحَرِّ، قُلْ نَـارُ جَهَنَّمَ أَشَـدُّ حَـرًّا}؛ (ث)ومِنَ الأُمُـورِ الـتي تَجعَلُ بعضَ المُفتِين بالباطِـلِ يُفْتـون النـاسَ بالضَّـرورةِ الحِـرْصُ على مُوافَقـةِ رَغْبـةِ المُسـتَفْتِي، لإغراءاتِـه أو ضُغُوطِه على المُفْتِي، مِن جِهَـةٍ تَـرغَبُ (مَثَلًا) استِصـدارَ فَتْـوَى تُوافِـقُ مُيولَهـا وأهْواءَهـا، فـالمُفْتِي إذا لم يَكُنْ عنده خَوفٌ مِنَ اللهِ أفْتَى بما يُوافِقُ رَغْبةَ القَومِ مُستَنِدًا إلى رَفْعِ الحَرَجِ، أو التَّيسِـيرِ على الأُمَّةِ، أو أنَّ الضَّـرورة تُبِيحُ المحظوراتِ، أو أنَّ اختِلَافَ الأُمَّةِ رَحمـةٌ، أو أنَّ هـذا الزَّمَانَ والعَصْرَ يَختَلِفُ وأنَّ له حُكْمًا خاصًّا، وأنَّ الأحْوالَ قـد تَغَيَّرَتْ، ونحـوِ ذلـك مِن أبْـوابِ الكَلَامِ الخَطِـيرِ الـذي يَقـولُ بـه بعضُـهم، كَلَامٌ يَحسَـبونه هَيِّنًـا وهـو عنـد اللـهِ عَظِيمٌ؛ (ج)وقـد يكـونُ الشَّـخصُ الـذي يَقـولُ للنـاسِ {اِفْعَلوا ولا حَرَجَ، هذه ضَرورةٌ}، قد يكـونُ مُتَوَرِّطًـا في أمْرٍ مُحَرَّمٍ في حَيَاتِـه الشَّخصِـيَّةِ، فَلِكَيْ لا يَلُومَـه النـاسُ يُفْتِيهم بالجَوَازِ [أَيْ جَوَازِ الأَمْرِ المُحَرَّمِ المُتَـوَرِّطِ فيـه]؛ (ح)وكـذلك عَـدَمُ العِلمِ الـدَّقِيقِ والقُـدرةِ على تَصَـوُّرِ الواقِـعِ؛ (خ)وهنـاك أُنَـاسٌ عنـدهم حُسْـنُ نِيَّةٍ، يقولـون للناسِ {اِفْعَلوا، ضَرورةٌ}، ما هو السَّـبَبُ؟، قـالوا {نحن نُرِيـدُ أنْ نُحَبِّبَ النـاسَ في الـدِّينِ، ولـذلك نحن نُيَسِّـرُ عليهم، ونَفْتَحُ المَجَالَاتِ لهم، ونَقولُ (اِعمَلـوا ولا حَـرَجَ،

وهذه ضَـرورةٌ)}، لمـاذا؟، [قـالوا] {لِتَحبِيبِ النـاسِ في الـدِّينِ}!، هـؤلاء -يـا أيُّهـا الإخـوةُ- يُـدخِلون النـاسَ إلى الدِّينِ مِن بـابٍ ثم يُخرِجـونهم مِنَ الـدِّينِ مِن بـابٍ آخَـرَ، مُسِيئُون وليسوا بمُحسِنِين، وأَضْرِبُ لكم مَثَلًا، شَـيْخٌ في حَلَقةٍ جاءَه شَخْصٌ -ومع الأسَفِ، أيُّها الإخوةُ، أهلُ العِلمِ المُتَمَكِّنون مِنَ العِلمِ قِلَّةٌ جِدًّا، ولـذلك النـاسُ لا بُـدَّ لهم أنْ يَــذَهَبوا إلى المَــأمُونِ، وليس لهم أنْ يَســألوا أيَّ شَخْصٍ، كَلَّا- أحَدُهم في مَجْلِسٍ مِنَ الناسِ، جاءَه شَـخْصٌ فقـالَ {يـا شَـيْخُ، أُرِيـدُ أنْ أَنْقُـلَ عَفْشَ بَيْتِي في نَهـارِ رَمَضـانَ، وهـذا أمْـرٌ مُتْعِبٌ في رَمَضـانَ، هَـلْ يَجـوزُ أنْ أُفْطِرَ؟}، قال {لا بـأسَ، للضَّـرورةِ أَفْطِـرْ}، حـتى قـالَ أحَـدُ الحاضـرِين مِنَ النُّبَهـاءِ مِن عامَّةِ النـاسِ، قـالَ {يـا شَيْخُ، لماذا لَا تقولُ له أنْ يَنْقُلَ في اللَّيلِ؟}!... ثم قالَ -أي الشــيخُ المنجــد-: لا بُــدَّ للشــيخِ والمُفْتِي أنْ يُبَيِّنَ للناسِ إذا وَقَعوا في ضـرورةٍ حَقِيقَـةً أُمُـورًا؛ ومِن هـذه الأمُورِ أنْ يَقولَ {إنَّ الضَّرورةَ حالـةٌ اسـتِثنائِيَّةٌ وليسـتْ هي الأصْلُ -لِكَيْ يَشْعُرَ المُسـتَفتِي أنَّه يَعِيشُ في دائـرةٍ ضَيِّقةٍ وهو يَفعَلُ هذا الأمْرَ المُحَرَّمَ- وأنَّ عليه أنْ يَخــرُجَ منها بأيِّ وَسِـيلةٍ}؛ ثانِيًـا، أنَّ المبـاحَ للضَّـرورةِ ليس مِنَ الطَّيِّباتِ، المَيْتـةُ إذا أُبِيحتْ للضَّـرورةِ لا تُصـبِحُ طَيِّبـةً، لا زالَتْ خَبِيثةً نَتِنَةً، لكنَّ الفَرْقَ أنَّ الذي يَتَناوَلُها للضَّـرورةِ يَسقُطُ عنـه الإثمُ، فلا بُـدَّ أنْ يَشـعُرَ الـذي يَأْكُـلُ المَيْتـةَ للضَّرورةِ أنَّه يَأْكُلُ شَيْئًا مُنْتِنًا حَرَامًا في الأصْلِ، لا يَجـوزُ في الأصْــلِ، لا بُــدَّ أنْ يَستَشــعِرَ هــذا؛ ثالثًــا، أنْ يُحَمِّلَ المُفْتِي المُستَفْتِي المَسئُولِيَّةَ عن كامِلِ التَّفاصِيلِ التي يُقَـدِّمها لـه، وأنَّ فَتْـوَاه لـه بالضَّـرورةِ مَبْنِيَّةٌ على صِـحَّةِ المعلوماتِ، فإذا كانَ المُستَفْتِي مُزَوِّرًا ويُقَدِّمُ معلوماتٍ خاطِئـةً ويقـولُ {مـا دَامَ الشـيخُ سَـيُفْتِي فَأَنَـا أَخْـرَجتُ نَفْسِي مِنَ الْعُهْدَةِ ما دَامَ أَخَذْتُها مِن فَمِه}، وهـو يُقَـدِّمُ معلوماتٍ خاطِئةً، يُقَدِّمُ معلوماتٍ لِيُشـعِرَ الشـيخَ أنَّه [أي

المُستَفْتِي] في حَرَجٍ، وأنَّ المسألةَ لا مَخرَجَ مِنْها، حتى يَقولَ له الشيخُ {اِفْعَلْ للضَّرورةِ}؛ رابعًا: لا يَجوزُ الإفتاءُ بالضَّرورةِ إلَّا بعدَ اِنسِدادِ جَمِيعِ الأبوابِ، واستِنفاذِ جَمِيعِ الحُلولِ والبَدائلِ... ثم قالَ -أيِ الشيخُ المنجد-: إنَّ مِنَ القَواعِدِ المُهِمَّةِ أنَّه لا بُدَّ مِنَ السَّعْيِ لإزالةِ الضَّرورةِ (على المُضْطَرِّ أنْ يَسعَى بكُلِّ قُوَّتِه أنْ يَتَخَلَّصَ مِنَ الضَّرورةِ، لا أنْ يَستَسلِمَ لها، لا بُدَّ أنْ يَتَخَلَّصَ، كَمْ مِنَ الناسِ اليومَ إذا وَقَعوا في ضَرورةٍ يُحاوِلون التَّخَلُّصَ فِعْلًا مِن هذا المَجَالِ الضَّيِّقِ، مِن هذا المَكانِ الحَرِجِ الذي وَقَعوا فيه؟)، وأنَّ المُضْطَرَّ إذا لم يَسْعَ للخُروجِ مِنَ الضَّرورةِ فإنَّه يَأْثَمُ؛ فإذا قُدِّرَ مَثَلًا، كما ضَرَبَ العُلَماءُ مَثَلًا حَيًّا في كُتُبِهم، قالوا في كُتُبِهم {إذا جازَ للمسلِمِين في عَصرٍ مِنَ العُصورِ مُصالَحةُ العَدُوِّ لِضَرورةٍ -مع تَوَفُّرِ الشُّروطِ الشَّرعِيَّةِ- فَلا بُدَّ أنْ يَسعَى المُسلِمون للخُروجِ مِن هذه الضَّرورةِ التي أَلْجَأتْهم إلى مُصالَحةِ العَدُوِّ}، ومَعْنَى الشُّروطِ الشَّرعِيَّةِ أنْ يَتَوَلَّى عَقْدَ الصُّلْحِ مَثَلًا خَلِيفةُ المُسلِمِين الذي وَكَّلَه المُسلِمون عليهم، أو نائبُه الذي وَكَّلَه الخَلِيفةُ (أَمَّا أنْ يَتَوَلَّى عَقْدَ الصُّلْحِ مع العَدُوِّ رَجُلٌ ظالِمٌ تَسَلَّطَ على المُسلِمِين، أو كافِرٌ أو قَومِيٌّ عَلْمانِيٌّ أو نَصْرانِيٌّ أو مُلْحِدٌ أو لادِينِيٌّ، يَتَكَلَّمُ باسمُ المُسلِمِين ويُفاوِضُ عنهم، مَنِ الذي وَكَّلَه؟!، ومَن هي الأُمَّةُ الإسلامِيَّةُ التي وَكَّلَتْه في شُؤُونِها؟!)، وأنْ يَكونَ هذا الصُّلْحُ هو أفْضَلَ حَلٍّ للمسلِمِين فِعْلًا، وألَّا يُؤَدِّي إلى مَفاسِدَ أَكْثَرَ مِنْ تَرْكِ الصُّلْحِ، وأنْ يكونَ مُوَقَّتًا بِوَقْتٍ مُعَيَّنٍ، وأكثرُ مُدَّةٍ اِشْتَرَطَها الفُقَهاءُ للصُّلْحِ عَشْرُ سِنِينَ [قالَ الشيخُ أبو سلمان الصومالي في (النصائح المنجية): وقَدَّرَها أكثَرُ الفُقَهاءِ على عَشْرِ سِنِينَ، فَإنْ تَجاوَزَتِ المُدَّةُ العَشْرَ بَطَلَتْ فِيما زادَ عليها... ثم قالَ -أيِ الشيخُ الصومالي-: وحُجَّةُ الجَمهورِ في ذلك أنَّ مُدَّةَ عَقْدِ صُلْحِ الحُدَيْبِيَةِ هو

أبعَدُ أَجَلٍ عَقَدَه النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم، فَخَصَّصَتِ السُّنَّةُ عُمومَ آياتِ السَّيفِ والقِتالِ، فَما زادَ عنِ العَشْرِ يَبقَى على عُمومِه. انتهى باختصار]، إذا تَوَفَّرَتِ الشُّروطُ في الصُّلْحِ فِعْلًا فإنَّه يَجِبُ على المسلِمين أنْ يَسْعَوْا لإزالةِ الضَعْفِ والشُّعورِ بِأنَّهم في ذُلٍّ، وأنْ يُعِدُّوا العُدَّةَ للجِهادِ حتى يُنْهُوا هذا الضَّيْمَ والهَوَانَ المَفرُوضَ عليهم، وبذلك تَعْلَمُ أنَّ كَثِيرًا مِمَّا يَحدُثُ في هذه الأيَّامِ لا عَلَاقةَ له بِالإسلامِ أصْلًا... ثم قالَ -أيِ الشيخُ المنجد-: ومِن قَواعِدِ الشَّرِيعةِ أنَّ الضَّرورةَ لا بُدَّ أنْ تَكونَ ضَرورةً فِعْلًا، فيها حَرَجٌ عَظِيمٌ على الشَّخصِ لا يُطِيقُ تَحَمُّلَه فِعْلًا، وليستْ مَسألةَ تَوَسُّعٍ في مَكاسِبَ وزِيَادةِ أَرْباحٍ مَثَلًا، أو مَشَقَّةٍ بَسِيطةٍ يُمْكِنُ تَحَمُّلُها، فهذه ليستْ ضَرورةً، وَلَا دَاعِيَ لِأنْ نُخادِعَ أَنْفُسَنا، ونَكْذِبَ على اللهِ سُبحانَهُ وتَعالَى، وهو {يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ}، فَهَلْ عَرَفْنا الآنَ سَبِيلَ المُتَلَاعِبِين، وأنَّه يَجِبُ أنْ نَصْدُقَ مع اللهِ سُبحانَهُ وتَعالَى؟... ثم قالَ -أيِ الشيخُ المنجد-: أيُّها المسلمون، لا بَأسَ أنْ نَذْكُرَ الآنَ بعضَ الحالاتِ التي فيها ضَرورةٌ صَحِيحةٌ، وبعضَ الحالاتِ التي ليس فيها ضَرورةٌ وإنَّما يَستَخدِمُ [فيها] الناسُ كَلِمةَ (الضَّرورةِ) زُورًا وبُهْتانًا على الشَّرِيعةِ؛ فمَثَلًا، الكَذِبُ في الحَرْبِ ضرورةٌ مع الكُفارِ، كما قالَ صَلَى اللهُ عليه وسَلَّمَ {الْحَرْبُ خُدْعَةٌ}؛ والكَذِبُ لأجْلِ الإصلاحِ بين المُتَخاصِمَين ضَرورةٌ مِن أجْلِ التَّوفِيقِ بين المُتَخاصِمِين مِنَ المُسلِمِين، إذا لم يَجِدْ حَلًّا إلَّا ذلك؛ وكذلك غِيبةُ رَجُلٍ لا يَصْلُحُ في الزَّواجِ تَقَدَّمَ إلى أناسٍ وأنتَ تَعْلَمُ حالَه، يَجُوزُ أنْ تَغتابَه للضَّرورةِ، لا حَرَجَ في ذَلك؛ وسَفْرُ المرأةِ بغَيرِ مَحْرَمٍ يكون ضرورةً في حالاتٍ، كَمَن ماتَ مَحْرَمُها في الطَّرِيقِ، أو أُجْبِرَتْ -بالقُوَّةِ- على الخُروجِ مِن بَلَدٍ وليس عندها مَحْرَمٌ، أو مُضْطَرَّةٍ للهِجرةِ مِن بِلَادِ الكُفرِ إلى بِلَادِ الإسلامِ وليس عندها مَحْرَمٌ، لو شاهَدْتَ

حادِثَ سَيَّارةٍ في الطَّرِيقِ -طَرِيقِ سَفَرٍ- وامْرَأَةً تَحتاجُ إلى إِسْعافٍ، تَأْخُذُها للضَّرورةِ، لا حَرَجَ في ذلك؛ تَرْكُ [صَلَاةِ] الجَماعةِ في المَسجِدِ لِوُجودِ مَجْنونٍ أو مَرِيضٍ في البَيْتِ يُخْشَى عليه، يَحْتاجُ إلى مَن يَقِفُ بِجَانِبِه ويَرْعاه لأنَّ حالتَه خَطِرةٌ، هذه ضرورةٌ تُتْرَكُ لأجْلِها صلاةُ الجماعة؛ وَضْعُ النُّقودِ في البُنُوكِ الرِّبَوِيَّةِ لحِفْظِها إذا لم يُوجَدْ إلَّا هي ضرورةٌ، لأنَّ المالَ بالتَّجْرِبةِ يَضِيعُ أو يُسرَقُ، وهناك مُؤَسَّساتٌ عندها أمْوالٌ كثيرةٌ، وأُنَاسٌ أغْنِياءُ مِنَ المسلمِين، أيْنَ يَضَعون نُقُودَهم؟، فيَضَعُونها إذنْ في البُنُوكِ الرِّبَوِيَّةِ إذا لم يُوجَدْ إلَّا هي، مع وُجوبِ السَّعْيِ لإقامةِ البُنوكِ الإسلامِيَّةِ مِنَ القادِرِين على السَّعْيِ؛ السَّفَرُ إلى بِلَادِ الكُفَّارِ لِعِلَاجٍ لا يُوجَدُ إلَّا في بِلَادِ الكُفَّارِ جائزٌ للضَّرورةِ؛ وذَكَرَ بعضُ أَهْلِ العِلمِ حالةً عَصرِيَّةً (الاِضْطِرارُ إلى عَقْدِ التَّأْمِينِ -المُحَرَّمِ- على السَّيَّاراتِ، في بَلَدٍ لا تستطيعُ قِيَادةَ سَيَّارَتِكَ فيه إلَّا بعَقْدِ التَّأْمِينِ [الإجْبارِيِّ])، لا تستطيعُ، يَسحَبُون رُخْصَتَكَ ويَمْنَعونكَ مِن قِيَادةِ السَّيَّارةِ، أنتَ مُكْرَهٌ في هذه الحالةِ، لأنَّكَ لا بُدَّ أنْ تستعملَ سَيَّارَتَكَ، لا تستطيعُ أنْ تَمْشِيَ المَسافاتِ الطَّوِيلةَ، ولكنْ ما رَأْيُكم بمَن يُؤَمِّنون على سَيَّارَتِهم لغيرِ ضرورةٍ [يَعْنِي التَّأْمِيناتِ الغيرَ إجْبَارِيَّةٍ]؟، ما أَحَدٌ دَفَعَه إليها، ولا ضَرَبَ يَدَه عليها، ومع ذلك يَقومُ بعَقْدِ التَّأْمِينِ المُحَرَّمِ، يقولُ {أَخْشَى أنْ يَحدُثَ حادِثٌ، ولا أستطيعُ كذا، أَتَوَقَّعُ...، يُمْكِنُ...}، وبِنَاءً على هذه المُمْكِناتِ يَرتَكِبون عَقْدَ التَّأْمِينِ (المُحَرَّمَ قطعًا، وهو نَوعٌ مِن أنواعِ المَيْسِرِ والقِمَارِ لا يَجوزُ فِعْلُه)؛ العَمَلُ في البُنوكِ الرِّبَوِيَّةِ حَرامٌ، ليس بضَرورةٍ أَبَدًا، ولا يَجوزُ، الأعمالُ الأُخْرَى مَوجُودةٌ، وأَرْضُ اللهِ واسِعةٌ، إذا لم تَجِدْ في البَلَدِ فَأَرْضُ اللهِ واسِعةٌ، وإذا لم تَجِدْ يَجوزُ لك أنْ تَمُدَّ يَدَكَ إلى النَّاسِ، لو قالَ شَخصٌ {ما وَجَدْتُ}، نقولُ {الشِّحاذَةُ جائزةٌ للضَّرورةِ}،

فالعلماءُ أباحُوا التَّسَوُّلَ للضَّـرورةِ، فيَجـوزُ، لكنَّ العَمَـلَ في البُنــوكِ لا يَجــوزُ؛ الاِسْــتِلافُ مِنَ البُنــوكِ الرِّبَوِيَّةِ، للمَشـارِيعِ التِّجارِيَّةِ أو الـزَّواجِ ونحـوِه، حَـرامٌ لا يَجـوزُ، وكَذَّابٌ الذي يَدَّعِي أنَّها ضَرورةٌ، لا يَجـوزُ؛ السَّـمَاحُ ببَيـعِ الخُمــورِ في بِلَادِ المُســلِمِين، وفَتْحِ المَلَاهِي، ودُخــولِ الكُفَّارِ إلَى المَساجِدِ لِلفُرْجَةِ، بِحُجَّةِ أنَّ البَلَدَ مُضْطَرٌّ إلى العُمْلةِ الصَّعْبةِ التي يَأتِي بها هؤلاء السُّيَّاحُ، سُبْحانَكَ هذا بُهْتـانٌ عَظِيمٌ؛ العِلَاجُ بالمُحَرَّمـاتِ، اللَّهُ لَمْ يَجْعَـلْ شِـفَاءَ أُمَّةِ محمد صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ فِيمَا حَرَّمَ عَلَيْهَـا؛ حَلْـقُ اللِّحيَةِ لِمُجَرَّدِ الخَوفِ مِن تَوقِيـفٍ بَسِـيطٍ أو مُسـاءَلةٍ، لا يَجوزُ، وليس بضَـرورةٍ، لكنْ لـو خـافَ أنَّه يُسـجَنُ سَـجْنًا مُؤَبَّدًا أو يُقْتَلُ [أو] يَلْحَقُ به ضَرَرُ عَظِيمٌ، يَجوزُ له حَلْقُها للضَّرورةِ، أَمَّا لِمُجَرَّدِ كَلِمةٍ أو كَلِمَتَين يَسـمَعُها مِنَ الأذَى يَجِبُ عليه أنْ يَتَحَمَّلَ ذلـك في سَـبِيلِ اللـهِ؛ وزَعَمـوا أنَّ الرِّبـا ضَـرورةٌ عَصـرِيَّةٌ، {قَـاتَلَهُمُ اللَّهُ، أَنَّى يُؤْفَكُـونَ}؛ وجَلْبُ عُمَّالِ الكُفَّارِ إلَى جزيــرةِ العَــرَبِ لِفَتحِ أعْمــالٍ تِجارِيَّةٍ لا يَجوزُ، لا يَجوزُ جَلْبُ الكُفَّارِ للتَّوَسُّعِ... ثم قالَ -أيِ الشيخُ المنجد-: أَيُّها الإخوةُ، إنَّ هذا الموضـوعَ مُـؤْلِمٌ وخَطِيرٌ، لكنَّني أرْجُو مِنَ اللهِ سُبْحانَهُ وتَعالَى أنْ يُفَقِّهَنا وإيَّاكم في دِينِـه، لأنَّ الفِقْـهَ في الـدِّينِ أمْـرٌ مُهِمٌ جِـدًّا، لكي لا نَقَعَ في هذه المحظوراتِ بحُجَجٍ واهِيَةٍ لا يَقْبَلُهـا اللـهُ، هـذا دِينٌ، وهـذه أَمَانــةٌ، وهنـاك حِسَـابٌ. انتهى باختصـار. وقـالَ الشـيخُ عبـدُالقادر أحنـوت في (مجلـة البيان، التي يَرْأسُ تحريرَها الشيخُ أحمد بن عبـدالرحمن الصويان "رئيس رابطة الصـحافة الإسـلامية العالميـة") تحت عنوان (أحكام الإكراه في الفقـه الإسـلامي): يُعَـدُّ الإكراهُ حالةً مِن حالاتِ الاِضْـطِرارِ [قـالَ الشـيخُ طـارق عبدالحليم في مقالة له بعنوان (الضرورة والإكــراه في الشــريعة) على موقعــه في هــذا الرابط: الفَـرْقُ بين الإكراهِ والضَّرورةِ، هو أنَّه في حالةِ الإكراهِ يَدْفَعُ المُكْرَهَ

إلى إتْيَانِ الفِعْلِ شَخصٌ آخَرُ ويُجْبِرُه عليه، أَمَّا في حالـةِ الضَّرورةِ فإنَّ الشَّخصَ [المُكْرَهَ] يُوجَدُ في ظـُرُوفٍ تُحَتِّمُ عليه فِعْلَ المُحَرَّمِ دُونَ تَدَخُّلٍ مِن أَحَـدٍ. انتهى باختصـار] لأنَّه يَأْسِرَ الإرادةَ مُباشَرةً... ثم قالَ -أَيِ الشيخُ أحنوت-: يُشْتَرَطُ في الإكْراهِ ليكـونَ مُعتَبَـرًا ومُـؤَثِّرًا فيمـا يُقْـدِمُ عليـه المُكَلَّفُ مِن أقـوالٍ أو أفعـالٍ أو تُـرُوكٍ، الشُّـروطُ الآتِيَةُ؛ (أ)أنْ يكونَ المُكْرِهُ قادِرًا على إيقاعِ مـا هَـدَّدَ بـه، وإلَّا كـانَ هَـذَيَانًا وضَـرْبًا مِنَ اللَّغْـوِ الـذي لا يُلتَفَتُ إليه؛ (ب)أنْ يَعْلَمَ [أَيْ يَتَيَقَّنَ] الْمُسْـــتَكْرَهُ أو يَغْلِبَ على ظَنِّه، أنَّ المُكْرِهَ سـيُنَفِّذُ تَهْدِيـدَه إنْ لم يَفعَـلْ مـا أُكْـرِهَ عليـه، ويَكُونُ [أَيِ الْمُسْتَكْرَهُ] عاجِزًا عنِ الـدَّفْعِ أو التَّخَلُّصِ مِمَّا هُدِّدَ به "إِمَّا بهُروبٍ أو مُقاوَمةٍ أو استغاثةٍ"؛ (ت)أنْ يَقَـعَ الإكراهُ بما يُسَـبِّبُ الهَلَاكَ، أو يُحْـدِثُ ضَـرَرًا كبـيرًا يَشُـقُّ على المُستَكْرَهِ تَحَمُّلُه، كأنْ يُهَدَّدَ بقَتْـلٍ، أو قَطْـعِ عُضْـوٍ، أو ضَـرْبٍ شَـدِيدٍ، أو حَبْسٍ وقَيْـدٍ مَدِيـدَين، وهـو الإكـراهُ المُلْجِئُ [قالَ الشيخُ أحنوت في مَوضِعٍ آخَرَ مِن مَقَالَتِـه: الإكراهُ له حالتَـان؛ أَمَّا الحالـةُ الأُولَى فتُسَـمَّى (الإكْـراهَ المُلْجِئَ "أوِ الكامِلَ")، كأنْ يُهَدَّدَ [أَيِ الْمُسْتَكْرَهُ] بالقتلِ، أو بقَطْـعِ عُضْـوٍ أو بضَـرْبٍ شَـدِيدٍ مُتَـوالٍ يَخَـافُ منـه أنْ يُؤَدِّي إلى ذلك؛ وأَمَّا الحالةُ الثانِيَةُ، فالإكْراهُ [فيها] غـيرُ مُلْجِئٍ، ويُسَـمَّى (الإكْـراهَ النـاقِصَ)، وهـو مـا لا يكـونُ التَّهْدِيدُ فيه مُؤَدِّيًا إلى إتلافِ النَّفْسِ أوِ العُضْوِ، كالتَّهدِيدِ بالضَّرْبِ اليَسِيرِ الذي لا يَخافُ منه التَّلَفُ، أو [كالتَّهدِيـدِ] بإتلافِ بعضِ المالِ، وهذا النَّوعُ مِنَ الإكْـراهِ غـيرُ مُفسِـدٍ للاختيارِ، لأن الْمُسْـتَكْرَهَ ليس مُضْـطَرًّا إلى مُباشَـرةِ مـا أُكْـرِهَ عليـه، لِتَمَكُّنِـه مِنَ الصَّبرِ على مـا هُـدِّدَ به. انتهى باختصار]؛ (ث)أنْ يكـونَ الإكْـراهُ عـاجِلًا غـيرَ آجِـلٍ، بـأنْ يُهَدَّدَ بتَنفِيذِه في الحالِ، فإنْ كان بشيءٍ غيرِ فَـورِيٍّ ولا حـالٍّ فلا يُعتَبَـرُ إكْراهًـا، لأنَّ التأجِيـلَ مَظَنَّةُ التَّخَلُّصِ مِمَّا هُدِّدَ به، فإنْ كان الزمَنُ قصيرًا لا يُتَمَكَّنُ فيـه مِن إيجـادِ

مَخْـرَجٍ يكـونُ حِينَئِذٍ إكْراهًـا؛ (ج)أَلَّا يُخـالِفَ المُسـتَكْرَهُ المُكْرِهَ، بِفِعْلِ غَيْرِ ما أُكْرِهَ عليه، أو بزِيَادةٍ على ما أُكْـرِهَ عليه، فمَنْ أُكْرِهَ علي طَلَاقِ اِمْرَأَتِه طَلْقَـةً وَاحِـدَةً رَجْعِيَّةً فَطَلَّقَهـا ثَلَاثًـا، أو أُكْـرِهَ عَلَى الـزِّنَى فَـأَوْلَجَ، وَأَمْكَنَـهُ أَنْ يَنْزِعَ فَيَتَمَادَى حَتَّى يُنْزِلَ، فلَا يكونُ إكْراهُـه مُعتَبَـرًا، لأنَّ المُخالَفةَ بالزِّيَادةِ أو بِفِعْلِ غيرِ ما أُكْـرِهَ عليـه تَـدُلُّ على اِختِيارِه، وهي **[أيِ المُخالَفةُ المذكورةُ للمُكْرِهِ]** إنَّمـا تَنُمُّ عن تَهاوُنٍ وعَـدَمِ اِكْتِـراثٍ بـالمحظوراتِ، فيُسـألُ عنهـا الفاعِلُ لأنَّها تَجاوَزَتْ حُدودَ ما أُكْرِهَ عليـه، أمَّا المُخالَفـةُ بالنُّقْصـانِ فيكـونُ معهـا مُكْرَهًـا، لأنَّه يُحتَمَـلُ أنْ يَقْصِـدَ التَّضْيِيقَ في فِعْلِ المُحَرَّمِ مـا أَمْكَنَ؛ (ح)أنْ يَتَـرَتَّبَ على فِعْـلِ المُكْـرَهِ عليـه الخَلَاصُ مِنَ المُهَـدَّدِ بـه، فلـو قـالَ إنسانٌ لآخَرَ {اُقْتُلْ نَفسَـكَ وإلَّا قَتَلْتُـكَ} لا يُعَـدُّ إكْراهًـا، لأنَّه لا يَتَرَتَّبُ على قَتْلِ النَّفْسِ الخَلَاصُ مِمَّا هُدِّدَ بـه، فلا يَصِحُ له حِينَئِذٍ أنْ يُقْدِمَ على ما أُكْرِهَ عليـه؛ (خ)أَلَّا يكـونَ الإكْراهُ بحَقٍّ، فـإنْ كـان بحَـقٍّ فليس بـإكْراهٍ مُعتَبَـرٍ، لأنَّ التَّبَعِيَّةَ والمَسـؤُولِيَّةَ حِينَئِذٍ تكـونُ مُتَوَجِّهـةً بكامِلِهـا إلى المُستَكْرَهِ، وذلك كما لو أَكْـرَهَ الـدائنُ المَـدِينَ على بَيْـعِ مالِه لِقَضاءِ الدَّينِ الواجِبِ، أو أَكْرَهَ الحـاكِمُ المُمْتَنِـعَ مِنَ الزَّكـاةِ على الأدَاءِ، أو إكْـراهِ المالِـكِ على بَيْـعِ أَرْضِـه للدَّوْلةِ لِتَوسِيعِ الطَّرِيقِ العَامِّ، ونحوِ ذلك، فكُـلُّ مـا يَجِبُ على الشَّخصِ في حالِ الطَّوَاعِيَةِ فإنَّه يَصِحُّ مع الإكْـراهِ؛ هذا، وإنَّ ثَمَّةَ شُرُوطًا أُخْرَى ذَكَرَها الفُقَهاءُ، وهي تَرْجِـعُ في حَقِيقَتِها إلى جُمْلـةِ مـا ذَكَـرْتُ **[قلتُ: مِنَ الشُّـروطِ التي ذَكَرَها العلماءُ: (أ)أنْ يكـونَ المُسـتَكرَهُ مُمْتَنِعًـا عنِ الفِعْلِ الـذي أُكْـرِهَ عليـه قَبْـلَ الإكْـراهِ، فمَن أُكْـرِهَ على شُرْبِ الخَمْرِ ومِن عادَتِه شُـرْبُه لا يكـونُ مُكْرَهـا؛ (ب)أنْ يكونَ المُهَدَّدُ بـه أشَـدَّ خَطَـرًا على المُسـتَكرَهِ مِمَّا أُكْـرِهَ عليه، فلو هُدِّدَ إنسانٌ بصَفْعِ وَجْهِه إنْ لم يُتْلِـفْ مالَـه أو مالَ الغَيْرِ، وكانَ صَفْعُ الوَجْهِ بالنِّسـبةِ إليـه أقَـلَّ خَطَـرًا**

مِن إتلافِ المـالِ، فلا يُعَـدُّ هـذا إكْراهًـا؛ (ت)ألَّا يكـونَ المُهَدَّدُ به حَقًّا للمُكْـرِهِ يَتَوَصَّـلُ بـه إلى مـا ليس حَقًّا لـه ولا واجِبًا، فإذا كانَ كذلك -كتَهدِيدِ الزَّوجِ زَوجَتَه بطَلَاقِها إنْ لم تُبْرِئْهُ مِنْ دَينٍ لَهَا عَلَيْهِ- فلا يكونُ إكْراهًـا؛ (ث)إذا كانَ الإكْراهُ على أَحَدِ أمْـرَين، تَعيَّنَ اختيـارُ أخَفِّهمـا وإلَّا ما صَحَّ الإكْراهُ، فمَن أُكْرِهَ على أنْ (يَزْنِيَ، أو يَأْكُلَ لَحْمًـا لم يُـذَكَّى) فاختـارَ الـزِّنَى لا يكـونُ مُكْرَهًـا]. انتهى باختصار. وقالَ ابْنُ قُدَامَةَ فِي (الْمُغْنِي): وَإِنْ تَوَعَّدَ [أَيِ المُكْـرِهُ] بِتَعْـذِيبِ وَلَـدِهِ [أَيْ وَلَـدِ المُكْـرَهِ]، فَـالأَوْلَى أَنْ يَكُـونَ إكْرَاهًـا. انتهى باختصـار. وفي هـذا الرابط قـالَ مركزُ الفتوى بموقـع إسـلام ويب التـابع لإدارة الـدعوة والإرشاد الديني بـوزارة الأوقـاف والشـؤون الإسـلامية بدولـة قطـر: وَلْيُعْلَمْ أَنَّ الإكـراهَ المُعتَبَـرَ عنـد جُمْهـورِ العلمـاءِ هـو التَّهدِيـدُ بـإتْلافِ النَّفْسِ أوِ الأعضـاءِ، أو مـا شـابَهَ ذلـك مِمَّا يَشُـقُّ على النَّفْسِ تَحَمُّلُه، أمَّا مُجَـرَّدُ الشَّتْمِ والسَّبِّ والتَّشـهِيرِ، فليس ذلـك مِن نَـوعِ الإكْـراهِ المُعتَبَرِ عنـدهم. انتهى. وقـالَ مركـزُ الفتـوى أيضـا في هذا الرابط: إذا كانَ إعفـاءُ اللِّحيَـةِ يُسـبِّبُ للمَـرْءِ ضَـرَرًا مُجْحِفًـا مُحَقَّقًـا، كالقَتْـلِ أو التَّشـرِيدِ أو الحَبْسِ أو التَّعذِيبِ، ولم يَستَطِعْ دَفْعَ ذلك الضَّرَرَ إلَّا بـالتَّخفِيفِ مِن لِحْيَتِه أو حَلْقِها، فإنَّه يَجوزُ له اللُّجـوءُ إلى الأخَـفِّ، وهـو التَّخفِيفُ، ولا يَصِيرُ إلى الحَلْقِ إلَّا إذا ثَبَتَ أنَّ ما دُونَـه لا يَدْفَعُ عنه الأذَى، لأنَّه فَعَلَ ذلك ضَرورةً، والضَّرُورَةُ تُقَدَّرُ بِقَدْرِهَا... ثم قالَ -أي مركـز الفتـوى-: قـد ثَبَتَ بـالتَّتَبُّعِ والسُّـؤَالِ وباسـتِقراءِ أحـوالِ أُنـاسٍ كثـيرِين، أنَّ دَعْـوَى الإكْراهِ على حَلْـقِ اللِّحْيَـةِ لا يَكـونُ إلَّا في نِطَـاقٍ ضَـيِّقٍ، وأنَّ أكـثرَ النـاسِ يَتَخَوَّفـون مِن دُونِ سَـبَبٍ حَقِيقِيٍّ، ثم يَبْنُـون على هـذا التَّخَـوُّفِ أحْكامًـا ويَـدَّعُون ضَـروراتٍ، وليس الأمرُ كذلك، وكثيرٌ منهم لا يُرِيدُ أنْ يَلْحَقَه أيُّ أذًى أو مُضايَقةٍ بِسَـبَبِ تَدَيُّنِـه والتِزامِـه بـالمَظْهَرِ الإسـلامِيِّ

والأخْـذِ بالسُّـنَّةِ، وهـذا مُخـالِفٌ لِسُّـنَّةِ اللـهِ في عِبَـادِه المُؤمِنِين، قالَ تَعالَى {الم، أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ، وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ، فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ}، فـالأذَى والمُضايَقةُ بِسَبَبِ التَّدَيُّنِ الصَحِيحِ مِنَ الأمُـورِ المُتَوَقَّعـةِ، والسلامةُ منها على خِلَافِ الأصْلِ، والمقصودُ أنَّ ما يَقَعُ مِنَ الأذَى هو أمْـرٌ عـادِيٌّ يَجِبُ أنْ نَتَقَبَّلَه ونَحتَسِـبَ عنـد اللهِ ما نَلْقَى، فهذه ضَرِيبةُ الإيمانِ وثَمَنُ الجَنَّةِ، ولـو أنَّا كُلَّما أحْسَسـنا بـالأذَى تَراجَعْنـا في الْتِزامِنـا لم نَلْبَثْ أنْ نَنْسَلِخَ مِن شَعائرِ دِينِنا الظاهِرةِ، وهذا بالضَّبْطِ مـا يُرِيـدُ أعداؤنا أنْ نَصِلَ إليـه، لِتَخْفَى مَعـالِمُ الحَـقِّ على النـاس وتَنْـدَرِسُ رُسُـومُه، وهـذا مِن أخْطَـرِ العَـواقِبِ، فَلْيُتَنَبَّهْ لـذلك فإنَّه مِن مَزالِـقِ الشَّـيطانِ. انتهى. وقـالَ مركـزُ الفتـوى أيضًـا في هــذا الرابط: وَلْيُعْلَمْ أنَّ كثـيرًا مِنَ الناسِ قد حَصَلَ منهم التَّساهُلُ، فوَقَعوا في المُحَرَّمـاتِ بحُجَّةِ أنَّهم مُضْطَرُّون إلى ذلك. انتهى.

تَمَّ الجُزءُ السابِعُ بِحَمدِ اللَّهِ وَتَوفِيقِهِ

الفَقِيرُ إلى عَفْوِ رَبِّهِ

أَبُو ذَرٍّ التَّوحِيدِي

AbuDharrAlTawhidi@protonmail.com